

النموذج الإسلامي للسّلامة الاجتماعيّة



تأليف
د. عباس پسندیده

ترجمة
السيد حسن علي مطر

النموذج الإسلامي
للسلامة الاجتماعيّة



سلسلة نمط الحياة

المركز الإسلامي للدراسات الاستراتيجية
المعهد الإسلامي للدراسات الاستراتيجية

النموذج الإسلامي للسلامة الاجتماعية

تأليف

د. عباس پسنديه

ترجمة

السيد حسن علي مطر

بسنديده، عباس، 1388 هجري- مؤلف.

النموذج الإسلامي للسلامة الاجتماعية / تأليف د. عباس بسنديده ؛ تعريب حسن علي مطر-الطبعة الأولى-النجف، العراق : العتبة العباسية المقدسة، المركز الاسلامي للدراسات الاستراتيجية، 1447 هـ. = 2026

316 صفحة ؛ 15×21 سم. (سلسلة نمط الحياة)

يتضمن ارجاعات ببليوجرافية : صفحة 307-316.

النص باللغة العربية مترجم من اللغة الفارسية.

ISBN : 9789922680781

1. الاسلام والمجتمع. أ. مطر، حسن علي، 1968- مترجم. ب. العنوان.

LCC: BP173.25 .P37125 2026

مركز الفهرسة ونظم المعلومات التابع لمكتبة ودار مخطوطات العتبة العباسية المقدسة
الفهرسة أثناء النشر



رقم الابداع في دار الكتب والوثائق ببغداد (٥٠٣٢) لسنة ٢٠٢٥ م

النموذج الإسلامي للسلامة الاجتماعية

تأليف: د. عباس بسنديده

ترجمة: السيد حسن علي مطر

الناشر: العتبة العباسية المقدسة / المركز الإسلامي للدراسات الاستراتيجية

الطبعة: الأولى، ١٤٤٧ ق / ٢٠٢٦ م

تم إصدار هذا الكتاب سابقاً من قبل المعهد العالي للقرآن والحديث
بعنوان «الگوی اسلامی سلامت اجتماعی» في قم المقدسة ، عام ١٤٠١ ش.

www.iicss.iq

islamic.css@gmail.com

المحتويات

كلمة المركز ١١

المقدمة ١٣

الفصل الأول:

مفهوم السلامة الاجتماعية ومفاهيمها الإسلامية

ما هي السلامة الاجتماعية؟ ١٧

المفاهيم الإسلامية للسلامة الاجتماعية ٢٥

الفصل الثاني:

تحليل المفاهيم الإسلامية للسلامة الاجتماعية

١. العزة والمنزلة الاجتماعية ٣٥

أ. الاستراتيجية الناظرة إلى الآخرين ٣٦

التكريم ٣٧

الدفاع والحماية ٤٠

ب. الاستراتيجية الناظرة إلى النفس ٤١

إيصال الخير والاستغناء ٤٢

الصفات والخصائص الأخلاقية والسلوكية ٤٤

العبادة والخضوع لله (عز وجل) ٤٦

٢. الألفة والمودة الاجتماعية ٤٧

أ. الإسلام والمحبة ٤٨

التأكيد على المودة والصداقة ٤٨

تنمية المحبة ٥٣

خطر العداوة ٥٤

٦ ❖ النموذج الإسلامي للسلامة الاجتماعية

- ٥٧ ب. الإطار النظري للمحبة الاجتماعية.
- ٥٧ الإحسان الاجتماعي.
- ٥٩ الاعتقاد بالله والعمل الصالح.
- ٦٠ ج. نموذج «الحب/ البغض» في السلامة الاجتماعية.
- ٦٢ ٣. الحريم الاجتماعي.
- ٦٤ أ. حرمة المال.
- ٧١ ب. حرمة السمعة.
- ٧٢ عدم تفصي الأخطاء والعيوب.
- ٧٥ عدم اللوم على الأخطاء.
- ٧٦ عدم إظهار الأخطاء المستورة.
- ٨١ عدم نسبة الخطأ كذباً.
- ٨٢ المراقبة الذاتية.
- ٨٣ ج. حرمة النفس.
- ٨٥ د. حرمة الدين والإيمان.
- ٨٨ ٤. الأسرة الاجتماعية.
- ٨٩ ٥. الأخوة الاجتماعية.
- ٩١ ٦. التعاون الاجتماعي.
- ٩٢ أ. نصره المظلوم/ معاداة الظالم.
- ٩٤ ب. المعارضة الاجتماعية ضدّ الظلم والظالمين.
- ٩٦ ج. تلبية حاجة المؤمن.
- ٩٧ ٧. المواساة الاجتماعية.
- ٩٧ أ. المفهوم والأرضية.
- ٩٩ ب. أنواع المواساة.
- ١٠١ ج. نتائج المواساة الاقتصادية.
- ١٠٢ ٨. التراحم الاجتماعي.
- ١٠٢ أ. أرضية التراحم/ الرحمة الاجتماعية.

المحتويات ❖ ٧

١٠٣	ب. حدود التراحم
١٠٧	٩. الرفق والمدارة الاجتماعية
١٠٧	أ. الأرضية والمنشأ
١١٠	ب. المدارة في اختلاف الدرجة
١١٣	ج. المدارة مع المخالف في الدين
١١٦	١٠. الأخلاق الارتباطية/ حُسن الأخلاق
١١٩	أ. الألفة والتألف
١٢٠	ب. المرونة واللين
١٢٢	ج. حُسن القول
١٢٣	د. حُسن البشر
١٢٤	هـ. المزاح
١٢٤	و. الرضى / الامتعاض
١٢٥	ز. كظم الغضب
١٢٧	١١. الإنصاف الاجتماعي
١٢٨	أ. منشأ الإنصاف
١٣٠	ب. معيارية الذات: معيارية الإنصاف
١٣١	ج. الآثار الاجتماعية للإنصاف
١٣٢	د. أمارات الإنصاف
١٣٤	هـ. القدرة وعدم الإنصاف!
١٣٤	١٢. الإيثار الاجتماعي
١٣٥	أ. أرضية الإيثار الاجتماعي
١٣٧	ب. أنواع الإيثار
١٤٠	١٣. الشكر الاجتماعي
١٤٠	أ. الأرضية الاجتماعية للشكر
١٤٤	ب. آلية تأثير الشكر
١٤٦	ج. ردّة الفعل السليمة تجاه عدم الشكر!

٨ ❖ النموذج الإسلامي للسلامة الاجتماعية

١٤. الصبر والحلم الاجتماعي ١٥١
- أ. معرفة خلفية الحلم ١٥١
- ب. النماذج الكبيرة في الحلم ١٥٥
- ج. الآثار الاجتماعية للحلم ١٥٧
١٥. الصفح الاجتماعي ١٥٨
- أ. معرفة جذور الصفح ١٦١
- ب. الآثار الاجتماعية ١٦٥
١٦. التواضع الاجتماعي ١٦٧
١٧. إرادة الخير الاجتماعي ١٧١
- أ. أرضية إرادة الخير ١٧١
- ب. مساحة إرادة الخير ١٧٣
- ج. قبول النصيحة ١٧٤
١٨. الإصلاح الاجتماعي ١٧٦
- أ. الأرضية والمنشأ ١٧٦
- ب. أهمية الإصلاح ١٧٨
- ج. مسئول الإصلاح ١٨٠
١٩. الدفع والردع الاجتماعي ١٨٥
- أ. الأرضية والمنشأ ١٨٥
- ب. الأهمية والأداء ١٨٥
٢٠. رعاية الأمانة ١٨٧
- أ. المفهوم والمنشأ ١٨٧
- ب. أهمية رعاية الأمانة وضرورتها ١٨٨
- ج. مساحة رعاية الأمانة ١٩٠
- د. المجالس بالأمانات ١٩٣
٢١. الصدق الاجتماعي ١٩٨
- أ. ماهية الصدق ١٩٨

ب. الأرضية والمنشأ	٢٠١
ج. المكانة والأهمية	٢٠٢
د. مساحة الصدق	٢٠٦
٢٢. الوفاء الاجتماعي	٢٠٨
أ. الأرضية والمنشأ	٢٠٨
ب. الأثر الاجتماعي للوفاء	٢٠٩
ج. علاقة الوفاء بالصدق والأمانة	٢١١
٢٣. السرور الاجتماعي	٢١٢
أ. مفهوم السرور	٢١٢
ب. الأسباب والعناصر	٢١٢
٢٤. الآداب الاجتماعية	٢١٧
أ. المعنى والمراد	٢١٧
ب. الأرضية والمنشأ	٢١٨
ج. أثر الآداب الاجتماعية	٢١٩

الفصل الثالث:

النموذج الإسلامي للسلامة الاجتماعية

أولاً: نموذج الموقع المحوري للسلامة الاجتماعية	٢٢٣
١. الموقعيات النازرة إلى الآخرين	٢٣٦
أ. ممتلكات الآخرين	٢٣٦
ب. ضعف وحرمان الآخرين	٢٣٨
ج. مصير الآخرين	٢٣٩
٢. الموقعيات النازرة إلى الذات	٢٤٠
أ. الخير الحاصل	٢٤٠
ب. الإساءة الحاصلة	٢٤١
ج. المنزلة المدركة	٢٤٣
٣. الحالات النازرة إلى طرفي العلاقة	٢٤٥

أ. المشاعر المتبادلة بين الأفراد.....	٢٤٦
ب. القرارات والعقود.....	٢٥٣
ج. شكل الارتباط وقالب العلاقة.....	٢٥٥
د. شغف الارتباط.....	٢٥٦
ثانيًا: النموذج التراتبي في السلامة الاجتماعية.....	٢٥٦
١. الأمن الاجتماعي.....	٢٦٠
٢. توقع الخير (الخير الاجتماعي).....	٢٦٧
أ. نموذج التعامل المتكافئ/ المتوازن (المرتبة المتوسطة).....	٢٦٨
ب. نموذج التعامل المتعالي/ الكريم (المرتبة المتعالية).....	٢٧١
ثالثًا: النموذج الأبعادي للسلامة الاجتماعية.....	٢٩٠
١. الأمن الاجتماعي.....	٢٩٣
٢. الكرامة الاجتماعية.....	٢٩٤
٣. الثروة الاجتماعية.....	٢٩٥
٥. الانسجام الاجتماعي.....	٢٩٨
٦. النشاط الاجتماعي.....	٢٩٩
٧. الزينة الاجتماعية.....	٣٠٠

الفصل الرابع:

التبويب والنموذج العام

بيان النماذج العامة.....	٣٠٤
نتائج التحقيق.....	٣٠٥
المصادر.....	٣٠٧

كلمة المركز

إنَّ المنهج الإسلامي الذي يمكن تحديد معالمه وقواعده بالاستناد إلى القرآن الكريم، والسُّنة النبويّة المطهّرة وما أُثر عن الأئمّة المعصومين عليهم السلام يهدف إلى تحقيق تربية متّزنة ومتكاملة للمجتمع الإنساني بشكل عامّ، والمجتمع الإسلامي بشكل خاصّ، وللمنهج المتبنّي في التربية تأثير مباشر على الثقافة والسلوك؛ فهو الذي يجعل الإيمان والشعور الباطني به حركةً سلوكيّة في الواقع ويحوّل هذه الحركة إلى عادة ثابتة، فتبقى فيه الحركة السلوكيّة متفاعلة مع ما يُحدّد لها من تعاليم وبرامج.

وهنا تبرز حاجة الإنسان إلى منظومة البرامج والقيم التي تتقوّم بها هذه العملية، ومن أبرزها وأهمها عناصر حماية المجتمع من الآفات الاجتماعية والتربوية التي تبدأ بالظهور والتبلّور عند التخلّف عن المعايير والقيم المقبولة، ما يولّد مجموعة من الاضطرابات والآفات السلوكيّة لأفراد المجتمع، سواء أكان على المستوى الفرديّ أم الجماعيّ. علماً بأنّ الآفة الاجتماعية تطلق على كلّ سلوك فرديّ أو جماعيّ يتجاوز الأصول الأخلاقيّة وقواعد العمل الجماعيّ العام أو غير الرسميّ للمجتمع، ونتيجة لذلك تلحقه وصمة القبح الأخلاقيّ والاجتماعيّ.

وهذا ما يفرض التوجّه نحو وضع الحلول العلاجية المناسبة تبين مفهوم السلامة الاجتماعية وتأصيله، وتحديد عناصره ومقوماته؛ لأنّ السلامة الاجتماعية لها صبغة إيجابية وبناءة من جهة، ولها آثار إيجابية على جميع الموارد البشرية وغيرها، وتشكّل واحدة من أركان ومعايير السلامة في كلّ بلد.

هذا الكتاب «النموذج الإسلامي للسلامة الاجتماعية» عبارة عن جهد بحثي تخصّصي وهادف، قد بذله المؤلّف وفق منهج علمي ورؤية واضحة، والميزة الأهمّ أنّه تتبّع الأدلّة في المصادر الإسلامية، دون أن يُغفل فهم الواقع وقراءة النظريات والأفكار المعاصرة، ويستفيد منها حيث يمكن.

ولهذه الغاية نتقدّم بخالص الثناء والشكر والتقدير لمؤلّفه الدكتور عباس پسنديه، ولكلّ من ساعد وساهم في إنجاز هذا العمل القيم.

المركز الإسلامي للدراسات الاستراتيجية

المقدمة

منذ عام ٢٠١٧م تمت دعوتي إلى مجموعة السلامة الاجتماعية في كلية العلوم الطبية للشؤون الثقافية. وشيئاً فشيئاً وجدت موقعي في مسار الخطط والمشاريع والتوجهات الخاصة بالمجموعة، وتعرّفت على وجهات نظر أعضاء المجموعة الكرام. ولدى المجموعة ثلاثة توجهات تقوم على أساس التحقيقات العلمية، والتحقيقات الإسلامية، وأوضاع المجتمع. وبعد تعرّفي على المجموعة بشكل نسبي، اتّضح لي أنّ من بين الأمور التي تفتقر إليها المجموعة، فقدان المبنى النظري المحدّد في حقل السلامة الاجتماعية. ومن هنا فقد تمّ تكليفي بمقترح من قبل هذه المجموعة كي أتولّى القيام بمشروع السلامة الاجتماعية في المصادر الإسلامية. فعملت من فوري على إعداد دراسات أوليّة. وحيث يمكن بيان السلامة الاجتماعية ضمن قسمين، وهما: «الفردية» أو «ما بين الأفراد» و«الاجتماعي / المجتمعي»، فقد تقرّر العمل على هذا المشروع -بالنظر إلى محدودية المجموعة والكلية الثقافية- ضمن مرحلتين؛ المرحلة الأولى: تمّ التخطيط لها لغرض بحث نموذج السلامة الاجتماعية في العلاقات القائمة بين الأفراد، وتمّ إعلام المجموعة بذلك، قد تقرّر العمل -بسبب المحدوديات مرّة أخرى- على تحديد وبيان مفاهيم السلامة الاجتماعية في الخطوة الأولى، واستخراج نموذج السلامة الاجتماعية في مشروع آخر. وهكذا بدأنا العمل على هذه المهمة الملقاة على عاتقنا ضمن هذا الإطار.

لقد استفدنا في هذه الدراسة من الأسلوب التركيبي^١. وفي دراسة المصادر الدينية تمت الاستفادة من المنهج التوضيبي/ التحليلي التقليدي في البحث الديني^٢، حيث يقوم على تحليل المحتوى والمضمون الكيفي لنصوص القرآن والمصادر الروائية والحديثية. وفي الخطوة اللاحقة تمت الاستفادة في تعيين اعتبار المعطيات والنتائج من أسلوب هيئة الخبراء^٣. في ضوء المنهج المذكور، تكون المراحل التي تم اجتيازها في هذه الدراسة على النحو الآتي:

المرحلة الأولى: تعريف موضوع الدراسة وأبعادها.

المرحلة الثانية: جمع المعلومات.

المرحلة الثالثة: تحليل المعطيات والنتائج.

المرحلة الرابعة: تقويم اعتبار المعطيات والنتائج.

لا سيما تحليل المعلومات في هذا القسم، حيث يتم من خلال اتجاه السلامة الاجتماعية، والمراد من ذلك هو العمل على استنطاق المعلومات الدينية من زاوية السلامة الاجتماعية، وفي هذه المرحلة تمّ توظيف ثلاثة مستويات من التحليل تنطلق في حركتها من البسيط إلى العميق، وهذه المستويات الثلاثة عبارة عن:

١. تحليل المستوى الأول من المعطيات والنتائج من أجل الوصول إلى عناصر السلامة الاجتماعية أو المفاهيم القابلة للتعريف في السلامة الاجتماعية. إن منطق التحليل في هذا القسم، هو العثور على دور العناوين الإسلامية ومعطياتها ونتاجها في السلامة الاجتماعية والعثور على الروابط الأولية فيما بينها.

1. Mix method

٢. پسندیده، روش فهم متون دینی بارویکرد روان شناختی؛ پسندیده، فقه الحديث (٢)؛ پسندیده، فقه

الحديث (٣).

3. Expert Panel

٢. السطح الأعمق من التحليل عبارة عن دراسة هذه العناصر بشكل جماعيّ من أجل اكتشاف العلاقات والروابط القائمة فيما بينها. إنّ نتيجة هذا التحليل يمكن أن توصلنا إلى عناصر أشمل ومعطيات أحدث وأكثر عمقاً. وبطبيعة الحال فإنّ تحليل المستوى الثاني يتضمّن عدّة مستويات؛ المستوى الأوّل هو التحليل الموضوعيّ، وكذلك التحليل البُعديّ للسلامة الاجتماعيّة الذي يقوم على أساس تحليل المستوى الأوّل (معرفة العناصر)؛ والمستوى الآخر التحليل التراتبيّ للسلامة الاجتماعيّة الذي يقوم على أساس معرفة العناصر ومعرفة الأبعاد.

لقد حقّق هذا المشروع ما هو أبعد من المستوى المنشود من الناحية العمليّة، وذلك من خلال دخوله إلى استعراض النموذج. وبعد ذلك تمّ العمل على تكميل هذا المشروع في كليّة الأخلاق وعلم النفس، وبعد إضافة ما يقرب من ١٦٠ صفحة تحوّل هذا المشروع إلى هذا الكتاب الذي نضعه بين يديك، على أمل أن ينتفع به الراغبون. والمهمّ في البين هو أن تصل هذه التحقيقات إلى مرحلة التطبيق، وأن تقع مورداً للاستفادة في مسار التخطيط من أجل تحقيق السلامة الاجتماعيّة.

إنّ إنجاز هذا البحث والوصول به إلى خواتيمه يتوقف على العمل المشترك وتضافر الجهود والعمل الجماعيّ؛ ومن هنا فإنّني أتقدّم بجزيل الشكر إلى جميع الأخوة الأعزّاء والكرام الذين قدّموا لي يد العون من أجل إنجاز هذا المشروع، وأخصّ منهم بالذكر كلّاً من:

- السادة الدكتور إمامي رضوي، والراحل الدكتور دماري، اللذين أثريا هذه المشروع من خلال تقديم الاستشارات البناءة.

- السيّدة الدكتورة تبريزجي وصف آرا التي تكفّلت بمهمّة الإشراف على هذا المشروع وتقويمه.

- السادة الأعضاء المحترمون في مجموعة السلامة الاجتماعية في الكلية الثقافية، ولا سيما منهم الأساتذة الكرام الذين كان لهم نشاط فاعل في اللجنة المشاركة، وهم كلّ من: السيّد الدكتور كديور، والسيّد الدكتور تبريزجي، والسادة الدكتور إمامي، والدكتور ياسمي، والدكتور وثوق، والدكتور نصرتي نجاد، والدكتور قريشي، والدكتور بور رضا، والدكتور صفارنيا، والدكتور جواد ي.
- الباحثون والمحقّقون الكرام في كلّية القرآن والحديث الذين كانت لهم مشاركة فاعلة في لجنة المشروع، وهم كلّ من: السادة حجج الإسلام عبد الهادي مسعودي، والسيّد كاظم الطباطبائيّ، والدكتور رحمتي، والدكتور عباسي، والدكتور خطيب، والدكتور رفيعي هنر، والدكتور صادق سرشت.
- الأستاذة السيّد حسين الخيرة المحترمة في المجموعة، حيث كان لها دور فاعل في القيام بالتشريفات الإدارية ولجنة خبراء المجموعة.
- كلّية العلوم والمعارف الإسلامية للأبحاث التي وفّرت لنا المصادر اللازمة للقيام بهذا المشروع.
- السيّد حسن بهزادي الذي كان له دور في عقد اللجنة وجمع آراء الخبراء الكرام وتبويبها.
- زوجتي وأولادي الأعزاء الذين وفّروا لي الأرضية وشجّعوني على القيام بهذه الدراسة والتحقيق.

عباس پسندیده

الثالث من شهر شعبان ١٤٤٣هـ

الفصل الأول: مفهوم السلامة الاجتماعية ومفاهيمها الإسلامية

ما هي السلامة الاجتماعية؟

لقد كانت مسألة الآفات الاجتماعية محطّ اهتمام المفكرين والباحثين على الدوام. بالتزامن مع اتّساع رقعة الثورة الصناعية وانتشار مساحة الاحتياجات، فقد أدّى الحرمان الناشئ عن استحالة القضاء على متطلّبات الحياة إلى انتشار واسع للفساد والتمرّد والجريمة والضياع والسرقه والانحرافات الجنسيّة، وما إلى ذلك من الآفات الأخرى. إذا لم يتمّ العمل في المجتمع على رعاية القوانين والمعايير، فسوف تحلّ محلّها الانحرافات ويصاب المجتمع بالخلل. تعدّ الآفات الاجتماعية والمجتمع المتضرر من المفاهيم التي يتكرّر استعماؤها كثيرًا في الوقت الراهن، حتّى في مجتمعنا أيضًا. إنّ الآفات إنّما تبدأ بالظهور حيث يتمّ التخلف عن المعايير المقبولة اجتماعيًا. وعدم الالتزام بالمعايير الاجتماعية يؤدّي إلى ظهور الآفات الاجتماعية. ويُطلق مصطلح الآفات الاجتماعية على مجموعة من الاضطرابات والآفات السلوكيّة

لأفراد المجتمع، سواء أكان على المستوى الفردي أم الجماعي؛ حيث تعود جذورها إلى الفوضى وعدم النظم وانحرافات الظواهر الاجتماعية وتداعياتها السلبية. تؤدي هذه الآفات في الغالب إلى الإضرار بالحالة النفسية والجسدية والمادية للطبقات الخاصة والهشة في المجتمع. وبعبارة أخرى: إن الآفة الاجتماعية تطلق على كل سلوك فردي أو جماعي يتجاوز الأصول الأخلاقية وقواعد العمل الجماعي العام أو غير الرسمي لمجتمع الناشطين والفاعلين؛ ونتيجة لذلك يواجه حظرًا قانونيًا، أو تلحقه وصمة القبح الأخلاقي والاجتماعي؛ ولهذا السبب يسعى المنحرفون إلى إخفاء انحرافاتهم عن أعين العاملين في مجال القانون والأخلاق العامة والنظم الاجتماعية؛ وإلا فإنهم في غير هذه الصورة سوف تتم ملاحقتهم قانونيًا، وسوف يواجهون التكفير الأخلاقي والطرده من المجتمع.

في قبال الآفة الاجتماعية يقع مفهوم السلامة الاجتماعية، فعلى الرغم من أن الخوض في بحث الآفات الاجتماعية - بوصفها حالة فورية وطارئة - يُعد أمرًا واجبًا وضروريًا، بيد أن البرنامج العميق والأصيل هو العمل على تقوية السلامة الاجتماعية وتعزيزها والخوض فيها. للآفة الاجتماعية صبغة سلبية، وأمّا السلامة الاجتماعية فلها صبغة إيجابية وبناءة وتقدمية؛ فالسلامة الاجتماعية - بالإضافة إلى السلامة الجسدية والنفسية والمعنوية - تشكل واحدة من الأركان المقومة للسلامة، بل هي من أهم معايير السلامة في كل بلد. والسلامة الاجتماعية ظاهرة تقع بين الأفراد، وبالنظر إلى اختلافها عن «السلامة الفردية»، و«المجتمع السليم» فإنها تقع في موضع ومنزلة وسطى.

السلامة الاجتماعية في الواقع ثمرة ونتيجة لخطوات تمهيدية يتم اتخاذها لغرض تحسين السلامة وتطويرها على المستويين الفردي والاجتماعي، وإن تحقق السلامة الاجتماعية واستمرارها بحاجة إلى حاضنة اجتماعية سليمة من جهة، وهو رهن بوجود الأفراد الذين يتمتعون بمقدار كبير من السلامة الفردية من جهة أخرى. تشكل السلامة الاجتماعية مع السلامة الجسدية والنفسية الأسس الأصلية للسلامة العامة، وثمة علاقة متبادلة بين سلامة الأفراد النفسية وبين حالاتهم الاجتماعية^١. إن «السلامة» -بوصفها مفهوماً مشتركاً في جميع المقولات الثلاثة المذكورة آنفاً- قبل أن تكون حقيقة علمية متفقاً عليها، هي عنصر أيديولوجي مختلف فيه؛ ومن هنا فإنه بالنظر إلى الجهات الفكرية المختلفة نواجه تعاريف مختلفة لها. ثمة من يرى أن السلامة الاجتماعية بمنزلة تقويم الفرد لأدائه في قبال المجتمع^٢. وثمة من يرى أن الفرد إنما يكون متصفاً بالسلامة الاجتماعية فيما لو أمكنه أن يعمل على إظهار نشاطاته وأدواره الاجتماعية في الحدود المتعارفة، ويشعر بالتواصل مع المجتمع والمعايير الاجتماعية^٣. وفي ضوء تعاريف أخرى إنما يتم اعتبار الشخص

1. Meyer IH, Prejudice, "social stress and mental health in lesbian, gay, and bisexual populations"; Eisen and Dickey, *Mental health outcome assessment: The new agenda*.

نقلاً عن كربليوند، گلزارپور ورفيعي، «ساخت ورواسازي ابزار تركيبی آسايش روانی - اجتماعي».

٢. رياحي وآخرون، «بررسی رابطه بين حمايت اجتماعي وسلامت روان».

٣. فدایي مهربانی، «سلامت اجتماعي وشاخص های آن»؛ نقلاً عن: پورأفکاري، معنای سلامت اجتماعي

ومفاهيم اسلامي آن.

متصفاً بالسلامة الاجتماعية إذا تمكّن من إظهار نشاطاته وأدواره الاجتماعية في الحدّ المتعارف في الأسرة والمجتمع، وأن يقيم الارتباط مع أسرته ومع المجتمع الذي يعيش فيه ضمن أطر المعايير الاجتماعية القائمة. إنّ السلامة الاجتماعية في الأسرة تكون سبباً لتمتّع الأفراد في المجتمع بالدوافع والمعنويات، وتبعاً لذلك يصبح المجتمع حيويّاً ونشطاً ويشقّ طريقه نحو التنمية والاستقرار^١. ومن الواضح أنّ هذه التعاريف متأثرة بالاتجاهات الثقافية والأيدولوجية لأصحابها. إنّ تعريف السلامة تابع للفرضيات الأولى الأنطولوجية والأثروبولوجية والغائية^٢ التي تشكّل الفصل المميّز المهمّ بين الأديان والمذاهب والأيدولوجيات المختلفة. إنّ الإقرار بهذه الحقيقة يُساعد المحقّقين والناشطين في هذا الحقل من أجل اقتباس الحدود المنطقية، والتعرّف بوضوح على الإبداعات النظرية في مجال عملهم ومراعاتها بالشكل الصحيح. وعلى هذا الأساس لو أمكن لنا الاستفادة في مقام التعريف الكليّ والنظريّ لـ «المجتمع السليم» و«السلامة الفردية» و«السلامة الاجتماعية» من تعاريف المنظرين الغربيين، فلا يمكن لنا الاستفادة - في مقام بيان التعاريف العملية والتفصيلية - على هذا النحو، بمعنى أنّه لا يصحّ اعتماد هذا النوع من الأخذ والاقتباس من الناحية المنطقية؛ إذ من شأن ذلك أن يُبعدنا عن الغاية الأصلية من هذا الأمر. إنّ هذا التمايز يقع مؤثراً سواء في البعد المعرفي لهذه

١. فدايي مهرباني، «سلامت اجتماعي وشاخص هاي آن»؛ نقلًا عن: سيفزاده، سلامت اجتماعي ومفاهيم فرهنگي آن.

٢. الغائية (teleology): مذهب يُفسّر الظواهر في ضوء أسبابها النهائية. (المعرب: نقلًا عن منير البعلبكي، المورد).

المقولات أم في المضامين والمحتويات الداخلية لها، ويجب أخذها بنظر الاعتبار من هذه الناحية.

وفي بيان كليّ من أجل إظهار التمايزات الأوليّة بين هذه الأبعاد الثلاثة، يمكن القول إنّ السلامة في البُعد الفرديّ تكون محدودة بحالات وصفات ليس لها أيّ دور أو أثر في وجود «الآخر»؛ من قبيل: السلامة الجسديّة، والعقل والذكاء، أو التقوى والتوكّل على الله. وأمّا السلامة الاجتماعيّة، فهي ترتبط بتلك الطائفة من الخصائص النازرة إلى الآخر، وتكتسب الموضوعيّة بالنظر إلى وجود الأفراد الآخرين؛ من قبيل الشعور بالتعاطف والمسؤوليّة والأدب والأمانة والتعاون والمشاركة. وأمّا السلامة على مستوى المجتمع، فهي تختلف عن هذين الأمرين بشكل كامل؛ إذ إنّها تتّجه نحو خصائص ومشخصات هي من صفات المجتمع دون الأفراد، من قبيل: التنمية والعدالة، والتوازن في توزيع السكّان، والهرم السنيّ، أو استقلال البلاد واكتفاؤها الذاتيّ.

في ضوء التعريف الذي تمّ بيانه للسلامة الاجتماعيّة في المؤتمر الأوّل للسلامة الاجتماعيّة في عام ١٣٩٨ هـ.ش، فقد تمّ تعريف السلامة الاجتماعيّة على النحو الآتي: «كميّة وكيفيّة تعامل الأفراد من أجل تحقيق الازدهار والرفاه في المجتمع». وعلى الرغم من إمكان المناقشة في هذا التعريف، إلّا أنّه يقع حاليّاً أساساً لمجموعة السلامة الاجتماعيّة. توجد رؤيتان عن السلامة الاجتماعيّة^١ في أدبيّات هذا الحقل: الرؤية الفرديّة: في ضوء هذه الرؤية يجب على كلّ فرد -بالإضافة إلى السلامة

من الناحية الجسدية والنفسية والمعنوية - أن يحظى بالسلامة من الناحية الاجتماعية أيضًا، فالسلامة الاجتماعية في هذه الرؤية تشير إلى تلك المجموعة من العلاقات التي يجب أن يتحلّى بها الشخص تجاه الآخرين وتجاه المؤسسات الاجتماعية، والذي يمثل - في الحقيقة والواقع - النقطة المقابلة للعزلة الاجتماعية.

الرؤية الاجتماعية: تشير السلامة الاجتماعية في ضوء هذه الرؤية إلى حالة اجتماعية تشتمل على بعض الخصائص، وتوجد آراء مختلفة تمّ بيانها بشأن المعنى الدقيق لها، فبعض المفكرين اعتبرها معادلاً للرفاه الاجتماعي، ثمّ أخذ استعمال مصطلح «السلامة الاجتماعية» ينحسر في هذا المفهوم شيئاً فشيئاً، ليحلّ محله مصطلح «التحسن الاجتماعي»^١. وعلى هذا الأساس، فقد تمّ استعمال السلامة الاجتماعية عموماً من أجل توصيف حالة الأفراد ووجود (التحسن) الاجتماعي بالنسبة إلى المجتمع. إذا كان «الفرد» هو مقياس التحليل، فيجري الاستفادة من مصطلح السلامة الاجتماعية، وإذا كان المقياس هو «المجتمع»، فتجري الاستفادة من مصطلح (التحسن) الاجتماعي^٢.

إنّ التقسيم والتفسير أعلاه - الذي قام على أساس دراسة تحقيقية - يمثل نتيجة دقيقة، ولكن يبدو أنّ القول بفردية مفهوم السلامة الاجتماعية موضع تأمل. إنّ الذي تمّ اعتباره هو المراد من السلامة الاجتماعية ليس هو الفرد ولا هو المجتمع،

1. Social well being.

٢. نصرتي نژاد، چيستی سلامت اجتماعی. لقد تمّ بحث ماهية ومفهوم السلامة الاجتماعية في التحقيق المنجز في مجموعة السلامة الاجتماعية؛ ولذلك فإننا نحجم عن تكراره هنا.

وإنّما هو «العلاقات والروابط بين الأفراد». يمكن اعتبار السلامة الجسدية أمراً فردياً، بيد أنّ السلامة الاجتماعية في الرؤية الأولى لها أمر يقع بين الأفراد، وأمّا في الرؤية الثانية، فهي أمر اجتماعي (أو مجتمعي)^١. فالسلامة الاجتماعية في الرؤية الأولى تتعرّض إلى بحث نوع ارتباط الأفراد وتعاملهم، وليس مجرد بحث الخصائص الفردية، وعلى الرغم من أنّ السلامة الاجتماعية في هذه الرؤية تبحث في نوع الارتباط والتعامل بين الأفراد، بيد أنّ تركيزها الأكبر يقع في بحث العلاقات والتعاملات بين الأفراد، وموضوعها هو العلاقات والروابط بين الأفراد، ويجب اعتبارها في الحقيقة خاصية العلاقة والتعامل. وعلى هذا الأساس، يبدو أنّ اعتبار هذا المفهوم أمراً فردياً في الرؤية الأولى له هو الأدقّ.

إنّ الذي تتعرّض هذه الدراسة إلى بحثه، هو الرؤية الأولى للسلامة الاجتماعية بوصفها أمراً يحدث بين الأفراد. إنّ موضوع هذه الدراسة عبارة عن بحث مفهوم السلامة الاجتماعية (بوصفه أمراً بين الأفراد) في المصادر الإسلامية الأصيلة، ونعني بها القرآن الكريم والسنة المطهرة. إنّ الجزء الأكبر من التعاليم الإسلامية يبحث في تنظيم العلاقات الاجتماعية؛ بحيث قلما يمكن العثور على مفهوم لا يحتوي على صبغة اجتماعية وارتباطية. تشير نتائج البحث في القرآن الكريم من أجل التعرّف على الآيات المرتبطة بالأبعاد الثلاثة للسلامة إلى أنّ هناك في ٦٧ سورة

١. لقد تمّ اشتقاق لفظ «المجتمعي» من كلمة «المجتمع» لتقع في قبال «المجتمع» (Social) و«المجتمعي» (Societaire)، كي لا يتم الخلط بينها وبين صفة «الاجتماعي» المشتقة من الاجتماع المعادل في الإنجليزية لمصطلح (Communal) و«المجتمعي» (Communaire).

من سور القرآن الكريم - ما نسبته حوالي ٥٨٪ من مجموع سور القرآن الكريم - ما يُشير بالتحديد إلى واحد أو اثنين أو جميع الأبعاد الثلاثة الأصلية للسلامة (وهي: السلامة الجسدية والنفسية والاجتماعية). ولأكثر آيات القرآن الكريم إشارة عامة إلى أبعاد السلامة الجسدية والنفسية والاجتماعية، بيد أن عدد مجموع الآيات الواردة في خصوص الأبعاد الثلاثة الأصلية من السلامة هو ٤٧١ آية، حيث توجد ١٠١ آية خاصة بالسلامة الاجتماعية، و ٤١ آية خاصة بالسلامة النفسية، و ٦٩ آية خاصة بالسلامة الجسدية^١. وثمة بعض الأبحاث والدراسات التي تتعلق بمباني السلامة المعنوية^٢. ومن هنا فقد كانت السلامة المعنوية في القرآن والروايات موردًا للبحث والدراسة أيضًا، وإن كان هذا خارج موضوع هذه الدراسة.

تشير هذه الأمور إلى أن النصوص الإسلامية (القرآن والسنة)، تُعدّ مصادر غنية لموضوع السلامة الاجتماعية، ولكن لم يتمّ التعرّض لها بشكل محدّد وهادف. والمسألة المهمّة هنا هي أن عنوان السلامة الاجتماعية لم يرد في المصادر الإسلامية بشكل مستقلّ، الأمر الذي يزيد أمر البحث في هذا الموضوع تعقيدًا. ومن هنا يرد السؤال القائل: ما هي العناوين الرئيسة التي تعرّض فيها الإسلام لهذه المقولة؟ وما هو مفهوم السلامة الاجتماعية من وجهة نظر الإسلام؟ إنّ العثور على العناوين

١. يدالله پور، وآخرون، «برسي آيه هاي قرآن كريم در زمينه سه بُعد اصلي سلامتي (جسمي، روتي واجتماعي)».

٢. رشاد، وعباس زاده، «مباني سلامت معنوي»؛ عباس زاده ورشاد، «نگاهي به مباني دين شناختي و انسان شناختي و برخي شاخص هاي سلامت معنوي».

الرئيسية من شأنه أن يُسهّم في تحديد مفاهيم السلامة الاجتماعية من وجهة نظر الإسلام.

المفاهيم الإسلامية للسلامة الاجتماعية

بعد تحديد تعريف البحث والتحقيق وحدوده، بدأت الدراسات الإسلامية من أجل العثور على المعلومات اللازمة في البحث والتحقيق. وفي هذه المرحلة يجب أن يتم تشخيص المعادل الإسلامي ورؤوس العناوين في المصادر الإسلامية. إنّ هذه المرحلة إنّما تكتسب أهميّتها من أنّها تشكّل جسراً ومعبراً موصلاً إلى الأبحاث الدينية؛ ولهذه الغاية، بالإضافة إلى المصادر والأعمال المنشورة والمطبوعة، تمت دراسة الملفات حتّى قبل انتشارها والتعرّف على العناوين الرئيسة المرتبطة بموضوع البحث أيضاً، وقد اشتملت على ما يقرب من ٥٤ عنواناً (الجدول رقم: ١).

الجدول رقم: ١

العناوين والكلمات المفتاحية		
١. الكرم/ الكرامة	٢. الإنصاف	٣. الصدق
٤. العزة	٥. الإيثار	٦. الإخلاص
٧. الحرمة/ الحريم	٨. الشكر	٩. الرياء
١٠. التغافل	١١. العفو	١٢. السمعة
١٣. الحمل على الصحة	١٤. التواضع	١٥. العرض/ الستر
١٦. الاعتذار	١٧. النصيحة	١٨. المال
١٩. الإنكار	٢٠. حُسن البشر و...	٢١. الدم
٢٢. الحفظ/ الحماية	٢٣. المزاح	٢٤. الدين والإيمان
٢٥. الإحسان	٢٦. الضحك	٢٧. الوفاء
٢٨. الألفة	٢٩. الفرح	٣٠. الحقد
٣١. المحبة	٣٢. السرور	٣٣. الانتقام
٣٤. الأُنس	٣٥. النشاط	٣٦. الرحمة/ الرحم
٣٧. الصديق	٣٨. حُسن الكلام	٣٩. الرفق والمداواة
٤٠. الأخوة	٤١. السخاء	٤٢. الحلم
٤٣. التعاون	٤٤. المواساة	٤٥. كظم الغيظ
٤٦. الصدقة	٤٧. الجود	٤٨. الأمر بالمعروف
٤٩. القرض	٥٠. الإنفاق	٥١. النهي عن المنكر
٥٢. البخل	٥٣. الولاء	٥٤. البراء

الخطوة الثانية عبارة عن مرحلة جمع المعلومات، وهي التي يُصطلح عليها بـ«أسرة النصوص»^١. ولهذا الغاية تمت دراسة المصادر المنشورة^٢ وغير المنشورة، وتم أخذ النصوص اللازمة للموضوعات التي ورد ذكرها في الجدول أعلاه.

لقد تمّ العمل في هذه الدراسة على جمع الآيات والروايات التي كانت تساعد على بيان أصل الموضوع وتدايعاته (من قبيل: المعنى والأهميّة والأداء)، دون الموضوعات الأخرى من قبيل: العناصر والموانع.

تمّ العمل في هذه المرحلة -في الحد الأدنى- على تحليل العناوين المستنبطة في الخطوة الأولى بالنظر إلى المعطيات والنتائج المجموعة. إنّ منطق التحليل في هذا القسم عبارة عن العثور على دور العناوين الإسلامية ومعطياتها في السلامة الاجتماعية والعثور على العلاقات الأوّلية بينها. وكانت نتيجة ذلك عبارة عن دمج وإدغام بعض العناوين في بعضها الآخر، بينما بقي بعضها الآخر على هيئته.

وفي هذه الخطوة تمّ الحصول على ما يقرب من ٢٤ مفهومًا في السلامة الاجتماعية، وتمّ تقويمها من قبل الأساتذة المحترمين في لجنة الخبراء. وفيما يتعلق بتسمية المفاهيم تمّ السعي إلى الاستفادة من عبارات قريبة من أدبيات الدين،

١. عندما تدور مجموعة من آيات القرآن الكريم والروايات المأثورة عن المعصومين (عليه السلام) -باعتبارات متنوعة- حول محور مشترك، تتكوّن أسرة النصوص. إنّ أسرة النصوص تعني مجموعة النصوص المشابهة والمربطة بموضوع واحد، وإنّ وجه الاشتراك الأصلي لهذه النصوص هو نظرها إلى موضوع محوري واحد. (انظر: پسندیده، روش فهم متون دینی. بارویکر دروان شناختی).

٢. محمّدي ري شهري، وآخرون، دانش نامه قرآن وحديث.

وتكون في الوقت نفسه قابلة للفهم في أدبيات السلامة الاجتماعية، وإن لم يكن لها وجود في الأدبيات السائدة. وبعبارة أخرى: تمت التسمية من دون إحداث تغيير في الهوية والماهية الإسلامية لكل مفهوم، بحيث تكون قريبة ومنسجمة مع الأدبيات الاجتماعية. والنقطة الأخرى هي أنّ للآداب الاجتماعية مساحة واسعة في المصادر الإسلامية، بحيث إنّ ذكرها يخرج عن الظرفية الاستيعابية لهذه الدراسة.

ومن هنا فقد تمّ ذكرها بوصفها مفهومًا أو عنصرًا كليًا لتجد مكانها في المشروع العام للسلامة الاجتماعية. وعند الحاجة والضرورة لا بدّ من التعرّض إلى بيان جزئياتها في المشاريع والأبحاث اللاحقة. ويمكن إيضاح المفاهيم الأربعة والعشرين للسلامة الاجتماعية في الجدول رقم (٢):

الفصل الأول: مفهوم السلامة الاجتماعية ومفاهيمها الإسلامية ❖ ٢٩

الجدول رقم (٢): المفاهيم الجزئية

المفاهيم	
الفرعية	الأصلية
التغافل	١. العزة والكرامة الاجتماعية
الحمل على الصحة	
الاعتذار	
الإنكار	
الحماية والدفاع	
الاحتقار (-)	
التعير والطعن/ اللوم (-)	
تسقط العيوب (-)	
الغيبة (-)	
التهمة (-)	
السياب/ الشتائم (-)	
الأنس	٢. الألفة والمحبة الاجتماعية
الصديق	
الأخ/ الأخوة	
العداوة (-)	
البغض (-)	
الولاء	
البراء	

٣٠ ❖ النموذج الإسلامي للسلامة الاجتماعية

_____	٣. الأخوة الاجتماعية
_____	٤. الأسرة الاجتماعية
المال / الاقتصاد	٥. الحرمه / الحرم الاجتماعي
الدم / المهجه / الروح	
العرض / السمعة / الاعتبار	
الدين والإيمان	
السخاء	٦. التعاون الاجتماعي
الجود	٧. المواساة الاجتماعية
الإنفاق	
الصدقة	
القرض	
البخل (-)	
_____	٨. الإيثار الاجتماعي
_____	٩. التراحم الاجتماعي
الرفق	١٠. المدارة الاجتماعية

الفصل الأول: مفهوم السلامة الاجتماعية ومفاهيمها الإسلامية ❖ ٣١

حسن القول	١١. حُسن الخلق
حسن البشر	
الليونة والمرونة	
الضحك والمزاح	
الرضى في السعادة	
عدم الامتناع في الأزمات	
كظم الغيظ	
_____	١٢. الإنصاف
_____	١٣. الشكر الاجتماعيّ
_____	١٤. الصبر الاجتماعيّ
_____	١٥. الصّحّ الاجتماعيّ
التكبرّ (-)	١٦. التواضع الاجتماعيّ
_____	١٧. حبّ الخير الاجتماعيّ
_____	١٨. الإصلاح الاجتماعيّ
_____	١٩. الدفع والمنع الاجتماعيّ
_____	٢٠. الأمانة الاجتماعيّة

_____	٢١. الصدق الاجتماعي
_____	٢٢. الوفاء الاجتماعي
إدخال السرور	٢٣. النشاط الاجتماعي
_____	٢٤. الآداب الاجتماعية

لقد تمّ عرض نتائج هذا التحليل في لجنة خبراء المجموعة والتحقيق، وتمّ تقويمها من قِبَل الأساتذة المحترمين. ويمكنكم مشاهدة نتيجة حكم لجنّتي الخبراء في الجدول رقم (٣):

الجدول رقم (٣): معدّل لجنّتي الخبراء

مقدار الضرورة		مقدار الارتباط		المفاهيم الجزئية للسلامة الاجتماعية
النسبة المئوية	الدرجة	النسبة المئوية	الدرجة (من ٤)	
٨١ / ٢٥ %	٣ / ٢٥	٨٢ / ٥ %	٣ / ٣	العزّة والكرامة الاجتماعية
٧٦ / ٢٥ %	٣ / ٥	٨٦ / ٢٥ %	٣ / ٤٥	الألفة والمحبة الاجتماعية
٧٠ %	٢ / ٨	٨١ / ٢٥ %	٣ / ٢٥	الأخوة الاجتماعية
٦٥ %	٢ / ٦	٥٦ / ٢٥ %	٢ / ٢٥	الأسرة الاجتماعية
٨٧ / ٥ %	٣ / ٥	٨٣ / ٧٥ %	٣ / ٣٥	الحُرمة / الحريم الاجتماعي
٨٧ / ٥ %	٣ / ٥	٨٧ / ٥ %	٣ / ٥	التعاون الاجتماعي

الفصل الأول: مفهوم السلامة الاجتماعية ومفاهيمها الإسلامية ❖ ٣٣

المواساة الاجتماعية	٣ / ٣	٨٢ / ٥	٣ / ٢٥	٨١ / ٢٥
الإيثار الاجتماعي	٣ / ٤	٨٥٪	٣ / ١	٧٧ / ٥
التراحم الاجتماعي	٣	٧٥٪	٢ / ٦٥	٦٦ / ٢٥
المدارة الاجتماعية	٣ / ٦٥	٩١ / ٢٥	٣ / ٤٥	٨٦ / ٢٥
حُسن الخُلُق	٣ / ٦	٩٠٪	٣ / ٠٥	٧٦ / ٢٥
الإنصاف الاجتماعي	٣ / ٦٥	٩١ / ٢٥	٣ / ٦	٩٠٪
الشكر الاجتماعي	٣ / ٦٥	٨٢ / ٥	٣ / ٢٥	٨١ / ٢٥
الصبر الاجتماعي	٣ / ٥	٨٧ / ٥	٣ / ٤	٨٥٪
الصفح الاجتماعي	٣ / ٦٥	٩١ / ٢٥	٣ / ٢٥	٨١ / ٢٥
التواضع الاجتماعي	٣ / ٢٥	٨١ / ٢٥	٢ / ٩	٧٢ / ٥
حبّ الخير الاجتماعي	٣ / ٢٥	٨١ / ٢٥	٣ / ٠٥	٧٦ / ٢٥
الإصلاح الاجتماعي	٣ / ٣٥	٨٣ / ٧٥	٣ / ٣	٨٠٪
الدفع والردع الاجتماعي	٢ / ٨٥	٧١ / ٢٥	٣ / ١٥	٧٨ / ٧٥
الأمانة الاجتماعية	٣ / ٧٥	٩٣ / ٧٥	٣ / ٥٥	٨٨ / ٥٧
الصدق الاجتماعي	٣ / ٧	٩٢ / ٥	٣ / ٦٥	٩١ / ٢٥
الوفاء الاجتماعي	٣ / ٧	٩٢ / ٥	٣ / ٥	٨٧ / ٥
النشاط الاجتماعي	٣ / ٢٥	٨١ / ٢٥	٣ / ٠٥	٧٦ / ٢٥
الآداب الاجتماعية	٣ / ١٥	٨٧ / ٧٥	٣ / ١	٧٧ / ٥

لتوضيح الوضع بشكل أكبر، تمّ أخذ معدّل شاخصي الارتباط والضرورة، وتمّ ترتيبه على أساس مقدار الاعتبار. وفي هذه الخطوة تمّ تحديد أكبر الامتياز فيما يتعلّق

بالإصلاح والتواضع بـ ٧/٣ (٩٢/٥٪)، وأقله فيما يتعلق بحُسن الخُلُق بمعدل ٢ م ٤ (٦٠٪). والعنصر السابق لحُسن الخُلُق هو الدفع والردع الاجتماعي بمعدل ٣ (٧٥٪)؛ بمعنى أن امتياز الخبراء للمفاهيم باستثناء حُسن الخُلُق بين ٣/٧ إلى ٣. وكذلك في حُسن الخُلُق كان أدنى امتياز لمورد الارتباط بـ ٢/٢٥، وأكثرها يرتبط بمورد الضرورة بـ ٢/٦ (النموذج: ١). وهذا الأمر يُثبت أن مفاهيم السلامة الاجتماعية تقع موردًا للتأييد من وجهة نظر الخبراء، وأنه يحظى باعتبار جيد.

النموذج رقم (١): العناصر الجزئية للسلامة الاجتماعية



الفصل الثاني: تحليل المفاهيم الإسلامية للسلامة الاجتماعية

لقد تمّ في الفصل السابق تحديد المفاهيم الإسلامية للسلامة الاجتماعية. وبات من الضروريّ بيان دور العمل على تحليل هذه المفاهيم ودراستها على أساس دورها في السلامة الاجتماعية:

١. العزّة والمنزلة الاجتماعية

تعدّ الحرمة والقيمة الاجتماعية من مفاهيم السلامة الاجتماعية، فالحرمة والكرامة الشخصية تُعدّ من أهمّ الأمور بالنسبة إلى كلّ شخص. ولا شكّ في أنّ الارتباط والتعامل مع الآخرين هي من الأمور التي تشكّل تحدّيًا أمام هذه المسألة. والسؤال هنا هو: هل يتمّ الحفاظ في علاقة ما على حرمة الشخص وقيمه أم لا؟ إنّ النقطة المهمّة في هذا الموضوع هي موقع الشخص عند الطرف المقابل، وليس نفسه أو الله سبحانه وتعالى. فتارة تكون المسألة عبارة عن المكانة والمنزلة التي يراها الشخص لنفسه، أو القيمة التي تكون له عند الله سبحانه وتعالى. وتارة أخرى يأتي السؤال

عن مكانته ومنزلته عند الآخرين؟ وهذا هو الذي يُسمّونه بالمنزلة أو الحرمة الاجتماعية. إنّ الإنسان يرغب في التعرّف على منزلته ومكانته عند الآخرين، فإنّ شعر بأنّ الآخر يرى له قيمة ومنزلة كريمة، فإنّه سوف يشعر بالقرب منه ويحسّ بحميميّة تجاهه؛ وبذلك سوف تتبلور علاقة جيّدة بينهما. وقد تمّ التأكيد في المصادر الإسلاميّة على حرمة المؤمن وتكريمه^١، وأنّ يتمّ الامتناع عن احتقاره^٢ ولومه^٣ وإظهار عيوبه^٤ وشتمه^٥ وما إلى ذلك.

ومن المسائل المهمّة، ضمان العزّة والمنزلة والمكانة. وبعد اتضاح أبعاد البحث، يصل الدور إلى كيفيّة ضمان هذا الأمر وتحقيقه. والسؤال هو: ما هي استراتيجيّة تحقيق العزّة والمنزلة الاجتماعيّة؟ يمكن التوصل من خلال مجموع المصادر إلى أنّ استراتيجيّة تحقيق المنزلة الاجتماعيّة رهن بطرفين، وهما: الآخرون والشخص نفسه.

أ. الاستراتيجية الناعمة إلى الآخرين

إنّ الاستراتيجية الناعمة إلى الآخرين تعني أنّ المنزلة الاجتماعيّة للفرد رهن بكيفيّة تعامل الآخرين معه ونظرتهم إليه، فإنّ طريقة تعاظم الآخرين مع الشخص تركّ تأثيرها على منزلته الاجتماعيّة. وفي الأساس، فإنّ العزّة والمنزلة الاجتماعيّة إنّما تعني

١. محمّدي ري شهري، ميزان الحكمة، ج ١٠: ٩٩.

٢. م. ن، ٣: ١٤٠ فما بعد.

٣. م. ن، ٣: ٣٣٧ فما بعد.

٤. م. ن، ٣: ٣١٩ فما بعد.

٥. م. ن، ٩: ٥٥ فما بعد.

موقع الفرد ومكانته عند الآخرين؛ وعليه يكون للآخرين دور مهم في هذا الشأن، وسوف نتحدث في هذا الشأن لاحقاً.

التكريم

لا شك في أن الاحترام والتكريم الذي يحصل عليه من الآخرين في التعامل الاجتماعي والارتباط بين الأفراد هي من الأمور التي تكون سبباً في زيادة المنزلة والقيمة الاجتماعية للشخص، وهو الأمر الذي يؤكد عليه الإسلام بشدة. فقد ورد في المأثور عن النبي الأكرم ﷺ أنه قال: «مَنْ أَكْرَمَ أَخَاهُ فَإِنَّمَا يُكْرِمُ اللَّهُ»^١. وعنه ﷺ أنه قال أيضاً: «إِذَا أَتَاكُمْ الزَّائِرُ فَأَكْرِمُوهُ»^٢. وعنه ﷺ أنه قال: «مَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ فَلْيُكْرِمْ جَلِيسَهُ»^٣.

وفي التعامل بين الأفراد، تحدث حالات ومواقف مختلفة وخاصة من شأنها أن تشكل أرضية وحاضنة للتكريم أو الإهانة، من ذلك -على سبيل المثال- ما ورد في الأثر، عن النبي الأكرم ﷺ أنه دخل عليه سلمان وهو متكئ على وسادة، فألقاها إليه، وقال: «يَا سَلْمَانَ، مَا مِنْ مُسْلِمٍ دَخَلَ عَلَى أَخِيهِ الْمُسْلِمِ، فَيُلْقِي لَهُ الْوَسَادَةَ إِكْرَامًا لَهُ إِلَّا غَفَرَ اللَّهُ لَهُ»^٤.

١. المتقي الهندي، كنز العمال، ح ٢٥٤٨٨.

٢. م. ن، ح ٢٥٤٨٥.

٣. م. ن، ح ٢٥٤٩٠.

٤. المجلسي، بحار الأنوار، ١٦: ٢٣٥ / ٣٥.

وروي عنه عليه السلام أنه قال أيضاً: «مَنْ أَخَذَ بِرِكَابِ رَجُلٍ لَا يَرْجُوهُ وَلَا يَخَافُهُ غُفِرَ لَهُ»^١. إنَّ مصاديق التكریم والاحتراف كثيرة، وهي تختلف وتتغير في تجلياتها باختلاف وتناسب الحالات والأشخاص والأزمنة والأمكنة وحتى الثقافات وسائر المتغيرات الأخرى. والمهم في البين هو أن يتصرف الشخص بحيث يشعر الطرف الآخر منه بالكرامة والقيمة.

ومن بين الأقسام المهمة في التكریم والاحتراف بالآخرين، رعاية مساحاتهم الشخصية والفردية. والذي يتعلق بالفرد هو حدود تكریمه وشخصيته. والذي يدخل الدائرة الشخصية للفرد دون أن يستأذنه أو يعمل على الإضرار بحريمه، يكون في الحقيقة قد أهانه وامتهن كرامته. ومن هنا فقد تم في الثقافة الإسلامية اعتبار روح الإنسان وماله وكرامته من جملة حريمه الشخصي، ويرى لهذه الأمور حرمة وأهمية خاصة. روي عن رسول الله صلی الله علیه وآله وسلم أنه نظر إلى الكعبة، وقال: «مَرْحَباً بِالْبَيْتِ! مَا أَعْظَمَكَ وَأَعْظَمَ حُرْمَتَكَ عَلَى اللَّهِ! وَاللَّهِ، لِلْمُؤْمِنِ أَعْظَمُ حُرْمَةً مِنْكَ»^٢.

وسوف نبحث هذا الموضوع في مبحث الأمن الاجتماعي بالتفصيل، ونكتفي منه هنا بهذا المقدار. والمهم في البين هو أنَّ احترام الآخرين يستلزم رعاية دائرتهم ومساحاتهم الشخصية.

وبالإضافة إلى ذلك، فإنَّ معتقدات الأشخاص مهمة بدورها أيضاً، فحتى

١. المتقي الهندي، كنز العمال، ح ٢٥٥٠١.

٢. الطبرسي، مشكاة الأنوار في غرر الأخبار، ١٤٩، ح ٣٥٧؛ الفتال النيسابوري، روضة الواعظين وبصيرة المتعظين، ٣٢١.

لو كان الشخص يؤمن بعقيدة فاسدة وقد تصل إلى حدّ الشرك بالله، ولكن لا ينبغي أن يتخذ من ذلك ذريعة للاستهزاء به أو شتمه وإهانته، فقد ورد في صريح القرآن الكريم قوله سبحانه وتعالى: ﴿وَلَا تَسُبُّوا الَّذِينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ فَيَسُبُّوا اللَّهَ عَدُوًّا بِغَيْرِ عِلْمٍ﴾ (الأنعام: ١٠٨). ومن هنا فقد ورد في موضع من رسالة الإمام الصادق عليه السلام إلى شيعته، أنّه قال: «إِيَّاكُمْ وَسَبَّ أَعْدَاءِ اللَّهِ حَيْثُ يَسْمَعُونَكُمْ، «فَيَسُبُّوا اللَّهَ عَدُوًّا بِغَيْرِ عِلْمٍ»^١. وقد ذكر شراح هذا الحديث أنّ المراد من سبّ الله، هو سبّ أوليائه والمعصومين عليه السلام.

وقد ورد في المأثور عن الإمام الرضا عليه السلام، أنّه قال لأحد أصحابه: «يَا ابْنَ أَبِي مَحْمُودٍ إِنَّ مُخَالِفِينَا وَضَعُوا أَخْبَارًا فِي فَضَائِلِنَا وَجَعَلُوهَا عَلَى ثَلَاثَةِ أَقْسَامٍ أَحَدُهَا الْغُلُوفُ وَثَانِيهَا التَّقْصِيرُ فِي أَمْرِنَا وَثَالِثُهَا التَّصْرِيحُ بِمَتَالِبِ أَعْدَائِنَا فَإِذَا سَمِعَ النَّاسُ الْغُلُوفَ فِيْنَا كَفَرُوا شَيْعَتَنَا وَنَسَبُوهُمْ إِلَى الْقَوْلِ بِرُبُوبِيَّتِنَا وَإِذَا سَمِعُوا التَّقْصِيرَ اعْتَقَدُوهُ فِيْنَا وَإِذَا سَمِعُوا مَتَالِبَ أَعْدَائِنَا بِأَسْمَائِهِمْ ثَلَبُونَا بِأَسْمَائِنَا وَقَدْ قَالَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿وَلَا تَسُبُّوا الَّذِينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ فَيَسُبُّوا اللَّهَ عَدُوًّا بِغَيْرِ عِلْمٍ﴾^٢.

وبطبيعة الحال لا شيء من ذلك يعني تأييد العقائد الباطلة، بل البحث إنّما يدور حول طريقة وأسلوب التعاطي مع أصحاب العقائد المنحرفة.

١. الكليني، الكافي، ج ١٥: ٢٢.

٢. الصدوق، عيون أخبار الرضا عليه السلام، ١: ٣٠٤، ح ٦٣؛ الطبري الآملي، بشارة المصطفى لشيعته المرتضى،

الدفاع والحماية

عندما تُحدّد موقعيّة التهديد والخطر، يكون هناك حضور للآخرين أيضًا، حيث ينظرون إليها ويشهدون عليها. وهؤلاء بدورهم يحملون مسؤوليّة اجتماعيّة، وإنّ جانبًا من استراتيجيّة التأمين والضمان ناظرة إليهم أيضًا. إنّ الصديق الحقيقيّ هو الذي يحرس جميع الأمور المتعلّقة بالشخص في غيابه، فقد ورد في الماثور عن الإمام عليّ عليه السلام أنّه قال: «لَا يَكُونُ الصَّدِيقُ صَدِيقًا حَتَّى يَحْفَظَ أَخَاهُ فِي ثَلَاثٍ فِي نَكْبَتِهِ وَغَيْبَتِهِ وَوَفَاتِهِ»^١. والنصيحة عند ارتكاب الأخطاء هي من مصاديق هذه الحراسة، والصديق الحقيقيّ هو الذي يبيّن للشخص عيوبه ليطهره من الآفات، قال أمير المؤمنين عليه السلام: «الصَّدِيقُ الصَّدُوقُ مَنْ نَصَحَكَ فِي غَيْبِكَ، وَحَفِظَكَ فِي غَيْبِكَ، وَاتَّوَكَّلَ عَلَى نَفْسِهِ»^٢.

إنّ هذه الاستراتيجية في موضوع الغيبة تظهر على شكلين، وهما أولاً: تجنّب الاستماع إلى الغيبة، وفي هذه الاستراتيجية تمّ اعتبار من يستمع إلى الغيبة بمنزلة مرتكب الغيبة^٣. وهذا الأمر يُشير إلى دور السامع في مسار الغيبة وهتك الحرمات والأعراض، فلو لم يكن هناك مستمع أبداً، فلن يكون هناك قائل ومرتكب للغيبة أيضًا. ومن هنا فإنّ الإمام عليّ عليه السلام عندما رأى شخصاً يغتاب آخر في حضور ولده الإمام الحسن عليه السلام، قال: «يَا بُنَيَّ نَزّهْ سَمْعَكَ عَنْ مِثْلِ هَذَا فَإِنَّهُ نَظَرَ إِلَيَّ أَخْبَثَ مَا

١. الشريف الرضي، نهج البلاغة.

٢. الأمدّي التميمي، غرر الحكم ودرر الكلم، ح ٩٧٢٩.

٣. م. ن، ح ١١٧١.

فِي وَعَائِهِ فَأَفْرَغَهُ فِي وَعَائِكَ»^١. فقد تمّ هنا بيان صورة بليغة تشير إلى ماهية الفعل وحقيقته؛ ومن هنا كان من حقّ الأذن أن يتمّ تجنبها الاستماع إلى الغيبة^٢. إنّ هذه استراتيجية رادعة تجعل سوق الغيبة كاسداً، ويمكن اعتبار ذلك شاخصاً ومعيّاراً في السلامة الاجتماعية.

وبالإضافة إلى الردع عن سماع الغيبة، توجد استراتيجية أخرى تتعلّق بالسامع أيضاً، وهي الدعوة إلى «الدفاع» عن الشخص الذي يتعرّض للاغتيال. ويقع هذا الأمر في مرتبة أعلى من الردع عن مجرد سماع الغيبة. إنّ الامتناع يُعدّ توجّهاً سلبياً، وأمّا الدفاع فهو توجّه فعّال وإيجابي. وقد تمّ التأكيد في المصادر الإسلامية على هذا الأمر -عند توفّر إمكانية الدفاع والدعم- بشكل جاد، وكأنّ هذه مسؤوليّة اجتماعيّة تقع على عاتق الحاضرين، ويمكن أن تُعدّ بوصفها شاخصاً ومعيّاراً في السلامة الاجتماعية.

ب. الاستراتيجية الناعمة إلى النفس

يتولّى الشخص في هذه الاستراتيجية ضمان الأمن والاستقرار بنفسه، ويتّخذ الخطوات والإجراءات المناسبة، فبالإضافة إلى الآخرين يكون الشخص نفسه مؤثّراً من زاوية منزلته الاجتماعية. إنّ العزّة والمنزلة الاجتماعية ليست في يد الآخرين فقط، بل إنّ كميّة أداء الفرد مؤثّرة فيها أيضاً، فهو بدوره يجب أن يتّخذ موقفاً وسلوكاً يحول دون الإضرار بمكانته ومنزلته، وأن يكون له كذلك سلوك

١. المجلسي، بحار الأنوار، ٧٢: ٢٥٩.

٢. الصدوق، الخصال، ١: ٥٦٦.

يرفع من مكانته ومنزلته. وسوف نتعرّض إلى هذه الأمور تباعاً:

إيصال الخير والاستغناء

إنّ من بين الأمور التي تستجلب العزّة والاعتبار الاجتماعيّ، هو الاهتمام بحاجات الناس؛ سواء أكانت من الاحتياجات الضرورية أم غير الضرورية، فالناس يتوقون إلى الحصول على الخير، وكلّ من يوصل الخير والبرّ إليهم، يحظى بالعزّة والاحترام. وهذه المنزلة من أعلى درجات المنازل الاجتماعية. قال الإمام زين العابدين عليه السلام للزهري: «وَاعْلَمْ: أَنَّ أَكْرَمَ النَّاسِ عَلَى النَّاسِ مَنْ كَانَ خَيْرُهُ عَلَيْهِمْ فَأَيْضاً، وَكَانَ عَنْهُمْ مُسْتَعْنِياً مُتَعَفِّفاً»^١.

إنّ الحصول على الخير وزيادة ممتلكات الناس يُعدّ عنصراً وعاملاً للعزّة والمنزلة الاجتماعية. لقد ورد التأكيد في المصادر الإسلامية على مساعدة الآخرين وإيصال العون إليهم كثيراً على ما سيأتي في محله. والمهمّ في البين هو أن يشعر الناس بحصولهم على الخير.

وبعد ذلك تأتي مرتبة الذين لا يطمعون بالحصول على ما في أيدي الآخرين. إنذ أمن الممتلكات يحظى بالأهميّة بالنسبة إلى الناس. ومن هنا فإنّ الناس لا يحترمون الشخص الذي يبدو منه الطمع بما عندهم، فلو عجز الشخص عن إيصال الخير إلى الآخرين، فعليه في الحد الأدنى أن لا يتوقّع خيراً منهم لكي يصل إلى مراتب من العزّة والمنزلة الاجتماعية. وفي تتمّة هذا الحديث، يقول الإمام عليه السلام: «وَأَكْرَمُ النَّاسِ بَعْدَهُ

١. المجلسي، بحار الأنوار، ٧١: ١٥٦.

عَلَيْهِمْ مَنْ كَانَ عَنْهُمْ مُتَعَفِّفًا، وَإِنْ كَانَ إِلَيْهِمْ مُحْتَاجًا»^١. والملفت أن الإمام قد عمد إلى بيان كلتا الظاهرتين، والسبب في ذلك يعود إلى حبّ الناس للمال، وقال عليه السلام: «فَإِنَّمَا أَهْلُ الدُّنْيَا يَتَعَقَّبُونَ الْأَمْوَالَ، فَمَنْ لَمْ يَزِدْهُمْ فِيهَا يَتَعَقَّبُونَهُ كَرَمَ عَلَيْهِمْ، وَمَنْ لَمْ يَزِدْهُمْ فِيهَا وَمَكَّنَّهُمْ مِنْ بَعْضِهَا كَانَ أَعَزَّ وَأَكْرَمَ»^٢.

ولهذا السبب فقد ورد التأكيد في الأدبيات الدينية على ضرورة «الْيَأْسُ عَمَّا فِي أَيْدِي النَّاسِ». ومن هنا فقد ورد التصريح عن الإمام الصادق عليه السلام في المأثور عنه، أنه قال: «طَلَبَ الْحَوَائِجِ إِلَى النَّاسِ اسْتِلابٌ لِلْعِزِّ، وَمَذْهَبَةُ لِلْحَيَاءِ؛ وَالْيَأْسُ مِمَّا فِي أَيْدِي النَّاسِ عِزٌّ لِلْمُؤْمِنِ فِي دِينِهِ»^٣. وعن جبرائيل أنه قال لرسول الله ﷺ: «وَأَعْلَمُ أَنَّ شَرَفَ الرَّجُلِ قِيَامُهُ بِاللَّيْلِ وَعِزُّهُ اسْتِغْنَاؤُهُ عَنِ النَّاسِ»^٤. ومما ورد في المأثور من وصايا النبي الأكرم ﷺ للناس أنه قال: «ازْهَدْ فِي الدُّنْيَا يُحِبَّكَ اللَّهُ، وَازْهَدْ فِي أَيْدِي النَّاسِ يُحِبَّكَ النَّاسُ»^٥. ومما قاله لقمان عليه السلام لابنه وهو يعظه: «إِنْ أُرِدْتَ أَنْ تَجْمَعَ عِزَّ الدُّنْيَا فَاقْطَعْ طَمَعَكَ مِمَّا فِي أَيْدِي النَّاسِ؛ فَإِنَّمَا بَلَغَ الْأَنْبِيَاءُ وَالصُّدِّيقُونَ مَا بَلَغُوا بِقَطْعِ طَمَعِهِمْ»^٦.

١. م. ن ص ١٥٦.

٢. م. ن.

٣. الكليني، الكافي، ٣: ٣٨٢؛ وانظر أيضًا: المجلسي، بحار الأنوار، ٧١: ١٥٦.

٤. الصدوق، الخصال، ٧: ٢٠.

٥. الحرّ العاملي، وسائل الشيعة، ٦: ٣١٥، ح ٩.

٦. الراوندي، قصص الأنبياء، ١٩٥، ح ٢٤٤.

الصفات والخصائص الأخلاقية والسلوكية

لا شك في أنّ الفضائل الأخلاقية جديرة بالاحترام والتكريم، ومن هنا فإنّ الناس يحترمون ويحلّون الأشخاص الذين يتسمون بالفضائل الإنسانية ويتحلّون بالسجيا الأخلاقية. وعليه فإنّ التحلّي بالفضائل الأخلاقية يؤدّي إلى تقوية المنزل الاجتماعية للفرد. وقد وردت الإشارة في المصادر الدينية إلى بعض هذه الفضائل، من قبيل: تجاهل أخطاء الآخرين، وأن تساعد من حرمك، وتصل من قطعك، فقد ورد في المأثور عن الإمام الباقر عليه السلام أنّه قال: «ثَلَاثٌ لَا يَزِيدُ اللَّهُ بِهِنَّ الْمَرْءَ الْمُسْلِمَ إِلَّا عِزًّا: الصَّفْحُ عَمَّنْ ظَلَمَهُ، وَإِعْطَاءُ مَنْ حَرَمَهُ، وَالصَّلَةُ لِمَنْ قَطَعَهُ»^١. ويعدّ الإنصاف من الفضائل الأساسية، فقد ورد عن الإمام علي عليه السلام أنّه قال: «أَلَا إِنَّهُ مَنْ يُنْصِفِ النَّاسَ مِنْ نَفْسِهِ، لَمْ يَزِدْهُ اللَّهُ إِلَّا عِزًّا»^٢، وحفظ اللسان، وعدم إعطاء زمام الحياة إلى أحد، فقد ورد عن الإمام الكاظم عليه السلام أنّه قال لرجل طلب منه أن يوصيه: «احْفَظْ لِسَانَكَ تَعَزَّزْ، وَلَا تُمَكِّنِ النَّاسَ مِنْ قِيَادِكَ فَتُذِلَّ رَقَبَتُكَ»^٣. ورعاية الحقّ، فقد ورد عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أنّه قال: «التَّذَلُّلُ لِلْحَقِّ أَقْرَبُ إِلَى الْعِزِّ مِنَ التَّعَزُّزِ بِالْبَاطِلِ»^٤. والتقوى، فقد ورد في المأثور عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أنّه قال: «مَنْ أَرَادَ أَنْ يَكُونَ أَعَزَّ النَّاسِ فَلْيَتَّقِ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ... لَا كَرَمَ أَعَزَّ مِنَ التَّقْوَى... لَا عِزَّ أَعَزَّ مِنَ التَّقْوَى... أَوْصِيَكُمْ عِبَادَ اللَّهِ بِتَقْوَى

١. الكليني، الكافي، ٢: ١٠٩، ح ١٠.

٢. م. ن، ١٤٤، ح ٤.

٣. م. ن، ١١٣، ح ٤.

٤. المتقي الهندي، كنز العمال، ح ٤٤١٠١.

اللَّهُ... وَاعْتَصِمُوا بِحَقَائِقِهَا تَوَلَّ بِكُمْ إِلَى أَكْثَانِ الدَّعَةِ وَأَوْطَانِ السَّعَةِ وَمَعَاقِلِ الْجَزْرِ وَمَنَازِلِ الْعِزِّ^١. والصفح، فقد ورد عن النبي الأكرم ﷺ أنه قال: «مَنْ عَفَا عَنْ مَظْلَمَةٍ أَبَدَلَهُ اللَّهُ بِهَا عِزًّا فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ»^٢. والتواضع وتذليل الذات في سبيل الله، فقد ورد عن رسول الله ﷺ أنه قال: «ثَلَاثَةٌ لَا يَزِيدُ اللَّهُ بِهِنَّ إِلَّا خَيْرًا: التَّوَّاضُعُ لَا يَزِيدُ اللَّهُ بِهِ إِلَّا ارْتِفَاعًا، وَذُلُّ النَّفْسِ لَا يَزِيدُ اللَّهُ بِهِ إِلَّا عِزًّا، ...»^٣. والقناعة، فقد ورد في المأثور عن الإمام عليٍّ عليه السلام أنه قال: «القناعة تؤدِّي إلى العزِّ»^٤، وعنه أيضًا: «مَنْ قَنَعَتْ نَفْسُهُ عَزَّ مُعْسِرًا، مَنْ شَرِهَتْ نَفْسُهُ ذَلَّ مُوسِرًا»^٥، وعنه أيضًا: «اقْنَعْ نَفْسَكَ عِزًّا»^٦. والشجاعة، فقد ورد في المأثور عن الإمام عليٍّ عليه السلام أنه قال: «الشَّجَاعَةُ أَحَدُ الْعِزِّينِ، الْفِرَارُ أَحَدُ الذُّلِّينِ»^٧. وكظم الغيظ، فقد ورد في المأثور عن الإمام الصادق عليه السلام أنه قال: «ثَلَاثَةٌ أَقْسِمُ بِاللَّهِ أَنَّهَا الْحَقُّ: مَا نَقَصَ مَالٌ مِنْ صَدَقَةٍ وَلَا زَكَاةٍ، وَلَا ظَلِمَ أَحَدٌ بِظُلَامَةٍ فَقَدَرَ أَنْ يُكَافِيَ بِهَا فَكَظَمَهَا إِلَّا أَبَدَلَهُ اللَّهُ مَكَانَهَا عِزًّا، وَلَا فَتَحَ عَبْدٌ عَلَى نَفْسِهِ بَابَ مَسْأَلَةٍ إِلَّا فُتِحَ عَلَيْهِ بَابُ

١. المجلسي، بحار الأنوار، ٧٠: ٢٨٥، ح ٨؛ الصدوق، الأمالي، ٣٩٩ و ٥١٥؛ نهج البلاغة، الحكمة رقم:

٣٧١، والخطبة رقم: ١٩٥.

٢. المجلسي، بحار الأنوار، ٧٧: ١٢١، ح ٢٠.

٣. م. ن، ٧٥: ١٢٣، ح ٢٢.

٤. الأمدِّي التميمي، غرر الحكم ودرر الكلم، ١٤١٠، ح ١١٢٣.

٥. م. ن، ١٤١٠، ح ٨٤٣٩-٨٤٤٠.

٦. المجلسي، بحار الأنوار، ٧٨: ٥٣ و ٩٠، ح ٢٠.

٧. م. ن، ١٦٦٢-١٦٦٣.

فَقَرَّ^١. وإدارة العلاقات الاجتماعية، ففي المأثور عن الإمام الصادق عليه السلام أَنَّهُ قَالَ: «حِشْمَةُ الانْقِبَاضِ أَبْقَى لِلْعِزِّ مِنْ انْسِ التَّلَاقِي»^٢. وما إلى ذلك من المفاهيم الأخرى التي لا شكَّ في أَنَّ العمل على استقصائها وإحصائها سوف يجعل القائمة تطول. وليس الغرض من هذا الكتاب هو تعداد جميع هذه الأمور، وإنَّما الغرض هو إثبات أَنَّ التحلِّي بالفضائل الأخلاقية والسلوكية يؤدي إلى زيادة المكانة والمنزلة الاجتماعية.

العبادة والخضوع لله (عزَّ وجل)

لا شكَّ في أَنَّ من أهم عوامل وعناصر العزَّة الارتباط بالله وعبادته وإخلاص العبودية له. قال الله تعالى في محكم كتابه الكريم: ﴿مَنْ كَانَ يُرِيدُ الْعِزَّةَ فَلِلَّهِ الْعِزَّةُ جَمِيعًا﴾ (فاطر: ١٠). وقال الله تعالى: ﴿الَّذِينَ يَتَّخِذُونَ الْكَافِرِينَ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِ الْمُؤْمِنِينَ أُلِيبَتْغَوْا عِنْدَهُمُ الْعِزَّةَ فَإِنَّ الْعِزَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا﴾ (النساء: ١٣٩). وقد ورد عن أمير المؤمنين عليه السلام، قوله: «مَنْ اعْتَزَّ بِغَيْرِ اللَّهِ أَهْلَكَهُ الْعِزُّ»^٣. إنَّ طريق الحصول على العزَّة من الله يكمن في إخلاص العبودية والطاعة له؛ حيث إنَّه لا يريد للإنسان سوى العزَّة والكرامة. أوحى الله تعالى إلى النبي داود عليه السلام: «يا داوودُ، إِنِّي... وَضَعْتُ الْعِزَّ فِي طَاعَتِي، وَهُمْ يَطْلُبُونَهُ فِي خِدْمَةِ السُّلْطَانِ فَلَا يَجِدُونَهُ»^٤. وهناك قاعدة في هذا

١. م. ن، ٧٨: ٢٠٩، ح ٧٩.

٢. م. ن، ٧٤: ١٨٠، ح ٢٨.

٣. الأمدِّي التميمي، غرر الحكم ودرر الكلم، ح ٨٢١٧.

٤. المجلسي، بحار الأنوار، ٧٨: ٤٥٣، ح ٢١.

الشأن، وهي أنّ العزّة يجب أن تُطلب من العزيز، وإذا كان العزيز الحقيقي هو الله سبحانه وتعالى فقط، فيجب الحصول على العزّة منه دون سواه، فقد ورد في الحديث المأثور عن رسول الله ﷺ أنّه قال: «إِنَّ اللَّهَ تَعَالَى يَقُولُ كُلَّ يَوْمٍ: أَنَا رَبُّكُمْ الْعَزِيزُ، فَمَنْ أَرَادَ عِزَّ الدَّارَيْنِ فَلْيُطِيعِ الْعَزِيزَ»^١. وعن الإمام عليّ عليه السلام أنّه قال: «مَنْ أَرَادَ الْغِنَى بِلا مَالٍ، وَالْعِزَّ بِلا عَشِيرَةٍ، وَالطَّاعَةَ بِلا سُلْطَانٍ، فَلْيَخْرُجْ مِنْ دُلِّ مَعْصِيَةِ اللَّهِ إِلَى عِزِّ طَاعَتِهِ؛ فَإِنَّهُ وَاجِدٌ ذَلِكَ كُلَّهُ»^٢. وعلى هذا الأساس، فإنّ من بين العناصر المهمّة في العزّة والمنزلة الاجتماعية، زيادة التدين وإطاعة الله سبحانه وتعالى.

٢. الألفة والمودّة الاجتماعية

تُعَدّ المودّة والمحبة الاجتماعية من مفاهيم السلامة الاجتماعية، والمراد من المودّة الاجتماعية هو وجود العلاقة والارتباط العاطفي والدافئ والودّي المقرون بالمحبة بين الناس؛ بحيث يحبّ بعضهم بعضاً ويعشق بعضهم بعضاً. ويمكن وحجم انتشار لمقدار المودّة والمحبة بين الناس أن يشكّل معياراً وملاكاً لتشخيص السلامة الاجتماعية وتحديدّها. إنّ الارتباط السليم في الحياة الاجتماعية هو ارتباط ينطوي على الحبّ والمودّة، ومن دون الارتباط والتبادل العاطفي بين الناس، سوف تصبح الحياة صعبة وشاقّة جدّاً؛ حيث تعدّ العداوة والخصومة آفة كبرى تصيب العلاقات الاجتماعية؛ ولهذا السبب فقد تمّ بيان هذا الموضوع في المصادر الإسلامية على نطاق

١. المتقي الهندي، كنز العمال، ح ٤٤١٠١.

٢. ورام بن أبي فراس، تنبيه الخواطر ونزهة الناظر المعروف بـ (مجموعة ورام)، ١: ٥١.

واسع، وتمّ ذكر مختلف المسائل بشأنه. وهناك من المسائل ما يرتبط بأصل العلاقة الودّية، وبعضها الآخر يرتبط بعوامل وأسباب المودّة الاجتماعيّة، حيث سنبحث في هذا الشأن تبعاً.

أ. الإسلام والمحبة

التأكيد على المودّة والصدقة

لقد أكد الإسلام على العلاقات العاطفيّة والودّية كثيراً، وقد استفاد في بيان مراده في هذا الشأن من مختلف المفاهيم، من قبيل: الألفة، والأنس، والصدقة ونظائر ذلك.

الألفة والتآلف

ومن الخصائص الإيجابية في العلاقات الاجتماعيّة التي ورد التعريف بها في المصادر الدينيّة القدرة على التآلف والاتلاف. إنّ الألفة تعني ارتباط شيء بشيء، وكذلك تعني الارتباط بين الكثير من الأشياء. وقد ورد استعمال هذه المفردة في القرآن والروايات بمعنى التآليف المادّيّة تارة (ضمّ الأشياء إلى بعضها)، كما في قوله تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يُزْجِي سَحَابًا ثُمَّ يُؤَلِّفُ بَيْنَهُ ثُمَّ يَجْعَلُهُ رُكَامًا فَتَرَى الْوَدْقَ يَخْرُجُ مِنْ خِلَالِهِ﴾ (النور: ٤٣)، وأخرى بمعنى التآليف المعنويّة، كما في قوله تعالى: ﴿اذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنْتُمْ أَعْدَاءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُمْ بِنِعْمَتِهِ إِخْوَانًا﴾ (آل عمران: ١٠٣)^١. والمهمّ هو أنّ القدرة على «التآلف والاتلاف» قد تمّ اعتبارها من خصائص الأشخاص الصالحين، بمعنى أنّهم قادرون على إقامة العلاقات معهم بسهولة؛ فقد ورد عن النبي الأكرم ﷺ أنّه قال: «خِيَارُكُمْ أَحَاسِنُكُمْ أَخْلَاقاً الَّذِينَ

١. محمدي ري شهري، وآخرون، دانش نامه قرآن وحديث، ٥: ٩٠.

يَأْلِفُونَ وَيُؤْلَفُونَ»، وعنه أيضاً: «إِنَّ أَحَبَّكُمْ إِلَيَّ أَحْسَنُكُمْ أَخْلَاقًا، الْمُؤَطَّوْنُ أَكْنَافًا، الَّذِينَ يَأْلِفُونَ وَيُؤْلَفُونَ»، وعنه أيضاً: «أَفْاضِلُكُمْ أَحْسَنُكُمْ أَخْلَاقًا الْمُؤَطَّوْنُ أَكْنَافًا الَّذِينَ يَأْلِفُونَ وَيُؤْلَفُونَ وَتَوَطَّأَ رِجَالُهُمْ»^١. والملفت أن هذه الصفة قد تم اعتبارها من عند الله سبحانه وتعالى، كما تم اعتبار ما يقابلها -وهي العداوة- من الشيطان، فقد ورد في المأثور عن الإمام الباقر عليه السلام، أنه قال: «وَأَعْلَمُ أَنَّ الْإِلْفَ مِنَ اللَّهِ، وَالْفِرْكَ مِنَ الشَّيْطَانِ»^٢. عندما تقوم هذه الخصوصية ذات الطرفين من (الألفة والتألف) بين أفراد المجتمع، نحصل على شبكة متداخلة ومتشابكة من العلاقات الإنسانية، وتتبلور بذلك حالة من العطف والشفقة والتظاهر بين الناس. يرى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أن المجتمع الإسلامي ما دام متّصفاً بالمحبة والتعاطف المتبادل، فإنه سوف يكون على الدوام في خير وسعادة وصلاح، فقد ورد في المأثور عن الإمام علي بن موسى الرضا عليه السلام، عن أمير المؤمنين عليه السلام، عن النبي الأكرم صلى الله عليه وآله وسلم، قال: «لَا يَزَالُ أُمَّتِي فِي خَيْرٍ مَا تَحَابُّوا وَأَدَّوْا الْأَمَانَةَ وَاجْتَنَبُوا الْحَرَامَ وَأَقْرَأُوا الضَّيْفَ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوْا الزَّكَاةَ فَإِذَا لَمْ تَفْعَلُوا ذَلِكَ ابْتُلُوا بِالْقَحْطِ وَالسِّنِينَ»^٣.

الاستئناس

المفهوم الآخر في أدبيات الدين هو مفهوم «الأنس». وتقع مفردة الأنس لغة مقابل

١. ابن شعبة الحزازي، تحف العقول عن آل الرسول، ٤٥؛ الطبراني، المعجم الأوسط، ٧: ٣٥٠، ح ٧٦٩٧؛

الكليني، الكافي، ٢: ١٠٢، ح ١٦٦.

٢. الكليني، الكافي، ٣: ٤٨١، ح ٥٠٥، وج ٥٠٠، ح ١؛ الطوسي، تهذيب الأحكام، ٧: ٤١٠، ح ١٦٣٦.

٣. الشعيري، جامع الأخبار، ٣٧٧، ح ١٠٥٢.

من النفور، وتعني السكون إلى الشيء والأنس والتعلق به^١. ومن بين خصائص المؤمن وصفاته الأنس والاستئناس بالآخرين، فقد ورد في الحديث المأثور عن الإمام الصادق عليه السلام أنه قال: «الْمُؤْمِنُ أَنْسُ الْإِنْسِ حَيْثُ الْجَنَسِ مِنْ طَيِّبَتِنَا أَهْلَ الْبَيْتِ»^٢. وقد ورد في الأثر عن ياسر الخادم، قال: «كَانَ الرِّضَا عَلَيْهِ السَّلَامُ إِذَا خَلَا جَمَعَ حَشَمَهُ كُلَّهُمْ عِنْدَهُ الصَّغِيرَ وَالْكَبِيرَ فَيُحَدِّثُهُمْ وَيَأْنَسُ بِهِمْ وَيُؤْنِسُهُمْ»^٣. وهناك في الواقع ثلاثة يأنس بهم الإنسان: المرأة الموافقة، والولد البار، والصديق المصافي؛ فقد ورد في الحديث عن الإمام الصادق عليه السلام أنه قال: «الْأَنْسُ فِي ثَلَاثٍ: فِي الزَّوْجَةِ الْمُوَافِقَةِ وَالْوَلَدِ الْبَارِّ وَالصَّدِيقِ الْمُصَافِي»^٤، فإن لم يحصل الشخص على واحد من هؤلاء الثلاثة سوف تكون حياته مريرة وفكره مضطرباً وفؤاده مثقلاً بالحزن والهَمِّ، فقد ورد في الخصال

١. قال الراغب الإصفهاني في بيان معنى «الأنس»: الأنس خلاف النفور. (الراغب الإصفهاني، مفردات ألفاظ القرآن، ٩٤، مادة (أنس)). وقال ابن فارس: الهمزة والنون والسين أصل واحد، وهو ظهور الشيء، وكل شيء خالف طريقة التوحش... والأنس: أنس الإنسان بالشيء إذا لم يستوحش منه. (ابن فارس، معجم مقاييس اللغة، ١: ١٤٥، مادة (أنس)، ١٤٥). وعلى هذا الأساس حيث إنّ التعلق والاستئناس بشيء خلافاً للنفور والاستيحاش يؤدي إلى قربه وظهوره، فإنه يُسمّى بـ«الأنس».

٢. البرقي، المحاسن، ١: ٢٢٧، ح ٤١٠.

٣. الصدوق، عيون أخبار الرضا عليه السلام، ٢: ١٥٩، ح ٢٤.

٤. إنّ من بين الأسباب التي تجعل للزوجة حقاً على زوجها، هو هذه الحالة من الأنس والسكينة، فقد ورد عن الإمام زين العابدين عليه السلام أنه قال: «أَمَّا حَقُّ الزَّوْجَةِ فَأَنْ تَعْلَمَ أَنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ جَعَلَهَا لَكَ سَكَنًا وَأَنْسًا فَتَعْلَمَ أَنَّ ذَلِكَ نِعْمَةٌ مِنَ اللَّهِ عَلَيْكَ فَتُكْرِمُهَا وَتَرْفُقَ بِهَا». الصدوق، من لا يحضره الفقيه، ٢: ٦٢١، ح ٣٢١٤.

٥. ابن شعبة الحراني، تحف العقول، ٣١٨.

عن أبي خالد السجستاني، عنه عليه السلام : «خَمْسُ خِصَالٍ مَنْ فَقَدَ وَاحِدَةً مِنْهُنَّ لَمْ يَزَلْ نَاقِصَ الْعَيْشِ، زَائِلَ الْعَقْلِ، مَشْغُولَ الْقَلْبِ؛ فَأَوَّلُهَا صِحَّةُ الْبَدَنِ وَالثَّانِيَةُ الْأَمْنُ وَالثَّالِثَةُ السَّعَةُ فِي الرِّزْقِ وَالرَّابِعَةُ الْأَنْيَسُ الْمُوَافِقُ قُلْتُ وَمَا الْأَنْيَسُ الْمُوَافِقُ؟ قَالَ الزَّوْجَةُ الصَّالِحَةُ وَالْوَلَدُ الصَّالِحُ وَالْخَلِيطُ الصَّالِحُ وَالْخَامِسَةُ وَهِيَ تَجَمُّعُ هَذِهِ الْخِصَالِ الدَّعَةُ»^١.

المحبة والمودة

إنّ الارتباط الودّي مع الآخرين يُعدّ من الأصول الأساسيّة ومن الأعمال العقلانيّة^٢. في ضوء البحث القائم في هذا الموضوع^٣، يكون للمحبة والمودة من وجهة نظر الإسلام الدور الأكبر في تنظيم المجتمع المثالي للإنسان. ومن خلال ملاحظة النصوص يمكن لنا أن نثبت بوضوح أنّ المجتمع الإنساني والمثالي المنشود في الإسلام هو المجتمع الذي يتبلور على أساس المحبة والمودة القائمة بين الناس تجاه بعضهم. إنّ الإسلام يريد أن يقيم مجتمعاً يتآخى فيه جميع الناس مع بعضهم، وأن يبلغ حبّ أحدهم للآخرين حدّ التضحية والإيثار، وما ذلك إلّا لأنّه ليس ثمّة شيء يضاهي المحبة في تنظيم المجتمع الإنساني المطلوب. وعلى حدّ تعبير النبي سليمان عليه السلام : ليس هناك أحلى من الحبّ؛ فقد روي في جامع الأحاديث للشيخ

١. الصدوق، الخصال، ٢٨٤، ح ٣٤.

٢. البيهقي، السنن الكبرى، ١٠ : ١٨٧؛ الكليني، الكافي، ٢ : ٦٤٣؛ الصدوق، من لا يحضره الفقيه، ٤ :

٤١٦، ح ٥٩٠.

٣. محمدي ري شهري، وتقديري، دوستي در قرآن وحديث.

القَمِّي، عن إبراهيم بن شعيب المزني، أنه سمع جعفر بن محمد عليه السلام يقول: سأل داود النبي سليمان عليه السلام وأراد علم ما بلغ من الحكمة، قال: أي شيء أحلى؟ قال عليه السلام: «المَحَبَّةُ، هِيَ رُوحُ اللَّهِ بَيْنَ عِبَادِهِ حَتَّى إِنَّ الْفَرَسَ لَيَرْفَعُ حَافِرَهُ عَنْ وَلَدِهِ». قال فضحك داود عند إجابة سليمان عليه السلام. إن المحبة من الحلاوة بحيث إنه يمكن تحلية جميع مرارات الحياة بواسطتها، كما يمكن تدارك وجبران الكثير من نقاط الضعف والاضطرابات والمشاكل الفردية والاجتماعية من خلالها، وعلى حد التعبير الدقيق للنبي الأكرم صلوات الله وسلاماته عليه: «ما ضاق مجلسٌ بِمُتَحَائِنٍ»^١. الإسلام هو البرنامج المتكامل للإنسان، العنصر الأهم والأتم في هذا البرنامج هو الحب، فعنصر الحب له تأثير في تحقيق برنامج الإسلام من أجل التقدم الذي رصده للمجتمع الإنساني؛ حيث قال الإمام الباقر عليه السلام: «هَلِ الدِّينُ إِلَّا الْحُبُّ؟»^٢. وقد عمد أئمة الإسلام الكبار لكي يقوم الناس بتحلية حياتهم بحلاوة الحب، وأن يتنعموا ببركات هذه النعمة الإلهية الكبرى، إلى توصيفها بأوصاف وعبارات جميلة وبلغية ترسخ في الأذهان، من قبيل: «رأس العقل»، و«أول العقل»، و«نصف العقل»، وما ذلك إلا تشجيعاً للناس على الصداقة والحب والألفة والاستئناس ببعضهم، وتوثيق أواصر «القرابة

١. ابن الرازي القمّي، جامع الأحاديث، ١٩٣.

٢. الخطيب البغدادي، تاريخ بغداد أو مدينة السلام، ٣: ٢٢٦.

٣. الكليني، الكافي، ٧: ٧٩، ح ٣٥.

٤. محمّدي ري شهري وتقديري، دوستي در قرآن وحديث، ٣١، (قيمة المحبة).

بالمحبة والمودة؛ وذلك لأنها أنجع وأجدى من القرابة النسبية والسببية^١.

تنمية المحبة

إن من بين المسائل المهمة التي تم التأكيد عليها أكثر من إقامة الارتباط كثرة الروابط الودية^٢. فقد ورد التصريح في النصوص الدينية بالحث على الإكثار من الأصدقاء؛ فقد ورد في المأثور عن الإمام الصادق عليه السلام أنه قال: «أَكْثَرُوا مِنْ مُوَآخَاةِ الْمُؤْمِنِينَ فَإِنَّ لَهُمْ عِنْدَ اللَّهِ يَدًا يَكْفِيهِمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ»، وعن رسول الله ﷺ أنه قال: «أَكْثَرُوا مِنَ الْإِخْوَانِ؛ فَإِنَّ رَبَّكُمْ حَيِّيٌّ كَرِيمٌ يَسْتَحْيِي أَنْ يُعَذِّبَ عَبْدَهُ بَيْنَ إِخْوَانِهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ»^٣. وإنّ المبنى النظريّ لذلك -بالإضافة إلى الإكثار من الشفعاء في يوم القيامة؛ حيث ورد في الحديث المأثور عن رسول الله ﷺ أنه قال: «أَكْثَرُوا مِنَ الْإِخْوَانِ؛ فَإِنَّ رَبَّكُمْ حَيِّيٌّ كَرِيمٌ يَسْتَحْيِي أَنْ يُعَذِّبَ عَبْدَهُ بَيْنَ إِخْوَانِهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ»^٤ -زيادة الإنسان ومنعته في الحياة الدنيا أيضًا، فقد روي عن النبي الأكرم ﷺ أنه قال: «عَلَيْكَ بِإِخْوَانِ الصَّدَقِ تَعَشَّ فِي أَكْنَافِهِمْ؛ فَإِنَّهُمْ زِينَةٌ فِي الرَّخَاءِ، وَعُدَّةٌ فِي الْبَلَاءِ»^٥. إنّ الإنسان ينمو بمقدار كثرة أصدقائه وإخوته، فحيث يزيد الارتباط الودي مع الآخرين، يبدو

١. م. ن، ٣٥، وص ٣٩.

٢. محمدي ري شهري، وتقدير، دوستي در قرآن وحديث، ٣٨، (فضيلة الصديق والإكثار من الأصدقاء).

٣. الصدوق، مصادفة الإخوان، ١٥٠، ح ١؛ الزمخشري، ربيع الأبرار ونصوص الأخبار، ١: ٤٢٨.

٤. الزمخشري، ربيع الأبرار ونصوص الأخبار، ١: ٤٢٨.

٥. الصدوق، مصادفة الإخوان، ١٠٩، ح ٢٤؛ ابن شعبة الحراني، تحف العقول، ٣٦٨؛ المتقي الهندي، كنز

العمال، ٩: ٣٨، ح ٢٤٨٢٣.

الأمر وكأنَّ الشخص قد نها بهذا المقدار، فقد رُوي عن رسول الله ﷺ أنَّه قال: «الْمَرْءُ كَثِيرٌ بِأَخِيهِ»، وعنه ﷺ أيضًا: «الْمَرْءُ يَكْثُرُ بِإِخْوَانِهِ الْمُسْلِمِينَ»^١ ويعود السبب في ذلك إلى أنَّ الشخص يضيف قوَّته إلى قوَّة الآخرين. وقد ورد التصريح في عدد من النصوص بأنَّ الإخوة والأصدقاء هم العُدَّة والعدد للإنسان في الأمور المادِّية والمعنوية، ومن ذلك ما ورد في الحديث عن الإمام عليٍّ عليه السلام أنَّه قال: «عَلَيْكَ بِإِخْوَانِ الصَّدِّقِ فَأَكْثَرُ مِنْ اكْتِسَابِهِمْ فَإِنَّهُمْ عُدَّةٌ عِنْدَ الرَّحَاءِ وَجُنَّةٌ عِنْدَ الْبَلَاءِ»، وعن الإمام الصادق عليه السلام أنَّه قال: «أَكْثَرُوا مِنَ الْأَصْدِقَاءِ فِي الدُّنْيَا فَإِنَّهُمْ يَنْفَعُونَ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ أَمَّا الدُّنْيَا فَحَوَائِجُ يَقُومُونَ بِهَا وَأَمَّا الْآخِرَةُ فَإِنَّ أَهْلَ جَهَنَّمَ قَالُوا: ﴿فَمَا لَنَا مِنْ شَافِعِينَ وَلَا صَدِيقٍ حَمِيمٍ﴾» (الشعراء: ١٠٠-١٠١)^٢. وربما لهذا السبب تمَّ اعتبار زيادة الأصدقاء من أسباب رغد العيش، فقد ورد في الكافي عن سعيد، عن غير واحد: أَنَّ أَبَا الْحَسَنِ عليه السلام سُئِلَ عَنْ فَضْلِ عَيْشِ الدُّنْيَا؟ قَالَ: «سَعَةُ الْمَنْزِلِ، وَكَثْرَةُ الْمُحِبِّينَ»^٣. كما أنَّ عدم الرغبة في زيادة الأصدقاء يُعدَّ عنصرًا وسببًا في الخسران، فقد ورد في الأثر عن الإمام الصادق عليه السلام أنَّه قال: «مَنْ لَمْ يَرْغَبْ فِي الْإِسْتِكْفَارِ مِنَ الْإِخْوَانِ ابْتُلِيَ بِالْخُسْرَانِ»^٤.

١. الخطيب البغدادي، تاريخ بغداد أو مدينة السلام، ٧: ٥٧؛ المتقي الهندي، كنز العمال، ٩: ٣٨، ح ٢٤٨٢٣.

٢. الصدوق، الأمل، ٣٨٠، ح ٤٨٣؛ ومصادقة الإخوان، ١٤٩، ح ١.

٣. الكليني، الكافي، ٦: ٥٢٦، ح ٥؛ البرقي، المحاسن، ٢: ٤٥٠، ح ٢٥٥١.

٤. ابن شعبة الحراني، تحف العقول، ٣١٩.

خطر العداوة

في قبال المحبة يرد مفهوم العداوة، حيث ليس هناك ما هو أشدّ خطراً على المجتمع منها. إنّ العداوة من أكثر الأمور المريرة. ومرارة العداوة تجعل كلّ حلاوات الحياة مرّة في فم الإنسان، وتحول جميع النعم الإلهية إلى نقم، وتحول جميع الانتصارات إلى خسائر. إنّ العداوة لا تحول دون تطوّر المجتمع في مختلف المجالات فحسب، بل وتخلّ حتّى في الاستفادة من الإمكانيات الموجودة أيضاً، ومن هنا فإنّ المجتمع الذي يُبتلى بهذه الآفة الخطيرة، لا يكون أمامه من طريق سوى الانحطاط والسقوط. وعلى هذا الأساس، فإنّ الدين الذي يقوم على دعائم المحبة، يعمل على تعريف العداوة بوصفها أمراً معارضاً للدين؛ كما روي عن رسول الله ﷺ أنّه قال: «إِنَّ شَرَّ النَّاسِ مَنْ يُبْغِضُ النَّاسَ وَيُبْغِضُونَهُ»^١. ومن بين وصايا لقمان عليه السلام لابنه: «يَا بُنَيَّ، اتَّخِذْ أَلْفَ صَدِيقٍ وَأَلْفَ قَلِيلٍ وَلَا تَتَّخِذْ عَدُوًّا وَاحِدًا وَالْوَاحِدُ كَثِيرٌ»^٢. وقد ورد التحذير من العداوة في المصادر الدينية بشدّة، وتمّ التصريح بأنّها تعدّ مرضاً اجتماعياً^٣، وأنّها من أسوأ شرور الإنسان، بل أنّها ماحقة للدين أيضاً؛ فقد جاء في المأثور عن النبي الأكرم ﷺ أنّه قال: «أَلَا إِنَّ فِي التَّبَاغُضِ الْحَالِقَةَ لَا أَعْنِي الْحَالِقَةَ الشَّعْرَ وَلَكِنْ حَالِقَةَ

١. محمّدي ري شهري، وتقديري، دوستي در قرآن وحديث، ٥٦، (الفصل الثاني: العداوة المتبادلة).

٢. الصدوق، الأمالي، ٧٦٦، ح ١٠٣٢.

٣. الحاكم النيسابوري، المستدرک على الصحيحين، ٤: ١٨٦، ح ٧٣١١.

٤. ابن شعبة الحرّانيّ، تحف العقول، ٢٧؛ الطبرانيّ، المعجم الكبير، ١٠: ٣١٨، ح ١٠٧٧٥.

الدين»^١.

وبالإضافة إلى النهي عن العداوة، فقد ورد النهي عن التباغض والافتراق أيضًا^٢. وقد ورد عن الإمام علي عليه السلام أنه قال في وصيته عندما حضرته الوفاة: «عَلَيْكُمْ يَا بَنِيَّ بِالتَّوَّاضُلِ وَالتَّبَاذُلِ وَالتَّبَارُّ وَإِيَّاكُمْ وَالتَّقَاطُعِ وَالتَّدَابُرِ وَالتَّفَرُّقِ»^٣. وحيث يمكن أن يقع الاختلاف والتنازع بين الناس لأي سبب من الأسباب، ويؤدي الأمر إلى الانفصال والفراق، فقد تمّ تعيين مدّة زمنيّة للرجوع والاتّفاق والتلاقي، فإذا كان لا بدّ من وقوع ذلك، فيجب أن لا تطول مدّة القطيعة والانفصال إلى أكثر من ثلاثة أيام، وأمّا ما زاد على ذلك فهو مرفوض، فقد ورد في الأثر عن رسول الله ﷺ أنّه قال: «لَا هِجْرَةَ فَوْقَ ثَلَاثٍ»، وقال أيضًا: «لَا تَهْجُرُوا، فَإِنْ كُنْتُمْ مُهْتَجِرِينَ لَا مَحَالَةَ فَلَا تَهْتَجِرُوا فَوْقَ ثَلَاثَةِ أَيَّامٍ. وَأَيُّمَا مُسْلِمَيْنِ مَاتَا وَهُمَا مُهْتَجِرَانِ لَا يَجْتَمِعَانِ فِي الْجَنَّةِ». وفي المأثور عن الإمام علي عليه السلام أنّه قال: «نَهَى رَسُولُ اللَّهِ ﷺ عَنِ الْهَجْرَانِ». فمن كان لا بدّ فاعلاً فلا يهجر أخاه أكثر من ثلاثة أيام؛ «فَمَنْ كَانَ مُهَاجِرًا لِأَخِيهِ أَكْثَرَ مِنْ ذَلِكَ كَانَتْ النَّارُ أَوْلَى بِهِ»^٤. وإنّ الذي يبادر من بين المتخاصمين إلى العودة والتوافق سوف يدخل الجنة قبل الآخرين، فقد ورد في المأثور عن النبي ﷺ أنّه قال: «لَا

١. الكليني، الكافي، ٣: ٤٦، ح ١.

٢. محمّدي ري شهري، وتقديري، دوستي در قرآن وحديث، ٦٢، (النهي عن الفراق والانفصال).

٣. الكليني، الكافي، ٧: ٥٢، ح ٧؛ الطوسي، تهذيب الأحكام، ٩: ١٧٨، ح ٧١٤.

٤. الكليني، الكافي، ٢: ٣٤٤، ح ٢؛ الصدوق، من لا يحضره الفقيه، ٤: ١٠، ح ٩٦٨؛ الصدوق، الأمالي،

٥١٧، ح ٧٠٧؛ السمرقندي، تنبيه الغافلين، ٥١٩، ح ٨٢٣.

يَجْلُ لِمُسْلِمٍ أَنْ يَهْجُرَ أَخَاهُ فَوْقَ ثَلَاثَةِ أَيَّامٍ، وَالسَّابِقُ يَسْبِقُ إِلَى الْجَنَّةِ»، وعنه أيضاً قال: «أَيُّمَا مُسْلِمَيْنِ تَهَاجَرَا، فَمَكَثَا ثَلَاثًا لَا يَصْطَلِحَانِ إِلَّا كَانَا خَارِجَيْنِ مِنَ الْإِسْلَامِ، وَلَمْ يَكُنْ بَيْنَهُمَا وَلَايَةٌ، فَأَيُّهُمَا سَبَقَ إِلَى كَلَامِ أَخِيهِ، كَانَ السَّابِقُ إِلَى الْجَنَّةِ يَوْمَ الْحِسَابِ»^١. وإنَّ الذي يواصل الخصومة والفراق يدخل النار، فقد جاء في الحديث المأثور عن النبي الأكرم ﷺ أنه قال: «لَا يَجْلُ لِمُسْلِمٍ أَنْ يَهْجُرَ أَخَاهُ فَوْقَ ثَلَاثٍ، فَمَنْ هَجَرَ فَوْقَ ثَلَاثٍ فَمَاتَ؛ دَخَلَ النَّارَ»^٢، إلّا إذا تداركته رحمة من ربّه؛ فعن النبي الأكرم ﷺ أنه قال: «مَنْ هَجَرَ أَخَاهُ فَوْقَ ثَلَاثٍ فَهُوَ فِي النَّارِ، إِلَّا أَنْ يَتَدَارَكَهُ اللَّهُ بِكَرَمِهِ»^٣.

ب. الإطار النظري للمحبة الاجتماعية

إن من بين الأبحاث المهمة هو الإطار النظري للمحبة. لقد تمّ بيان الكثير من العناصر والأمور المتنوعة لتحقيق المحبة؛ بيد أنّ السؤال الجوهرى الذي يطرح نفسه في البين، هو: ما هو الإطار النظري لهذه المحبة؟ وما هي النظرية التي يمكن لها أن تعمل على بيان المحبة الاجتماعية؟ يجب العثور في هذه المسألة على العناصر الجوهرية التي ورد التعريف بها في المصادر الإسلامية، ثمّ العمل بعد ذلك على بيانها. ومن بين الأمور التي ورد ذكرها للمحبة في المصادر الإسلامية، يبدو أنّ هذه الأمور الثلاثة تعدّ من العناصر المحورية والأساسية:

١. الطوسي، الأمالي، ٣٩١، ح ٨٦٠؛ الكليني، الكافي، ٣٤٥: ٢، ح ٥؛ الصدوق، مصادقة الإخوان، ١٥٣، ح ١.

٢. أبو داود السجستاني الأزدي، سنن أبي داود، ٤: ٢٧٩، ح ٤٩١٤.

٣. الطبراني، المعجم الكبير، ١٨: ٣١٥، ح ٨١٥.

الإحسان الاجتماعي

إنَّ العنصر والعامل المهم في الحبِّ، هو الإحسان إلى الناس. فالإحسان مجلبة للمحبة، فعن الإمام عليٍّ عليه السلام أنه قال: «الإحسانُ محبةٌ»، و«سببُ المحبةِ الإحسانُ»^١. لقد جُبل الإنسان بطبعه على محبة من يُحسن إليه، وبغض من يُسيء إليه، فعن أبي عبد الله عليه السلام أنه قال: «جُبِلَتِ الْقُلُوبُ عَلَى حُبِّ مَنْ يَنْفَعُهَا، وَبُغْضِ مَنْ أَضَرَ بِهَا»، وعن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال: «جُبِلَتِ الْقُلُوبُ عَلَى حُبِّ مَنْ أَحْسَنَ إِلَيْهَا وَبُغْضِ مَنْ أَسَاءَ إِلَيْهَا»^٢. إنَّ أفضل الناس وأحقَّهم بالحصول على محبة الناس هو الذي يأمل الناس بالحصول على فضله وخيره، فقد ورد في المأثور عن الإمام الحسن العسكري عليه السلام، أنه قال: «أَوَّلَى النَّاسِ بِالْمَحَبَّةِ مِنْهُمْ مَنْ أَمَلُوهُ»^٣. إنَّ كلَّ من يمدَّ يده لمساعدة الناس، سوف يحصل على حبِّهم، فقد ورد في المأثور عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أنه قال: «وَمَنْ بَسَطَ كَفَّهُ لَهُمْ بِالْمَعْرُوفِ رَزَقَ الْمَحَبَّةَ مِنْهُمْ»^٤. وكلِّما كانت دائرة إحسانه أوسع، كان عدد أصدقائه أكثر، فقد ورد في المأثور عن الإمام عليٍّ عليه السلام أنه قال: «مَنْ كَثُرَ إِحْسَانُهُ أَجَبَهُ إِخْوَانُهُ»^٥. ولذلك من التأثير بحيث جعله رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم جزءاً من دعائه

١. الأمدِّي التميمي، غرر الحكم ودرر الكلم، ١٠٩، ح ٥٥١٨.

٢. الكليني، الكافي، ٣٦٥: ١، ح ١٤٠؛ الصدوق، من لا يحضره الفقيه، ٣٨١: ٤، ح ٥٨٢٦، وص ٤١٩، ح ٥٩١٧.

٣. الديلمي، إرشاد القلوب إلى الصواب، ٣١٣.

٤. الكراچكي، كنز الفوائد، ١٣٥؛ المجلسي، بحار الأنوار، ٣٥٩: ٧٥، وص ٤٧، ح ٧٥.

٥. الأمدِّي التميمي، غرر الحكم ودرر الكلم، ح ٨٤٧٣.

إلى الله سبحانه وتعالى، حيث قال: «اللَّهُمَّ لَا تَجْعَلْ لِفَاجِرٍ عَلَيَّ يَدًا؛ فيحبّه قلبي»^١. ويشمل الإحسان مروحة كبيرة من أنواع المساعدات والتعاون الاجتماعي، حيث سنعمل في هذا الكتاب على بحث بعضها ودراسته.

الاعتقاد بالله والعمل الصالح

المفهومان الآخران هما: الإيمان والعمل الصالح. فإن الله سبحانه وتعالى طبقاً لصريح القرآن الكريم يجعل مودة المؤمنين والذين يعملون الصالحات في قلوب الناس، قال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَيَجْعَلُ لَهُمُ الرَّحْمَنُ وُدًّا﴾ (مريم: ٩٦). وقد ورد في الروايات الماثورة عن الأئمة المعصومين عليهم السلام تفسير هذا الإيمان والعمل الصالح باكتساب مرضاة الله؛ بمعنى أن كل من يقصد مرضاة الله، فإن الله سبحانه وتعالى سوف يحبه إلى قلوب الناس بواسطة الملائكة، فقد ورد في المعجم الأوسط عن ثوبان عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أنه قال: «إِنَّ الْعَبْدَ يَلْتَمِسُ مَرْضَاةَ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ، فَلَا يَزَالُ كَذَلِكَ. فَيَقُولُ اللَّهُ: يَا جِبْرِيلُ، إِنَّ عَبْدِي فَلَانًا يَلْتَمِسُ أَنْ يُرْضِيَنِي، فَرِضَائِي عَلَيْهِ». قَالَ: «فَيَقُولُ جِبْرِيلُ: رَحْمَةُ اللَّهِ عَلَى فَلَانٍ، وَتَقُولُ حَمَلَةُ الْعَرْشِ، وَيَقُولُ الَّذِينَ يَلُونَهُمْ، حَتَّى يَقُولَهُ أَهْلُ السَّمَاوَاتِ السَّعْيُ، ثُمَّ يَهْبِطُ إِلَى الْأَرْضِ»^٢. كما ورد التصريح في موضع آخر من القرآن الكريم بأن الله سبحانه وتعالى قد أقر محبة النبي موسى عليه السلام في قلوب الناس؛ إذ يقول الله سبحانه وتعالى: ﴿وَأَلْقَيْتُ عَلَيْكَ

١. الفيض الكاشاني، المحجة البيضاء في تهذيب الإحياء، ٧: ١١.

٢. الطبراني، المعجم الأوسط، ٢: ٧٥، ح ١٢٤٠؛ السيوطي، تفسير الدر المنثور في التفسير بالماثور، ٥٤٥: ٥٤٥.

مَحَبَّةٌ مِّنِّي وَلِتُصْنَعَ عَلَى عَيْنِي﴾ (طه: ٣٩). كما أَنَّ الله سبحانه وتعالى يجعل المودة بين الزوجين أيضًا، قال تعالى: ﴿وَجَعَلَ بَيْنَكُم مَّوَدَّةً وَرَحْمَةً﴾ (الروم: ٢١). وباختصار، فإن التنمية المعنوية الإلهية، والعمل الصالح، والإحسان الاجتماعي، يؤدي إلى زيادة المحبة الاجتماعية واتساع دائرة الحب والمودة بين الناس.

ج. نموذج «الحب/البغض» في السلامة الاجتماعية

يمكن النظر إلى العلاقة بين الأفراد من زاوية عامة، والإجابة عن هذا السؤال القائل: هل الإسلام يؤيد الارتباط والمودة أو يؤيد عدم الارتباط والعداوة؟ وفي الحقيقة، فإن مرجع هذا السؤال إلى أنه هل تبلور السلامة الاجتماعية بمجرد الارتباط والمحبة، أو يجب النظر إلى نموذج آخر من التعامل؟ إن هذه رؤية عامة يتم العمل بعد إيضاحها على تعريف الموارد اللاحقة من الارتباط في صلبها. تثبت التحقيقات أن الإسلام لا يؤيد الارتباط بالمطلق، ولا يؤيد قطع الارتباط بالمطلق، وإنما يذهب إلى تأييد رؤية تلفيقية تتعين بما يتناسب مع المتغيرات والظروف. إن الوضعية الارتباطية والطرف الثاني ليست على وتيرة واحدة أو سليمة على الدوام. فتارة يكون نوع الارتباط أو الطرف الثاني من الارتباط بحيث يُعرض سلامة الشخص إلى الخطر، وفي مثل هذه الحالة فإن إقامة العلاقة والارتباط والألفة والمودة مع الطرف الثاني تؤدي إلى تهديد السلامة الاجتماعية، ولكن في العادة وفي أغلب الموارد يكون الطرف الثاني إما نافعاً أو غير مضر في الحد الأدنى. وعلى هذا الأساس يجب تعريف وبيان سلامة العلاقات الاجتماعية في نظرة عامة من خلال

الالتفات إلى هذه الحقيقة.

تشير الدراسات إلى أننا نواجه في المصادر الإسلامية، مفاهيم متقابلة ومتضادة، من قبيل: «الحبّ / البغض»، و«الولاء / البراء»، و«الارتباط / الاعتزال» وما إلى ذلك من المفاهيم المتقابلة الأخرى. إنّ هذا التقابل والتضاد بين المفاهيم، يمكن العمل على تحليله وبيانَه في ضوء الحقيقة الأنف ذكرها. وفي المصادر الإسلامية نجد هناك مودّة إيجابية، كما نجد بغضًا وعداوة إيجابية أيضًا. كما يوجد لدينا ولاء وبراء، ولدينا كذلك ارتباط وانفصال وما إلى ذلك^١. وقد تمّ الحديث في المصادر الإسلامية عن الحبّ والبغض في سبيل الله، والمودّة لأولياء الله، والعداوة والبغض لأعداء الله، بوصفها من أوثق عرى الإيمان^٢. ومن بين علامات المؤمن أنّه يعرف أصدقاءه وأعداءه^٣.

إنّ مفهوم العزلة هذه الرؤية المنطقية أيضًا، فحيث ينطوي الارتباط مع الآخرين على مجازفة، تكون العزلة والانفصال طريقة مناسبة للوقاية من الخطر وإيثار السلامة. وقد اعتبر رسول الله ﷺ العزلة وسيلة للسلامة، ومن ذلك قوله: «الْعُزْلَةُ سَلَامَةٌ»^٤. وقد ورد الحديث في الروايات الإسلامية عن كثرة الارتباط بوصفه عنصرًا يحتوي على خطر ومجازفة، ومن ذلك ما ورد في المأثور عن الإمام

١. الكليني، الكافي، ٣: ٣٢٤، ح ٥.

٢. م. ٢. ن، ٣٢٣، ح ٢، وص ٣٢٥، ح ٦.

٣. م. ٣. ن، ٣: ٣٢٦، ح ٩.

٤. المتقي الهندي، كنز العمال، ح ٦٩٩٧.

عليّ عليه السلام أنّه قال: «لَا سَلَامَةَ لِمَنْ أَكْثَرَ مُخَالَطَةَ النَّاسِ»^١. والعزلة والانفصال يشكّلان مادةً لسلامة الدين؛ ففي المرويّ عن أمير المؤمنين عليّ عليه السلام أنّه قال: «سَلَامَةُ الَّذِينَ فِي عِزِّ آلِ النَّاسِ»^٢. وفي العزلة سلامة الورع: «مَنْ اعْتَزَلَ سَلِمَ وَرَعُهُ»^٣. وفي العزلة أمان من شرور الناس: «مَنْ عِزَّزَ النَّاسَ سَلِمَ مِنْ شَرِّهِمْ»^٤. وفي العزلة تركاً للأفعال والسلوكيات المذمومة والقبیحة، من قبيل: الغيبة والكذب والحسد، فقد ورد في المأثور عن الإمام الصادق عليه السلام، أنّه قال: «إِنْ قَدَرْتَ أَنْ لَا تَخْرُجَ مِنْ بَيْتِكَ فَافْعَلْ فَإِنَّ عَلَيْكَ فِي خُرُوجِكَ أَنْ لَا تَغْتَابَ وَلَا تَكْذِبَ وَلَا تَحْسُدَ وَلَا تُزَانِيَ وَلَا تَتَصَنَّعَ وَلَا تُدَاهِنَ»^٥.

٣. الحريم الاجتماعيّ

إنّ الحريم الاجتماعيّ يعني القول بوجود حرمة لممتلكات الناس والاعتراف بذلك رسمياً من قبل الآخرين، والعمل على اجتناب الإضرار بها بأيّ شكل من الأشكال. فقد روي في المأثور عن رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم أنّه نظر إلى الكعبة المشرفة، ثمّ قال: «مَرْحَبًا بِأَلْبَيْتٍ مَا أَعْظَمَكَ وَأَعْظَمَ حُرْمَتَكَ عَلَى اللَّهِ وَاللَّهُ لِلْمُؤْمِنِ أَعْظَمُ حُرْمَةً مِنْكَ لِأَنَّ اللَّهَ حَرَّمَ مِنْكَ وَاحِدَةً وَمِنَ الْمُؤْمِنِ ثَلَاثَةً مَالُهُ وَدَمُهُ وَأَنْ يُظَنَّ بِهِ ظَنُّ السَّوْءِ»^٦.

١. ابن طلحة، مطالب السؤول في مناقب آل الرسول صلّى الله عليه وآله وسلّم، ٥٦.

٢. الأمدّي التميمي، غرر الحكم ودرر الكلم، ح ٥٦٠٩.

٣. م. ن، ح ٧٩٧٣.

٤. م. ن، ح ٨١٥١.

٥. الكليني، الكافي، ٧: ١٢٨، ح ٩٨.

٦. الطبرسي، مشكاة الأنوار في غرر الأخبار، ١٤٩، ح ٣٥٧؛ الفتال النيسابوري، روضة الواعظين وبصيرة

وَرُويَ عنه عليه السلام أيضًا أَنَّهُ قال للناس في حجة الوداع: «أَيُّ يَوْمٍ أَعْظَمُ حُرْمَةً؟
قَالُوا: هَذَا الْيَوْمُ، قَالَ: فَأَيُّ شَهْرٍ أَعْظَمُ حُرْمَةً؟ قَالُوا: هَذَا الشَّهْرُ، قَالَ: فَأَيُّ بَلَدٍ أَعْظَمُ
حُرْمَةً؟ قَالُوا: هَذَا الْبَلَدُ، قَالَ: فَإِنَّ دِمَاءَكُمْ وَأَمْوَالَكُمْ عَلَيْكُمْ حَرَامٌ كَحُرْمَةِ يَوْمِكُمْ هَذَا،
فِي شَهْرِكُمْ هَذَا، فِي بَلَدِكُمْ هَذَا إِلَى يَوْمٍ تَلْقَوْنَهُ، فَيَسْأَلُكُمْ عَنْ أَعْمَالِكُمْ، أَلَا هَلْ بَلَغْتُ؟
قَالُوا: نَعَمْ، قَالَ: اللَّهُمَّ اشْهَدْ، أَلَا مَنْ كَانَتْ عِنْدَهُ أَمَانَةٌ، فَلْيُوْذِهَا إِلَى مَنْ انْتَمَنَ عَلَيْهَا؛
فَإِنَّهُ لَا يَحِلُّ دَمُ امْرِئٍ مُسْلِمٍ وَلَا مَالُهُ إِلَّا بِطِيبَةِ نَفْسِهِ، وَلَا تَظْلَمُوا أَنْفُسَكُمْ، وَلَا تَرْجِعُوا
بِعَدِي كُفَّارًا^١. ومن هنا فقد ورد في المأثور عن الإمام علي عليه السلام أَنَّهُ قال: «فَمِنْ اسْتَطَاعَ
مِنْكُمْ أَنْ يَلْقَى اللَّهَ تَعَالَى وَهُوَ نَقِيٌّ الرَّاحَةِ مِنْ دِمَاءِ الْمُسْلِمِينَ وَأَمْوَالِهِمْ سَلِيمٍ اللِّسَانِ مِنْ
أَعْرَاضِهِمْ فَلْيَفْعَلْ»^٢. وعلى هذا الأساس يكون كل شيء في المؤمن محترم: عرضه،
وماله، ودمه؛ فقد ورد في الحديث: «الْمُؤْمِنُ حَرَامٌ كُلُّهُ: عَرَضُهُ وَمَالُهُ وَدَمُهُ»^٣. إنَّ رعاية
هذه الحدود تستوجب تكريم الشخص.

يرتبط الحريم الاجتماعي بدائرة الأشخاص، وهو يعني في الأدبيات الدينية
الحفاظ على حرمة الشيء، وحرمة الدخول غير المتعارف إلى دائرته الخاصة. عندما
يتعرّض حريم ودائرة الفرد أو المجتمع للخطر أو للنفوذ من قبل الآخرين، فإن
حرمته سوف تتعرّض لخطر داهم. والسؤال الذي يرد هنا هو: ما هو الشيء الذي

المتعطين، ٣٢١.

١. الكليني، الكافي، ٧: ٢٧٣، ح ١٢. وانظر أيضًا: ابن حنبل، مسند أحمد بن حنبل، ٧: ٣٧٦، ح ٢٠٧٢٠.

٢. نهج البلاغة، الخطبة رقم: ١٧٦.

٣. الكوفي الأهوازي، المؤمن، ٧٢، ح ١٩٩؛ ابن شعبة الحرّاني، تحف العقول، ٥٧.

يتعرّض للتهديد أو الخطر؟ هناك من يرى أنّ حريم الأشخاص ودائرهم تقتصر على الأرض التي يمتلكها والبيت الذي يسكنه، ولكن الحقيقة هي أنّ الأمر لا ينحصر في هذه الأمور فقط، حيث إنّ ممتلكات كلّ شخص -مهما بلغت- تعدّ من جملة حريمه وحياضه، والجسم والممتلكات والسيارة والاعتبار الاجتماعي والثقافة والمعتقد... كلها تُعدّ من جملة حريم كلّ شخص، وهكذا الأمر في البُعد الاجتماعي أيضًا؛ فإن المصادر المادّية، والثروات الوطنيّة، والغابات والمزارع، والطاقات الإنسانيّة، والعلماء والمشاهير الوطنيين، والتاريخ والجذور الوطنيّة، والثقافة والدين والمعتقد ونظائر ذلك، تُعدّ كلها من ممتلكات الشعب وثرواته. ومن هنا فإنّه عندما يدور الحديث عن الحريم الاجتماعي، فيجب أخذ جميع هذه الأمور بنظر الاعتبار.

أ. حرمة المال

من الواضح أنّ ممتلكات وأموال كلّ شخص -قلّت أو كثرت- تحظى بالاحترام بالنسبة إليه، فأموال وممتلكات كلّ فرد تُعدّ مهمّة من وجهة نظره بسبب تعلّقها به، ولا يرضى بأن تتعرّض للانتهاك والعدوان بأيّ حال من الأحوال. وفي رؤية الإسلام وعلى أساس الروايات الإسلاميّة يُعدّ احترام مال المؤمن واجبًا كاحترام دمه، فقد ورد في المأثور عن رسول الله ﷺ أنّه قال: «حُرْمَةُ مَالِ الْمُؤْمِنِ كَحُرْمَةِ دَمِهِ»^١. ولا يجوز لأيّ أحد أن يأخذ مال أخيه المؤمن بغير وجه حقّ؛ وذلك لأنّ الله

١. الدارقطني، سنن الدارقطني، ٣: ٢٦، ح ٩٤؛ أبو يعلى الموصلي التميمي، مسند أبي يعلى، ٥: ٦٨، ح ٥٠٩٧.

سبحانه وتعالى قد أوجب حرمة مال المسلم على المسلم، كما ورد ذلك عن النبي الأكرم ﷺ في قوله: «لَا يَحِلُّ لِأَمْرِي أَنْ يَأْخُذَ مَالَ أَخِيهِ بِغَيْرِ حَقِّهِ؛ وَذَلِكَ لِمَا حَرَّمَ اللَّهُ مَالَ الْمُسْلِمِ عَلَى الْمُسْلِمِ»^١. وقد ورد في القرآن الكريم قول الله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَأْكُلُوا أَمْوَالَكُمْ بَيْنَكُمْ بِالْبَاطِلِ إِلَّا أَنْ تَكُونَ تِجَارَةً عَنْ تَرَاضٍ مِنْكُمْ وَلَا تَقْتُلُوا أَنْفُسَكُمْ إِنَّ اللَّهَ كَانَ بِكُمْ رَحِيمًا﴾ (النساء: ٢٩). ومن هنا فقد ورد في الأثر عن رسول الله ﷺ أنه قال: «لَا تَقْبَلَنَّ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ مِنْ قَبْلِ أَنْ أُعْطِيَ أَحَدًا مِنْ مَالٍ أَحَدٌ شَيْئًا بِغَيْرِ طِبِّ نَفْسِهِ، إِنَّمَا الْبَيْعُ عَنْ تَرَاضٍ»^٢. وعن النبي الأكرم في موضع آخر، قال: «لَا يَأْخُذَنَّ أَحَدُكُمْ مَتَاعَ أَخِيهِ لَاعِبًا، وَلَا جَادًّا، وَمَنْ أَخَذَ عَصَا أَخِيهِ فَلْيَرْدِّهَا»^٣. روي عن أنس بن مالك، في السنن الكبرى أنه قال: مرَّ رسول الله ﷺ على أهل البقيع، فقال: «يا أهل البقيع!» فاشربوا؛ فقال: «يا أهل البقيع لا يَفْتَرَقَنَّ بَيْعَانِ إِلَّا عَنْ رِضًا»^٤. إنَّ هذا الأمر يُثبت أن مسألة السوق والتجارة مسألة في غاية الأهمية من أجل المحافظة على حرمة أموال الناس.

ومن ناحية أخرى، فإنَّ من الواضح بداهة أنَّ لكلِّ إنسان بالإضافة إلى أنواع النقص والحرمان (المصائب) بعض الممتلكات والامتيازات (النعم) أيضًا، وأنَّه في

١. ابن حنبل، مسند أحمد بن حنبل، ٩: ١٥٤، ح ٢٣٦٦٦.

٢. البيهقي، السنن الكبرى، ٦: ٢٩، ح ١١٠٧٥؛ ابن حبان، صحيح ابن حبان، ١١: ٣٤٠، ح ٤٩٦٧.

٣. أبو داود السجستاني الأزدي، سنن أبي داود، ٤: ٣٠١، ح ٥٠٠٣؛ ابن حنبل، مسند أحمد بن حنبل، ٦:

٢٧٨، ح ١٧٩٦٤.

٤. اسم منطقة قريبة من بلاد اليمن.

٥. البيهقي، السنن الكبرى، ٥: ٤٤٥، ح ١٠٤٤٧.

يتعلّق بها في صلب الحياة الاجتماعية يحتاج إلى رعاية حرمتها والاعتراف بها رسمياً من قبل الآخرين، ليتمكن من الاستفادة منها وممارسة سلطته عليها. وعليه فإن من بين المسائل المهمّة في هذا الشأن هي مهدّدات النعمة والمخاطر التي يمكن أن تتعرّض لها أحياناً على شكل الظلم أو الغصب، وتتجلّى على شكل الحسد أحياناً. وفيما يتعلّق بالظلم والغصب، ورد في المأثور عن رسول الله ﷺ أنّه قال: «مَنْ اقْتَطَعَ مَالَ مُؤْمِنٍ غَضَبًا بِغَيْرِ حَقِّهِ لَمْ يَزَلِ اللَّهُ مُعْرِضًا عَنْهُ مَا قِيتًا لِأَعْمَالِهِ الَّتِي يَعْمَلُهَا مِنَ الْبِرِّ وَالْخَيْرِ لَا يُشْبِثُهَا فِي حَسَنَاتِهِ حَتَّى يَتُوبَ وَيُرَدَّ الْمَالُ الَّذِي أَخَذَهُ إِلَى صَاحِبِهِ»^١. وعن الإمام عليّ عليه السلام، أنّه أقسم قائلاً: «وَاللَّهِ لَأَنْ أُبَيَّتَ عَلَى حَسَنِكَ السَّعْدَانِ مُسَهَّدًا أَوْ أُجَرَّ فِي الْأَغْلَالِ مُصَفَّدًا أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْ أَنْ أَلْقَى اللَّهَ وَرَسُولَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ظَالِمًا لِبَعْضِ الْعِبَادِ وَغَاصِبًا لَشَيْءٍ مِنَ الْخَطَامِ!... وَاللَّهُ لَوْ أُعْطِيتُ الْأَقَالِيمَ السَّبْعَةَ بِمَا تَحْتَ أَفْلَاكِهَا عَلَى أَنْ أَعْصِيَ اللَّهَ فِي نَمَلَةٍ أَسْلُبُهَا جُلْبَ شَعِيرَةٍ مَا فَعَلْتُهُ».

وأما الحسد فهو يمثّل بدوره تهديداً وخطراً اجتماعياً يهدّد الفضائل والامتيازات التي يتحلّى بها الأشخاص، فالأفراد الأدنى مرتبة أو الذين يعتبرون أنفسهم في مرتبة أدنى يسعون إلى القضاء على مكانة من هم أفضل منهم أو إلغاء وجودهم، ليعملوا بذلك على رفع منزلتهم الاجتماعية. وتوجد الكثير من الأمثلة التاريخية التي تشهد على هذه الحقيقة. فإنّ إبليس لم يتحمّل تفضيل الإنسان عليه، فأخذ يوسوس للنبيّ آدم عليه السلام وزوجته حواء، في سعي منه إلى إنزالهم من مرتبتهم، فقد روي في المأثور عن الإمام الصادق عليه السلام أنّه قال: «لَمَّا هَبَطَ نُوحٌ عَلَيْهِ السَّلَامُ مِنَ السَّفِينَةِ أَتَاهُ

١. ابن أبي جمهور الأحسائي، عوالي اللآلي العزيزية في الأحاديث الدينية، ١: ٣٦٤، ح ٥٦.

إِبْلِيسُ فَقَالَ لَهُ مَا فِي الْأَرْضِ رَجُلٌ أَعْظَمَ مِنِّي عَلَيَّ مِنْكَ دَعَوْتُ اللَّهَ عَلَى هَؤُلَاءِ الْفُسَّاقِ فَأَرَحَّتَنِي مِنْهُمْ أَلَا أَعْلَمُكَ خَصْلَتَيْنِ إِيَّاكَ وَالْحَسَدَ فَهُوَ الَّذِي عَمِلَ بِي مَا عَمِلَ وَإِيَّاكَ وَالْجِرْصَ فَهُوَ الَّذِي عَمِلَ بِأَدَمَ مَا عَمِلَ^١.

وإنَّ قاييل لم يتحمل تفضيل أخيه هابيل عليه قتلته، فقد ورد في الأثر عن الإمام جعفر الصادق (عليه السلام) أنه قال: «أُصُولُ الْكُفْرِ ثَلَاثَةٌ: الْجِرْصُ، وَالِاسْتِكْبَارُ، وَالْحَسَدُ؛ فَأَمَّا الْجِرْصُ، فَإِنَّ أَدَمَ (عليه السلام) حِينَ نَهَى عَنِ الشَّجَرَةِ حَمَلَهُ الْجِرْصُ عَلَى أَنْ أَكَلَ مِنْهَا؛ وَأَمَّا الْإِسْتِكْبَارُ، فَإِبْلِيسُ حَيْثُ أُمِرَ بِالسُّجُودِ لِأَدَمَ، فَأَبَى؛ وَأَمَّا الْحَسَدُ، فَأَبْنَا أَدَمَ حَيْثُ قَتَلَ أَحَدَهُمَا صَاحِبَهُ^٢. وإخوة يوسف (عليه السلام) لم يتحملوا تفضيله عليهم، فباعوه على أنه ملوك؛ ليخلو لهم الأمر وتكون لهم الأفضلية في غيابه، رُوي عن الإمام زين العابدين (عليه السلام)، أنه قال: «كَانَتْ أَوَّلُ بَلْوَى نَزَلَتْ بِعِيقُوبَ وَآلِ يَعْقُوبَ الْحَسَدَ لِيُوشَعَ لَمَّا سَمِعُوا مِنْهُ الرُّؤْيَا^٣. كما حَسَدَ النَّبِيُّ نُوْحَ (عليه السلام) من قومه؛ إذ قالوا: لم أُوحي إلى رجل مثلنا! وفيما يتعلق بأهل البيت (عليهم السلام)، فمن الناس من لم يتحمل تفضيلهم؛ ولذلك فقد نصبوا لهم العدا، وفي ذلك روي عن أمير المؤمنين علي (عليه السلام) أنه قال: «أَوَّلُ مَنْ حَسَدَ أَدَمَ الَّذِي خَلَقَهُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ بِيَدِهِ وَنَفَخَ فِيهِ مِنْ رُوحِهِ وَأَسَجَدَ لَهُ مَلَائِكَتُهُ وَعَلَّمَهُ الْأَسْمَاءَ كُلَّهَا وَاصْطَفَاهُ عَلَى الْعَالَمِينَ فَحَسَدَهُ الشَّيْطَانُ فَكَانَ مِنَ الْغَاوِينَ ثُمَّ حَسَدَ قَايِيلُ

١. الصدوق، الخصال، ٥١: ١، ح ٦١.

٢. الكليني، الكافي، ٢: ٢٨٩، ح ١.

٣. الصدوق، علل الشرائع، ٤٦، ح ١.

هَابِلَ فَقَتَلَهُ فَكَانَ مِنَ الْخَاسِرِينَ وَنُوحٌ حَسَدَهُ قَوْمُهُ فَقَالُوا: ﴿مَا هَذَا إِلَّا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ يَأْكُلُ مِمَّا تَأْكُلُونَ مِنْهُ وَيَشْرَبُ مِمَّا تَشْرَبُونَ وَلَئِنْ أَطَعْتُمْ بَشَرًا مِثْلَكُمْ إِنَّكُمْ إِذَا لَخَاسِرُونَ﴾ (المؤمنون: ٣٣-٣٤). وَلِلَّهِ الْخَيْرَةُ يَخْتَارُ مَنْ يَشَاءُ وَيَخْتَصُّ بِرَحْمَتِهِ مَنْ يَشَاءُ* وَيُؤْتِي الْحِكْمَةَ وَالْعِلْمَ مَنْ يَشَاءُ ثُمَّ حَسَدُوا نَبِيَّنَا مُحَمَّدًا ﷺ أَلَا وَنَحْنُ أَهْلُ الْبَيْتِ الَّذِينَ أَذْهَبَ اللَّهُ عَنْهُمْ الرِّجْسَ وَنَحْنُ الْمَحْسُودُونَ كَمَا حَسَدَ آبَاؤُنَا قَالَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿إِنَّ أَوْلَى النَّاسِ بِإِبْرَاهِيمَ لِلدِّينِ أَتَّبِعُوهُ وَهَذَا النَّبِيُّ﴾ (آل عمران: ٦٨)، وَقَالَ: ﴿وَأُولُو الْأَرْحَامِ بَعْضُهُمْ أَوْلَى بِبَعْضٍ فِي كِتَابِ اللَّهِ﴾ (الأنفال: ٧٥)¹.

وفي المجموع يمكن القول إنه في مفهوم الحسد يقع أصحاب النعمة من جهة؛ حيث يتم تهديد مكانتهم وممتلكاتهم وامتيازاتهم، ومن جهة أخرى يقع الحاسدون الذين يرون أن تفضيلهم وعلو مكانتهم يتوقف على إلغاء أفضلية الآخرين، بل ومحو أصحاب الفضل والمكانة من الوجود أساساً، ومن هنا يتحوّل الحسد إلى خطر يهدد أفضلية الآخرين.

ثمّة جزء كبير من النصوص الدينية يختصّ بالتحذير من الحسد وطرق الوقاية منه. وتنقسم طرق الوقاية من الحسد إلى طائفتين رئيسيتين، وهما: الطرق الناعمة إلى الشخص الحاسد، والطرق الناعمة إلى الشخص المحسود. وإنّ الطرق الناعمة إلى الشخص الحاسد عبارة عن شيئين، أحدهما: توصيفه وتقويمه وانتقاصه، والآخر: بيان تبعات ذلك. وفي الطريقة الأولى اتضح شيان، أحدهما: توصيف وتقويم

١. الطبرسي، الاحتجاج على أهل اللجاج، ١: ٣٧١.

الحسد^١، والآخر: توصيف وتقويم الحسود^٢. في التوصيف الأوّل (وصف الحسد وتقويمه) تذهب النصوص الدينيّة إلى توصيف الحسد -على سبيل المثال- بأنّه أساس الكفر، والأخطاء والزلل، أو أنّه سلوك جاهليّ وشيطانيّ، أو من أسوأ أنواع البلاء والمرض، وفي التوصيف الثاني (وصف الحسود وتقويمه) بيان أنّ الحسود -مثلاً- عدوّ للنعمة والتقدير الإلهيّ، يسعى إلى توصيف الحقيقة القبيحة والدينئة للحسد والحسود، ليعمل من طريق الخطّ من قيمة الحسد إلى إثارة الطبع القيّم لدى الإنسان وحثّه على الابتعاد عنه؛ وأمّا الطريقة الثانية فتقوم على تصوّر التبعات^٣. إنّ توصيف التداعيات السلبية لسلوك ما من طريق إثارة غريزة دفع الضرر، يعمل على إبعاد الفرد عن ممارسة ذلك السلوك. يُفهم من نصوص هذا القسم أنّ الحسد ينطوي على ضرر من جهتين، أحدهما: الأضرار الفرديّة، وهي تشمل الأضرار الجسديّة والنفسية، من قبيل: الضغوط النفسيّة وانخفاض مستوى الراحة والسكينة، وكذلك الأضرار المعنويّة، التي تؤدّي من جهة إلى القضاء على السلوكيّات الحسنة، وتضرّر الدين والإيمان، ويستوجب من جهة أخرى الغرق في وحل الذنوب وارتكاب الأخطاء والزلات. والجهة الأخرى الأضرار الاجتماعيّة التي تستوجب من جهة الفضيحة على المستوى الفرديّ والابتعاد عن السيادة بالنسبة إلى ذات الفرد، ويؤدّي من ناحية أخرى إلى فساد المجتمع وزواله. إنّ بيان

١. محمّدي ري شهري وآخرون، دانش نامه قرآن وحديث، عنوان الحسد/ الفصل الثاني: أوصاف الحسد.

٢. م. ن، عنوان الحسد/ الفصل الثالث: أوصاف الحسود.

٣. م. ن، عنوان الحسد/ الفصل الخامس: مضارّ الحسد.

الأضرار على كلا الجانبين يستوجب زيادة القدرة على التنبؤ بمستقبل السلوك، وتقوية العمل من أجل التخلص من موبقة الحسد.

الطائفة الثانية: الطرق النازرة إلى صاحب النعمة (المحسود) من أجل الحيلولة دون وقوع الحسد، لا يكفي التركيز فيها على الحسود، وإنما يتعين على صاحب النعمة أن يقوم ببعض الأمور في هذا الاتجاه أيضًا. فتارة يتم تحريك الحسود من قبل صاحب النعمة نفسه، فإن ذكر النجاحات والامتيازات والمفاخر والممتلكات يؤدي إلى إثارة الأشخاص، مما يخلق أرضية للحسد^١. فإن الحسد يتوقف على معرفة الأفضلية، وما لم يطلع الشخص الحاسد على امتيازات الآخرين ونجاحاتهم، لا يكون ثمة مجال للحسد. ومن هنا ورد الحديث في المصادر الدينية عن الكتمان بوصفه عنصرًا للوقاية النازرة إلى صاحب النعمة^٢.

ومن بين الموارد الأخرى، التوقع المالي من الآخرين، فكل شخص قد يعاني من حاجة حقيقية أو وهمية إلى المال، ويبحث عن طرق توفيره في أموال الآخرين، الأمر الذي يؤدي إلى توجيه الأنظار إلى ممتلكات الآخرين. والناس بطبيعتهم لا يتحملون توجه أنظار الناس وفتح أعينهم على أموالهم وممتلكاتهم. وقد ورد في المأثور عن الإمام زين العابدين عليه السلام أنه قال في هذا الشأن: «فَإِنَّمَا أَهْلُ الدُّنْيَا يَعْشَقُونَ الْأَمْوَالَ فَمَنْ لَمْ يُزَاحِمْنَهُمْ فِيمَا يَعْشَقُونَهُ كَرَّمَ عَلَيْهِمْ وَمَنْ لَمْ يُزَاحِمْنَهُمْ فِيهَا وَمَكَّنَّهُمْ

١. يمكن لهذه المسألة أن ترتبط بموضوع التفاخر وحتى بموضوع النسب أيضًا.

٢. محمدي ري شهري وآخرون، دانش نامه قرآن وحديث، عنوان الحسد/ ما ينبغي للوقاية من الحسد.

مِنْ بَعْضِهَا كَانَ أَعَزَّ [عَلَيْهِمْ] وَأَكْرَمٌ^١. وعلى هذا الأساس فإنّ من بين الأمور التي تشكل خطرًا وتهديدًا على حرمة المال والممتلكات، هو توقّعات الآخرين. وبطبيعة الحال فإنّ مساعدة الآخرين، تعدّ فضيلة اجتماعيّة يجب العمل على بيانها في موضعه الخاص. وإنّنا المهمّ هنا هو الشعور بعدم الأمن من قبل صاحب المال. إنّ التوقّعات الماليّة للآخرين ينتج عنها الشعور بانعدام الأمن الاقتصاديّ.

ب. حرمة السّمة

ومن الأمور المتعلّقة بكلّ شخص الاعتبار الاجتماعيّ، والذي يتمّ التعبير عنه بمختلف التعبيرات، من قبيل: المنزل الاجتماعيّة، والمكانة الاجتماعيّة، والموقع الاجتماعيّ وما إلى ذلك. والمراد من الاعتبار الاجتماعيّ هو مقدار السمعة والمنزلة التي يحصل عليها الفرد في المجتمع. فالأشخاص إنّما يكتسبون المنزلة والمكانة الاجتماعيّة على أساس حجم الاعتبار والسمعة الاجتماعيّة، وفي الحقيقة، فإنّ القيمة الاجتماعيّة للأفراد إنّما تتعيّن على هذا الأساس. فمن دون الاعتبار والسّمة الاجتماعيّة، لا يوجد موقع للشخص، وحياته الاجتماعيّة تتعرّض للخلل الذي سيلقي بظلاله على حياته الشخصيّة والأسريّة أيضًا. ومن هنا يكون اعتبار وسمعة الأشخاص أمرًا مهمًّا وحيويًّا، وصيانة هذا الاعتبار تكتسب أهميّة كبيرة.

وقد ورد في الثقافة الإسلاميّة بيان سلسلة من الأمور الشخصيّة بوصفها تشكل خطرًا وتهديدًا للعرض والسمعة، مع ذكر بعض المطالب بشأنها. إنّ هذه التهديدات

١. الطبرسيّ، الاحتجاج على أهل اللجاج، ٢: ١٥٧، ح ١٩١.

تعدّ في النظرة الأولى من بين خصائص ومعايير الآفات الاجتماعية، بيد أن طريقة المواجهة معها تعمل على التعريف بخصائص ومعايير للسلامة الاجتماعية. ومن ناحية أخرى، فإن معرفة التهديدات تكتسب أهمية للوقاية منها. ومن هنا سوف نتعرّض فيما يلي إلى أهم هذه الأمور:

عدم تقصّي الأخطاء والعيوب

ومن الأمور المهمة في هذا الشأن، تسقط عيوب الآخرين. فإن كلّ شخص لا يخلو طوال حياته من الوقوع في الخطأ والزلل. بيد أن ذلك يجب أن لا يؤدّي إلى هتك حرمة وسمعة الأشخاص. وإنّ المفهوم المهمّ في هذا الموضوع هو تسقط عيوب الناس والبحث عن مواطن الزلل فيهم. هناك من الناس من يبحث دائماً عن عيوب الآخرين ويتسقط أخطاءهم. وقد عمد القرآن الكريم إلى تحذير الناس من مغبة هذا الفعل، كما في قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اجْتَنِبُوا كَثِيرًا مِّنَ الظَّنِّ إِنَّ بَعْضَ الظَّنِّ إِثْمٌ وَلَا تَجَسَّسُوا وَلَا يَغْتَبَ بَعْضُكُم بَعْضًا أَيُحِبُّ أَحَدُكُمْ أَن يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتًا فَكَرِهْتُمُوهُ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ تَوَّابٌ رَّحِيمٌ﴾ (الحجرات: ١٢)، وقال بأنه لن ينتج عن ذلك سوى الفضيحة بالنسبة إلى من يتتبع عيوب الآخرين. إذ لو أصرّ الشخص على تعقب عيوب الآخرين، فإن الله سبحانه وتعالى في مقام حماية الشخص المظلوم، سوف يتتبع أخطاء وعيوب الباحث عن عيوب الآخرين، ويهتك ستره حتّى لو كان في بيته؛ فقد ورد في المأثور عن رسول الله ﷺ أنّه قال: «لَا تَتَّبِعُوا عَوْرَاتِ الْمُؤْمِنِينَ فَإِنَّهُ مَن تَتَّبَعَ عَوْرَاتِ الْمُؤْمِنِينَ تَتَّبَعَ اللَّهُ عَوْرَتَهُ وَمَن تَتَّبَعَ اللَّهُ عَوْرَتَهُ فَضَحَهُ وَلَوْ

فِي جَوْفِ بَيْتِهِ»^١. وهذه ليست مجرد مسألة فردية، ففي نظام الحكم ترد المسألة ذاتها أيضًا. فقد كتب الإمام عليّ عليه السلام في عهده إلى عامله على مصر مالك الأشتر النخعي: «وَلَيْكُنْ أَبْعَدُ رَعِيَّتِكَ مِنْكَ وَأَشْنُوهُمْ عِنْدَكَ أَطْلَبَهُمْ لِعُيُوبِ النَّاسِ، فَإِنَّ فِي النَّاسِ عُيُوبًا الْوَالِي أَحَقُّ مَنْ سَتَرَهَا. فَلَا تَكْشِفَنَّ عَمَّا غَابَ عَنْكَ مِنْهَا فَإِنَّمَا عَلَيْكَ تَطْهِيرُ مَا ظَهَرَ لَكَ، وَاللَّهُ يَحْكُمُ عَلَى مَا غَابَ عَنْكَ. فَاسْتُرِ الْعَوْرَةَ مَا اسْتَطَعْتَ، يَسْتُرِ اللَّهُ مِنْكَ مَا تُحِبُّ سِتْرَهُ مِنْ رَعِيَّتِكَ»^٢.

والمسألة الأخرى في هذا الموضوع، هي الاحتفاظ بعيوب الآخرين من أجل توظيفها في المكان المناسب. فهناك من الأشخاص الاستغلاليين الذين يتحينون الفرص ويحتفظون بأخطاء الآخرين وزلاتهم لكي يستفيدوا منها لاحقًا من أجل تحقيق مآربهم الشخصية وغاياتهم الخاصة! فهؤلاء هم أبعد الناس عن الله، وأقرب الأشخاص إلى الكفر. فقد ورد في الحديث المأثور عن الإمام الصادق عليه السلام أَنَّهُ قَالَ: «أَبْعَدُ مَا يَكُونُ الْعَبْدُ مِنَ اللَّهِ أَنْ يَكُونَ الرَّجُلُ يُوَاحِي الرَّجُلَ، وَهُوَ يَحْفَظُ عَلَيْهِ زَلَاتِهِ لِيُعِيرَهُ بِهَا يَوْمًا مَا»^٣.

وعن الإمام عليّ عليه السلام، وقد سُئِلَ عما يقوله الناس: عَوْرَةُ الْمُؤْمِنِ عَلَى الْمُؤْمِنِ حَرَامٌ؟ قَالَ: «لَيْسَ حَيْثُ تَذْهَبُ إِنَّمَا عَوْرَةُ الْمُؤْمِنِ أَنْ يَرَاهُ يَتَكَلَّمُ بِكَلَامٍ يُعَابُ عَلَيْهِ

١. الصدوق، ثواب الأعمال وعقاب الأعمال، ١: ٢٨٨.

٢. نهج البلاغة، الكتاب رقم: ٥٣.

٣. الكليني، الكافي، ٢: ٣٥٥، ح ٧.

فَيَحْفَظُهُ عَلَيْهِ لِيُعِيرَهُ بِهِ يَوْمًا إِذَا غَضِبَ»^١.

وعن الإمام الباقر (عليه السلام)، أنه قال: «أَقْرَبُ مَا يَكُونُ الْعَبْدُ إِلَى الْكُفْرِ أَنْ يُوَاجِهِيَ الرَّجُلَ الرَّجُلَ عَلَى الدِّينِ، فَيَحْصِي عَلَيْهِ زَلَّاتِهِ؛ لِيُعِيرَهُ بِهَا يَوْمًا مَا»^٢. ويمكن لهذا الأمر أن يكتسب بُعدًا ينطوي على إثارة ويقترن بالرضى والحبور أيضًا. وقد نهى الإمام علي (عليه السلام) عن الاعتباط والسرور بسبب ارتكاب الآخرين للأخطاء؛ وذلك لأنَّ الشخص المعتبط نفسه غير معصوم من الخطأ؛ فقد روي في المأثور عنه (عليه السلام) أنه قال: «لَا تَبْتَهِجَنَّ بِخَطَا غَيْرِكَ فَإِنَّكَ لَنْ تَمْلِكَ إِلَّا صَابَةً أَبَدًا»^٣؛ لأنه لا يعلم ما الذي يجبُّه له الزمن: «لَا تَفْرَحَنَّ بِسَقَطَةِ غَيْرِكَ فَإِنَّكَ لَا تَدْرِي مَا يُحْدِثُ بِكَ الزَّمَانُ»^٤.

وفي قبال هذا السلوك المنحرف ثمة سلوك سليم، والسلوك السليم يقتضي: أولاً: تجاهل أخطاء الآخرين، وما يُصطلح عليه بالتغافل. إنَّ انتظام الحياة والمعاشرة ومخالطة الناس تشبه كأسًا ممتلئًا إلى الثلثين بالعقل، والثلث الباقي بالتغافل وغض الطرف؛ فعن الإمام الصادق (عليه السلام): «صَلِّحْ حَالِ التَّعَاشُرِ وَالتَّعَاشُرِ مِلْءُ مِكْيَالٍ ثَلَاثَةٌ فُطْنَةٌ وَثُلُثُهُ تَعَافُلٌ»^٥. إنَّ الذي لا يتظاهر بالغفلة عن نواقص الآخرين،

١. المجلسي، بحار الأنوار، ٧٥: ٢١٤، ح ٨.

٢. الكليني، الكافي، ٤: ٧٨، ح ٣.

٣. الآمدي التميمي، غرر الحكم ودرر الكلم، ح ١٠٢٩٤.

٤. م. ن، ح ١٠٢٩٠.

٥. ابن شعبة الحارثي، تحف العقول عن آل الرسول، ٣٥٩؛ الشهيد الأول، الدرّة الباهرة من الأصداف

الطاهرة، ٢٨؛ الحلواني، نزهة الناظر وتنبية الخواطر، ١٠٠، ح ١٨.

ولا يغض الطرف عن كثير من الأمور، يعيش حياة ملؤها المرارة والنكد، فقد ورد عن الإمام علي عليه السلام أنه قال: «مَنْ لَمْ يَتَغَاوَلْ وَلَا يَغُصَّ [لَا يَتَقَاض] عَنْ كَثِيرٍ مِنَ الْأُمُورِ تَنَغَّصَتْ عَيْشَتُهُ»^١.

ثانياً: أن يحمل عمل أخيه المؤمن على الصّحة. فقد ورد في المأثور عن الإمام علي عليه السلام أنه قال: «ضَعْ أَمْرَ أَخِيكَ عَلَى أَحْسَنِهِ حَتَّى يَأْتِيَكَ مِنْهُ مَا يَغْلِيكَ وَلَا تَظُنَّنْ بِكَلِمَةٍ خَرَجْتَ مِنْ أَخِيكَ سُوءاً وَأَنْتَ تَجِدُ لَهَا فِي الْخَيْرِ مَحْمَلاً»^٢. وعنه عليه السلام أيضاً أنه قال: «مَنْ عَرَفَ مِنْ أَخِيهِ وَثِيقَةَ دِينٍ وَسَدَادَ طَرِيقٍ فَلَا يَسْمَعَنَّ فِيهِ أَقَاوِيلَ الرِّجَالِ أَمَا إِنَّهُ قَدْ يَرُمِي الرَّامِي وَتُخَطِئُ السَّهَامُ»^٣.

ثالثاً: لو أنكر الشخص أن يكون قد ارتكب شيئاً قبيحاً، ينبغي تصديقه حتى لو شهد خمسون شخصاً على خلاف ذلك.

عدم اللوم على الأخطاء

ومن الأمور التي تهدد الاعتبار والحرمة الاجتماعية لوم الآخرين بسبب أخطائهم وزلاتهم. واللوم عبارة عن الطعن في الآخرين وتبرئة النفس، الأمر الذي يؤدي إلى الكثير من الضغوط النفسية. فقد جاء في المروي عن الإمام الصادق عليه السلام، أنه قال: «إِنَّ اللَّهَ تَبَارَكَ وَتَعَالَى ابْتَلَى أَيُّوبَ عَلَيْهِ السَّلَامُ بِلَا ذَنْبٍ فَصَبَرَ حَتَّى عَيَّرَ وَإِنَّ الْأَنْبِيَاءَ لَا

١. الأمدّي التميمي، غرر الحكم ودرر الكلم، ٥: ٤٥٥، ح ٩١٤٩.

٢. الكليني، الكافي، ١: ٩٤.

٣. نهج البلاغة، الخطبة رقم: ١٤١.

يَصْبِرُونَ عَلَى التَّعْيِيرِ»^١. وقد تمّ شجب هذا الأمر في المصادر الإسلامية، والنقطة المهمة الواردة في هذا الشأن هي ارتداد اللوم إلى ذات الشخص اللائم؛ بمعنى أنّ الله سيبتليه بالعيب ذاته الذي لام عليه أخاه. فقد ورد في المأثور عن الإمام الصادق عليه السلام أنّه قال: «مَنْ عَيَّرَ مُؤْمِنًا بِذَنْبٍ لَمْ يَمُتْ حَتَّى يَرْكَبَهُ»^٢. وعنه أيضاً: «مَنْ أَنْبَ مُؤْمِنًا، أَنْبَهُ اللَّهُ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ»^٣. وعنه عليه السلام أيضاً أنّه قال: «لَا تُبْدِي الشَّمَاتَةَ لِأَخِيكَ فَيَرْحَمَهُ اللَّهُ وَيُصَيِّرَهَا بِكَ» وَقَالَ «مَنْ شَمِتَ بِمُصِيبَةٍ نَزَلَتْ بِأَخِيهِ لَمْ يَخْرُجْ مِنَ الدُّنْيَا حَتَّى يُفْتَنَ»^٤. وقال أعرابي لرسول الله ﷺ أوصني. فقال له: «عَلَيْكَ بِتَقْوَى اللَّهِ فَإِنْ امْرُؤٌ غَيَّرَكَ بِشَيْءٍ يَعْلَمُهُ فَيْكَ فَلَا تُعَيِّرْهُ بِشَيْءٍ تَعْلَمُهُ فِيهِ يَكُنْ وَبِأَلِّهِ عَلَيْهِ وَأَجْرُهُ لَكَ»^٥. وقال الخضر عليه السلام في نصيحته للنبي موسى عليه السلام: «يَا ابْنَ عِمْرَانَ لَا تُعَيِّرَنَّ أَحَدًا بِخَطِيئَتِهِ، وَأَبُكْ عَلَى خَطِيئَتِكَ»^٦.

عدم إظهار الأخطاء المستورة

ومن المفاهيم الأخرى التي تندرج ضمن هذا الموضوع مفهوم الغيبة. والغيبة تعني إظهار العيوب والأخطاء المستورة والخافية في غياب الشخص بما يؤذيه، فقد ورد

١. الصدوق، علل الشرائع، ٧٥، ح ٤.

٢. الكليني، الكافي، ٣٥٦: ٢، ح ٣.

٣. م. ن، ٣٥٦: ٢، ح ١.

٤. م. ن، ٣٥٩: ٢، ح ١.

٥. ورام بن أبي فراس، تنبيه الخواطر ونزهة الناظر المعروف بـ (مجموعة ورام)، ١: ١١٠.

٦. المجلسي، بحار الأنوار، ١٣: ٣٠٢.

في المأثور عن رسول الله ﷺ أنه قال: «الْغَيْبَةُ أَنْ تَذْكُرَ الرَّجُلَ بِمَا فِيهِ مِنْ خَلْفِهِ»، و«مَنْ ذَكَرَ رَجُلًا بِمَا فِيهِ فَقَدْ اغْتَابَهُ»، و«الْغَيْبَةُ ذِكْرُكَ أَخَاكَ بِمَا يَكْرَهُ»، و«مَا كَرِهْتَ أَنْ تُوَاجِهَ أَخَاكَ فَهُوَ غَيْبَةٌ»^١.

وعن أبي ذر الغفاري، قال: دَخَلْتُ ذَاتَ يَوْمٍ ... عَلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ ... فَقُلْتُ يَا رَسُولَ اللَّهِ بِأَبِي أَنْتَ وَأُمِّي أَوْصِنِي بِوَصِيَّةٍ يَنْفَعُنِي اللَّهُ ... فَقَالَ: «يَا أَبَا ذَرٍّ، إِيَّاكَ وَالْغَيْبَةَ، فَإِنَّ الْغَيْبَةَ أَشَدُّ مِنَ الرَّبَا» ... قُلْتُ يَا رَسُولَ اللَّهِ مَا الْغَيْبَةُ؟ قَالَ: «ذِكْرُكَ أَخَاكَ بِمَا يَكْرَهُ»، قُلْتُ يَا رَسُولَ اللَّهِ، فَإِنْ كَانَ فِيهِ ذَلِكَ الَّذِي يُذَكِّرُ بِهِ، قَالَ: «اعْلَمْ أَنَّكَ إِذَا ذَكَرْتَهُ بِمَا هُوَ فِيهِ فَقَدْ اغْتَابْتَهُ وَإِذَا ذَكَرْتَهُ بِمَا لَيْسَ فِيهِ فَقَدْ بَهَّتَهُ»^٢.

وبطبيعة الحال فإنَّ خفاء العيب يمثل واحدًا من العناصر المهمة في الغيبة، وذلك يربطها بصيانة العرض والسمعة. إنَّ أمن العرض إنَّما يتعرَّض للخطر حيث يكون الشيء القبيح مستورًا، ويقوم شخص بالكشف عنه في غياب صاحبه. فالغيبة هي أنَّ تتحدَّث عن أخيك بشيء ستره الله عليه، وأمَّا الحديث عن صفاته الظاهرة من قبيل: حدَّة الغضب والتسرُّع، فلا يُعدُّ من الغيبة.

فقد ورد عن الإمام الصادق عليه السلام أنه قال: «الْغَيْبَةُ أَنْ تَقُولَ فِي أَخِيكَ مَا سَتَرَهُ اللَّهُ عَلَيْهِ وَأَمَّا الْأَمْرُ الظَّاهِرُ فِيهِ مِثْلُ الْحَدَّةِ وَالْعَجَلَةِ فَلَا»^٣. وعليه فقد ورد في المأثور عن الإمام الكاظم عليه السلام أنه قال: «مَنْ ذَكَرَ رَجُلًا مِنْ خَلْفِهِ بِمَا هُوَ فِيهِ مِمَّا عَرَفَهُ النَّاسُ لَمْ

١. محمدي ري شهري، ميزان الحكمة، ٧: ٥٨٢.

٢. المجلسي، بحار الأنوار، ٧٧: ٨٩، ح ٣.

٣. م. ن، ٧٥: ٢٤٦، ح ٧.

يَغْتَبُهُ وَمَنْ ذَكَرَهُ مِنْ خَلْفِهِ بِمَا هُوَ فِيهِ وَمِمَّا لَا يَعْرِفُهُ النَّاسُ اغْتَابَهُ»^١.

وقد حَرَّمَ الله هذا الأمر واعتبره مساوياً لأكل الشخص لحم أخيه ميتاً، وأمر الناس أن يتقوه، وأن يراقبوا أفعالهم: ﴿وَلَا يَغْتَبِ بَعْضُكُم بَعْضًا أَيُحِبُّ أَحَدُكُمْ أَنْ يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتًا فَكَرِهْتُمُوهُ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ تَوَّابٌ رَحِيمٌ﴾ (الحجرات: ١٢). وعن رسول الله ﷺ - في خطبة حجة الوداع - أنه قال: «إِنَّ دِمَاءَكُمْ وَأَمْوَالَكُمْ وَأَعْرَاضَكُمْ عَلَيْكُمْ حَرَامٌ كَحُرْمَةِ يَوْمِكُمْ هَذَا فِي شَهْرِكُمْ هَذَا وَبَلَدِكُمْ هَذَا، إِنَّ اللَّهَ حَرَّمَ الْغَيْبَةَ كَمَا حَرَّمَ الْمَالَ وَالْدَّمَ». وهذا يدل على أن الغيبة تندرج ضمن الأمور الداخلة في العرض والسمعة، وإن اغتياب المؤمن يمثل هتكاً لعرضه. وعنه ﷺ أيضاً - لما قالت له عائشة: حسبك من صفية كذا وكذا (تعني أتها: قصيرة) - قال: «لَقَدْ قُلْتُ كَلِمَةً لَوْ مُرِجَتْ بِمَاءِ الْبَحْرِ لَمَزَجَتْهُ»^٢. والملفت أنه قد تم اعتبار الغيبة من مصاديق إشاعة الفحشاء! فقد روي في الحديث المأثور عن الإمام الصادق عليه السلام، أنه قال: «مَنْ قَالَ فِي مُؤْمِنٍ مَا رَأَاهُ عَيْنَاهُ وَسَمِعَتْهُ أُذُنَاهُ فَهُوَ مِنَ الَّذِينَ قَالَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يُحِبُّونَ أَنْ تَشِيعَ الْفَاحِشَةُ فِي الَّذِينَ آمَنُوا لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾» (النور: ١٩)^٣.

إن جميع هذه الموارد والموارد الأخرى التي تقدّم ذكرها يمكن تبويبها ضمن استراتيجية الردع عن الغيبة، وهي استراتيجية ناظرة إلى فاعل الغيبة وقائلها،

١. الكليني، الكافي، ٢: ٣٥٨، ح ٦.

٢. المتقي الهندي، كنز العمال، ح ٨٠٤٠.

٣. الكليني، الكافي، ٢: ٣٥٧، (باب الغيبة والبهت)، ح ٢.

وتوجد استراتيجية أخرى في النصوص الدينية، وهي استراتيجية ناظرة إلى السامع. وفي هذه الاستراتيجية تم اعتبار المستمع للغيبة «مساوياً» لقائل الغيبة، فقد ورد عن الإمام علي عليه السلام أنه قال: «السَّامِعُ لِلْغَيْبَةِ كَالْمُعْتَابِ»^١. وهذا الأمر يُشير إلى دور السامع في مسار الغيبة وهتك العرض. فلو لم يكن هناك سامع لن يكون هناك متكلم في البين أبداً. وعن الإمام علي عليه السلام -وقد نظر إلى رجل يغتاب رجلاً عند الحسن ابنه عليه السلام- فقال: «يَا بُنَيَّ نَزَّ سَمْعَكَ عَنْ مِثْلِ هَذَا فَإِنَّهُ نَظَرَ إِلَيَّ أَخْبَثَ مَا فِي وَعَائِهِ فَأَفْرَغَهُ فِي وَعَائِكَ!»^٢.

وبذلك يكون الإمام قد رسم صورة بليغة في تعبيرها عن حقيقة الغيبة وماهيّتها: «نَظَرَ إِلَيَّ أَخْبَثَ مَا فِي وَعَائِهِ فَأَفْرَغَهُ فِي وَعَائِكَ»^٣. ولذلك كان من حقّ الأذن أن تحفظها من الاستماع إلى الغيبة، فقد ورد في المأثور عن الإمام زين العابدين عليه السلام أنه قال: «حَقُّ السَّمْعِ تَنْزِيهُهُ عَنْ سَمَاعِ الْغَيْبَةِ وَسَمَاعِ مَا لَا يَحِلُّ سَمَاعُهُ»^٤. إن هذا يمثل نوعاً من الردع في السلوك، إذ يجعل سوق الغيبة كاسداً، ويمكن اعتباره شاخصاً ومعيّاراً لقياس السلامة الاجتماعية.

وبالإضافة إلى الردع عن سماع الغيبة، يوجد سلوك آخر حيث الاستراتيجية تركز على السامع، وهي استراتيجية «الدفاع والدعم» للشخص الذي تؤخذ غيبته.

١. الأمدّي التميمي، غرر الحكم ودرر الكلم، ح ١١٧١.

٢. المجلسي، بحار الأنوار، ٧٢: ٢٥٩، ح ٥٤.

٣. وكفى بهذا التصوير رادعاً عن الاستماع إلى الغيبة.

٤. الصدوق، الخصال، ٥٦٦، ح ١.

إنّ هذا السلوك يقع في مرتبة أعلى من الردع عن السماع. إنّ الامتناع يمثل توجّهاً سلبياً يتم فيه اجتناب الاستماع إلى الغيبة، وأمّا الدفاع والحماية، فهو اتجاه إيجابيّ وفعل. وقد تمّ التأكيد بشدّة في المصادر الإسلاميّة على هذا الأمر في حالة وجود إمكان الدفاع والحماية؛ فقد ورد في المأثور عن النبي الأكرم ﷺ، أنّه قال:

«مَنْ تَطَوَّلَ عَلَى أَخِيهِ فِي غَيْبَةٍ سَمِعَهَا فِيهِ فِي مَجْلِسٍ فَرَدَّهَا عَنْهُ رَدَّ اللَّهُ عَنْهُ أَلْفَ بَابٍ مِنَ الشَّرِّ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ»^١.

«مَنْ أُغْتِيبَ عَنْهُ أَخُوهُ الْمُسْلِمُ فَاسْتَطَاعَ نَصْرَهُ فَلَمْ يَنْصُرْهُ خَذَلَهُ اللَّهُ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ»^٢.

«مَنْ رَدَّ عَنْ أَخِيهِ غَيْبَةً سَمِعَهَا فِي مَجْلِسٍ رَدَّ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ عَنْهُ أَلْفَ بَابٍ مِنَ الشَّرِّ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ، فَإِنْ لَمْ يَرُدَّ عَنْهُ وَأَعْجَبَ بِهِ كَانَ عَلَيْهِ كُوزٌ مِنَ إِغْتَابٍ»^٣.

«مَنْ أُغْتِيبَ عَنْهُ أَخُوهُ الْمُؤْمِنُ فَنَصْرَهُ وَأَعَانَهُ نَصْرَهُ اللَّهُ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَمَنْ أُغْتِيبَ عَنْهُ أَخُوهُ الْمُؤْمِنُ فَلَمْ يَنْصُرْهُ وَلَمْ يُعِنهْ وَلَمْ يَدْفَعْ عَنْهُ وَهُوَ يَقْدِرُ عَلَى نَصْرَتِهِ وَعَوْنِهِ إِلَّا خَفَضَهُ اللَّهُ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ»^٤. وكانّ هذه مسؤوليّة اجتماعيّة تقع على عاتق الحاضرين الذين يشهدون الغيبة، ويمكن اعتبار ذلك شاخصاً ومعيّاراً في السلامة الاجتماعيّة.

١. الصدوق، الأمالي، ٥١٦، ح ٧٠٧.

٢. الصدوق، من لا يحضره الفقيه، ٤: ٣٧٢.

٣. الصدوق، ثواب الأعمال وعقاب الأعمال، ١: ٣٣٥.

٤. م. ن، ٢: ١٧٨.

عدم نسبة الخطأ كذباً

إنَّ من بين العناوين الأخرى في هذا الموضوع، هو عنوان التهمة والبهتان. فقد يرتكب الشخص خطأ لا ينبغي إفشاؤه، ولكنَّه يظهر بالغبية؛ ولكن تارة أخرى لا يكون هناك أيُّ خطأ في البين، بيد أنَّ الآخرين يعملون على اختلاق الأخطاء الوهمية والافتراضية ويقومون بنشرها! والتهمة من مادة «الوهم» بمعنى الخطأ المتوهم. ويأتي هذا الأمر لغرض الإضرار بالآخرين، ويشير القرآن الكريم إلى أنَّ هذا الأمر وزر عظيم وذنب ظاهر يقع على كاهل الأشخاص، قال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ يُؤْذُونَ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ بَغَيْرِ مَا كُتِبَ لَهُنَّ يَحْتَسِبُ اللَّهُ لَهُنَّ عَذَابًا أَلِيمًا﴾ (الأحزاب: ٥٨)، وقال أيضاً: ﴿وَمَنْ يَكْسِبْ خَطِيئَةً أَوْ إِثْمًا ثُمَّ يَرْمِ بِهِ بَرِيئًا فَقَدِ احْتَمَلَ بُهْتَانًا وَإِثْمًا مُّبِينًا﴾ (النساء: ١١٢). إنَّ الأثر الاجتماعيِّ للاتهام هو أنَّه يقضي على الحرمة بين الأفراد، فقد ورد في الحديث عن الإمام الصادق عليه السلام: «مَنْ إِتَّهَمَ أَخَاهُ فِي دِينِهِ فَلَا حُرْمَةَ بَيْنَهُمَا»^١. وأثره الأخرويُّ أيضاً هو الحساب العسير في يوم القيامة، فقد ورد في المأثور عن النبي الأكرم ﷺ أنَّه قال: «مَنْ قَالَ فِي امْرِئٍ مُسْلِمٍ مَا لَيْسَ فِيهِ لِيُؤْذِيَهُ، حَبَسَهُ اللَّهُ فِي رَدْعَةِ الْخَبَالِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ حَتَّى يُقْضَى بَيْنَ النَّاسِ»^٢. وعنه عليه السلام أيضاً أنَّه قال: «مَنْ بَهَتَ مُؤْمِنًا أَوْ مُؤْمِنَةً أَوْ قَالَ فِيهِ مَا لَيْسَ فِيهِ أَقَامَهُ اللَّهُ تَعَالَى يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَلَى تَلٍّ مِنْ نَارٍ حَتَّى يَخْرُجَ مِمَّا قَالَهُ فِيهِ»^٣.

١. الكليني، الكافي، ٢: ٣٦١، ح ٢.

٢. المتقي الهندي، كنز العمال، ح ٧٩٢٥.

٣. المجلسي، بحار الأنوار، ٧٥: ١٩٤، ح ٥.

المراقبة الذاتية

إنَّ من بين الأمور التي يمكن أن تهدد عرض الأشخاص وسمعتهم واعتبارهم الاجتماعي هو الوقوف في موقف خاص، أو القيام بسلوك خاص، أو التلفظ بكلمات خاصة من شأنها أن تثير الشك لدى الآخرين وتوفّر أرضية للاتهام. فإنَّ الذي يتردّد على الأماكن المشبوهة مثلاً، يُعرض نفسه لسوء الظنّ والتهمة؛ فقد ورد عن الإمام عليّ عليه السلام، أنّه قال: «مَنْ دَخَلَ مَدَاخِلَ السُّوءِ، أَتُهُمَّ»^١. وعن النبيّ الأكرم صلّى الله عليه وآله أنّه قال: «أَوَّلَى النَّاسِ بِالتُّهْمَةِ مَنْ جَالَسَ أَهْلَ التُّهْمَةِ»^٢. ومن هنا فقد روي عن أمير المؤمنين عليّ عليه السلام، أنّه قال: «إِيَّاكَ وَمَوَاطِنَ التُّهْمَةِ، وَالْمَجْلِسَ الْمَظْنُونِ بِهِ السُّوءِ، فَإِنَّ قَرِينَ السُّوءِ يَغُرُّ جَلِيسَهُ»^٣. وعنه عليه السلام أيضاً أنّه قال: «مَنْ وَقَفَ نَفْسَهُ مُوقِفَ التُّهْمَةِ، فَلَا يُلَومَنَّ مَنْ أَسَاءَ بِهِ الظَّنَّ»^٤.

وبالإضافة إلى التذكير، يُعدّ التوضيح خطوة أخرى يمكن للشخص أن يسلكها للقيام بهذا الأمر أيضاً، فلو توفّرت أرضية التهمة، وجب العمل على إزالة مورد الاتهام فوراً، ففي بعض الموارد لا يمكن تجنّب مواضع الشكّ والتهمة؛ إذ لا تخلو الحياة بأكملها من حالة تكون مثاراً للشكّ والشبهة ولا يمكن التخلص منها. وفي مثل هذه الموارد لا بدّ من العمل على تقديم بيان وتوضيح في هذا الشأن؛ إذ يمكن

١. م. ن، ٧٥: ٩١، ح ٨.

٢. الصدوق، الأمل، ٧٣، ح ٤١.

٣. المجلسي، بحار الأنوار، ٧٥: ٩٠، ح ٢.

٤. م. ن، ٧٥: ٩٠، ح ٤.

للتوضيح والشرح أن يزيل سوء الفهم ويُصلح التفسير الخاطئ لدى الآخرين، والحيلولة بذلك دون التهمة والبهتان.

ج. حرمة النفس

سبق أن ذكرنا أن من بين المواطن التي يجب أن تبقى آمنة النفس المحترمة. فإن القتل وإزهاق النفس لا تستوجب ضياع المال وهتك العرض فحسب، بل وتؤدي إلى سلب الحياة أيضًا؛ بمعنى تجريد الإنسان من فرصة الحياة التي لا تقدر بثمن ولا يمكن التعويض عنها بشيء. إن الشرط الأول في أي فعل أو نشاط في الدنيا هو امتلاك الحياة؛ فمن دون الحياة لا يمكن الحصول على شيء حتى في الآخرة. ومن هنا فقد كانت الحياة واحدة من أهم المسائل، ويحظى تهديد الحياة وتعريضها للخطر بأهمية ماثلة أيضًا. ومن هنا فقد قال الله تعالى: ﴿مِنْ أَجْلِ ذَلِكَ كَتَبْنَا عَلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ أَنَّهُ مَنْ قَتَلَ نَفْسًا بِغَيْرِ نَفْسٍ أَوْ فَسَادٍ فِي الْأَرْضِ فَكَأَنَّمَا قَتَلَ النَّاسَ جَمِيعًا وَمَنْ أَحْيَاهَا فَكَأَنَّمَا أَحْيَا النَّاسَ جَمِيعًا﴾ (المائدة: ٣٢). وقال تعالى في موضع آخر: ﴿وَلَا تَقْتُلُوا النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ وَمَنْ قُتِلَ مَظْلُومًا فَقَدْ جَعَلْنَا لَوْلِيٍّ سُلْطَانًا فَلَا يُسْرِفُ فِي الْقَتْلِ إِنَّهُ كَانَ مَنْصُورًا﴾ (الإسراء: ٣٣). وقال تعالى: ﴿وَمَنْ يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُتَعَمِّدًا فَجَزَاؤُهُ جَهَنَّمُ خَالِدًا فِيهَا وَغَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَلَعَنَهُ وَأَعَدَّ لَهُ عَذَابًا عَظِيمًا﴾ (النساء: ٩٣). وإن أول شيء يسأل الله عنه في يوم القيامة هو سفك الدماء، ومن ذلك أن الله سوف يوقف ابني آدم (هابيل وقابيل) ويحكم بينهما. ثم يتم الحكم والفصل بعد ذلك بين الآخرين من الذين كانت بينهم خصومات بلغت حدود سفك الدم، حتى

لا يبقى منهم أحد، فقد ورد في الحديث المأثور عن النبي الأكرم ﷺ أنه قال: «أَوَّلُ مَا يَحْكُمُ اللَّهُ فِيهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ الدَّمَاءُ؛ فَيُوقَفُ ابْنِي آدَمَ فَيَفْصِلُ بَيْنَهُمَا ثُمَّ الَّذِينَ يَلُونَهُمَا مِنْ أَصْحَابِ الدَّمَاءِ حَتَّى لَا يَبْقَى مِنْهُمْ أَحَدٌ ثُمَّ النَّاسَ بَعْدَ ذَلِكَ»^١.

وعن الإمام الصادق عليه السلام: «أَوْحَى اللَّهُ تَعَالَى إِلَى مُوسَى بْنِ عِمْرَانَ عَلَيْهِ السَّلَامُ: أَنْ يَا مُوسَى قُلْ لِلْمَلَأِ مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ: إِيَّاكُمْ وَقَتْلَ النَّفْسِ الْحَرَامِ بَغَيْرِ حَقٍّ؛ فَإِنَّ مَنْ قَتَلَ مِنْكُمْ نَفْسًا فِي الدُّنْيَا قَتَلْتُهُ فِي النَّارِ مِائَةً أَلْفِ قَتْلَةٍ مِثْلَ قَتْلِ صَاحِبِهِ»^٢. وعن النبي الأكرم ﷺ أنه قال: «لَزَوَالِ الدُّنْيَا جَمِيعاً أَهْوَنُ عَلَى اللَّهِ مِنْ دَمٍ سُفِكَ بَغَيْرِ حَقٍّ»^٣.

وكذلك ورد عن النبي الأكرم ﷺ - في قتيل وُجد لا يُدرى من قتله - قال: «يُقْتَلُ رَجُلٌ مِنَ الْمُسْلِمِينَ لَا يُدْرَى مَنْ قَتَلَهُ وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَوْ أَنَّ أَهْلَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ اجْتَمَعُوا عَلَى قَتْلِ مُؤْمِنٍ أَوْ رَضُوا بِهِ لَأَدْخَلَهُمُ اللَّهُ فِي النَّارِ وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ - لَا يَجْلِدُ أَحَدٌ أَحَدًا ظُلْمًا إِلَّا جُلِدَ عَذَابًا فِي نَارِ جَهَنَّمَ»^٤.

إنَّ النقطة المهمة في هذا الموضوع هي المساعدة على القتل، فحتى لو لم يقم الشخص بارتكاب القتل بنفسه، ولكنه شارك في مسار عملية القتل، يكون مذنباً أيضاً، فقد ورد في المأثور عن النبي الأكرم ﷺ أنه قال: «مَنْ أَعَانَ عَلَى قَتْلِ مُؤْمِنٍ

١. الكليني، الكافي، ٧: ٢٧١، ح ٢.

٢. الصدوق، ثواب الأعمال وعقاب الأعمال، ١: ٣٢٧، ح ٨.

٣. المنذري الشامي، الترغيب والترهيب من الحديث الشريف، ٣: ٢٩٣، ح ٦.

٤. المفيد، الأمالي، ٢١٦، ح ٣. (أ).

بِشَطْرِ كَلِمَةٍ لَقِيَ اللَّهَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ مَكْتُوبٌ بَيْنَ عَيْنَيْهِ: (آيَسٌ مِنْ رَحْمَةِ اللَّهِ)»^١. وعنه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَيْضًا أَنَّهُ قَالَ: «إِنَّ الرَّجُلَ لِيُذْفَعُ عَنْ بَابِ الْجَنَّةِ أَنْ يَنْظُرَ إِلَيْهَا بِمَحْجَمَةٍ^٢ مِنْ دَمٍ يُرِيقُهُ مِنْ مُسْلِمٍ بَغَيْرِ حَقٍّ»^٣.

د. حرمة الدين والإيمان

الدين والإيمان من أهم وأثمن الأمور من وجهة نظر الإسلام؛ ولذلك فإنها يحتاجان من الإنسان إلى المراقبة والحراسة من أجل المحافظة عليهما. وقد أكد النبي الأكرم صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في هذا الشأن، قائلاً: «فَإِنْ عَرَضَ لَكَ بَلَاءٌ فَاجْعَلْ مَالَكَ دُونَ دِمِكَ، فَإِنْ تَجَاوَزَكَ الْبَلَاءُ فَاجْعَلْ مَالَكَ وَدَمَكَ دُونَ دِينِكَ؛ فَإِنَّ الْمَسْلُوبَ مِنْ سُلْبِ دِينِهِ، وَالْمَخْرُوبَ مِنْ خَرَبِ دِينِهِ»^٤.

وقد ورد هذا المعنى نفسه في وصية النبي الأكرم صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لأُمير المؤمنين عَلَيْهِ السَّلَام أَيْضًا^٥. وفي وصية لأُمير المؤمنين عَلَيْهِ السَّلَام، قال: «إِذَا حَضَرَتْ بَلِيَّةٌ فَاجْعَلُوا أَمْوَالَكُمْ دُونَ أَنْفُسِكُمْ وَإِذَا نَزَلَتْ نَارِلَةٌ فَاجْعَلُوا أَنْفُسَكُمْ دُونَ دِينِكُمْ فَاعْلَمُوا أَنَّ الْهَالِكَ مَنْ هَلَكَ دِينُهُ وَالْحَرِيبَ مَنْ حُرِبَ دِينُهُ»^٦.

١. المتقي الهندي، كنز العمال، ح ٣٩٨٩٥.

٢. الحجم، فعل الحاجم والاسم الحجمة بالكسر، والمحجم والمحجمة: قارورته.

٣. م. ن، ح ٣٩٩٢١.

٤. م. ن، ح ٤٣٦٠١.

٥. الحرّ العاملي، وسائل الشيعة، ١١: ٤٥٢، ح ٥.

٦. الكليني، الكافي، ٢: ٢١٦، ح ٢.

وكان الإمام الصادق عليه السلام يقول عند المصيبة: «أَلْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي لَمْ يَجْعَلْ مُصِيبَتِي فِي دِينِي»^١.

وقد يتعرض دين الشخص وإيمانه في بعض الأحيان للخطر من جهة الآخرين. وفي هذه الموارد يجب على هذا الشخص أن يعتزل الفرد أو الأشخاص الآخرين الذين يشكّلون خطراً على دينه؛ قال الله تعالى في محكم كتابه الكريم: ﴿وَيَوْمَ يَعْصُ الظَّالِمُ عَلَى يَدَيْهِ يَقُولُ يَا لَيْتَنِي اتَّخَذْتُ مَعَ الرَّسُولِ سَبِيلًا يَا وَيْلَتَا لَيْتَنِي لَمْ أَتَّخِذْ فُلَانًا خَلِيلًا لَقَدْ أَضَلَّنِي عَنِ الذِّكْرِ بَعْدَ إِذْ جَاءَنِي وَكَانَ الشَّيْطَانُ لِلْإِنْسَانِ خَذُولًا﴾ (الفرقان: ٢٧-٢٩).

ويوم يُقبل أصحاب النار على بعضهم، فيقولون كما ورد في القرآن: ﴿وَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ يَتَسَاءَلُونَ قَالُوا إِنَّا كُنْتُمْ نَأْتُونَنَا عَنِ الْيَمِينِ قَالُوا بَلْ لَمْ تَكُونُوا مُؤْمِنِينَ وَمَا كَانَ لَنَا عَلَيْكُم مِّنْ سُلْطَانٍ بَلْ كُنْتُمْ قَوْمًا طَاغِينَ﴾ (الصافات: ٢٧-٣٠). وفي الكافي للشيخ الكليني، عن علي بن أسباط، عن بعض أصحابه، عن أبي الحسن عليه السلام قال: «فِيمَا وَعَظَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ بِهِ عِيسَى عَلَيْهِ السلام: يَا عِيسَى اإِغْلَمْ أَنَّ صَاحِبَ السَّوْءِ يُعْطِي وَفَرِيقَ السَّوْءِ يُرْذِي فَانْظُرْ مَنْ تُقَارِنُ، وَارْتَحِرْ لِنَفْسِكَ إِخْوَانًا مِنَ الْمُؤْمِنِينَ»^٢. ويستجير النبي الأكرم صلى الله عليه وآله وسلم بالله من الصديق الغافل ومن قرين السوء، قائلاً: «اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنْ صَاحِبِ غَفْلَةٍ، وَفَرِيقِ سُوءٍ»^٣، ويقول أيضاً: «الْوَحْدَةُ خَيْرٌ مِنْ جَلِيسٍ

١. المجلسي، بحار الأنوار، ٧٨: ٢٦٨، ح ١٨٣.

٢. الكليني، الكافي، ٢: ٦٤٠، ح ٤، وج ٨، ١٣٤.

٣. ابن مبارك، الزهد، ٣٠٣، ح ٨٧٥.

السَّوْءُ^١. وعن سفيان الثوري قال: لقيت الصادق بن الصادق جعفر بن محمد عليه السلام فقلت له: يا ابن رسول الله، أوصني. فقال لي عليه السلام: «يَا سُفْيَانُ أَمَرَنِي وَالِدِي عليه السلام بِثَلَاثٍ وَنَهَانِي عَنْ ثَلَاثٍ فَكَانَ فِيمَا قَالَ لِي يَا بُنَيَّ مَنْ يَصْحَبْ صَاحِبَ السَّوْءِ لَا يَسْلَمْ»^٢.

وقد يحدث أحياناً أن يعمل المجتمع على تضيق الفضاء على المتدين، وفي هذه الحالة قد يكون تكليفه هو الهجرة، حفظاً لدينه. قال الله تعالى في محكم كتابه الكريم: ﴿يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّ أَرْضِي وَاسِعَةً فَإِيَّايَ فَاعْبُدُونِ﴾ (العنكبوت: ٥٦). وقال أيضاً: ﴿يَا عِبَادِ الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا رَبَّكُمُ لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا فِي هَذِهِ الدُّنْيَا حَسَنَةٌ وَأَرْضُ اللَّهِ وَاسِعَةٌ إِنَّمَا يُوَفَّى الصَّابِرُونَ أَجْرَهُمْ بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾ (الزمر: ١٠).

وعن أبي جعفر عليه السلام في قوله: ﴿يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّ أَرْضِي وَاسِعَةٌ﴾ قال: «لَا تُطِيعُوا أَهْلَ الْفُسْقِ مِنَ الْمُلُوكِ فَإِنْ خِفْتُمُوهُمْ أَنْ يَفْتِنُوكُمْ عَلَى دِينِكُمْ فَإِنَّ أَرْضِي وَاسِعَةٌ»^٣. وقال الله سبحانه وتعالى في بيان مصير الذين لم يهاجروا: ﴿إِنَّ الَّذِينَ تَوَفَّاهُمُ الْمَلَائِكَةُ ظَالِمِي أَنْفُسِهِمْ قَالُوا فِيمَ كُنْتُمْ قَالُوا كُنَّا مُسْتَضْعَفِينَ فِي الْأَرْضِ قَالُوا أَلَمْ تَكُنْ أَرْضُ اللَّهِ وَاسِعَةً فَتُهَاجِرُوا فِيهَا فَأُولَئِكَ مَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ وَسَاءَتْ مَصِيرًا﴾ (النساء: ٩٧). وعن رسول الله صلوات الله عليه وآله وسلم أنه قال: «مَنْ فَرَّ بَيْنِيهِ مِنْ أَرْضٍ إِلَى أَرْضٍ وَإِنْ كَانَ شِبراً مِنَ الْأَرْضِ اسْتَوْجَبَ الْجَنَّةَ وَكَانَ رَفِيقَ مُحَمَّدٍ صلوات الله عليه وآله وسلم»^٤.

١. الحاكم النيسابوري، المستدرک علی الصحیحین، ٣: ٣٨٧.

٢. الصدوق، الخصال، ١٦٩، ح ٢٢٢.

٣. ابن الرازي القمي، جامع الأحاديث، ٢: ١٥١.

٤. الطبرسي، مجمع البيان في تفسير القرآن، ٣: ١٥٣.

٤. الأسرة الاجتماعية

ومن بين الموضوعات المذكورة في المصادر الإسلامية بوصفها مفهوماً إيجابياً، مفهوم «الأسرة الاجتماعية». إنَّ المراد من الأسرة الاجتماعية هو اعتبار أفراد المجتمع أعضاء لأسرة واحدة.

دخل محمد بن شهاب الزهريّ على الإمام علي بن الحسين زين العابدين عليه السلام -وهو كتب حزين- فقال له الإمام زين العابدين عليه السلام: «مَا بَالُكَ مَغْمُوماً مَهْمُوماً؟». قال: يا ابن رسول الله غموم وهموم تتوالى عليّ لما امتحنت به من حسّاد نعمي والطامعين فيّ ومَن أرجوه ومَن أحسنت إليه فتخلف ظنيّ.

فتبيّن أن مشكلته تكمن في حسد الحاسدين وطمع الطامعين، وما يلقاه من الأذى منهم؛ فلجأ الإمام إلى تعليمه دروساً في العلاقات الاجتماعية لكي يعمل على مواجهة هذه المشكلة ويبادر إلى إيجاد الحلول لها، وذكره بأمور لا يتسع المجال إلى ذكرها هنا. والمهم في البين هو أنّ الإمام قد ركّز في جانب من هذا الحديث على ما نصطلح عليه بـ«الأسرة الاجتماعية»؛ وذلك إذ قال له الإمام عليه السلام: «يَا زُهْرِيُّ أَمَا عَلَيْكَ أَنْ تَجْعَلَ الْمُسْلِمِينَ مِنْكَ بِمَنْزِلَةِ أَهْلِ بَيْتِكَ فَتَجْعَلَ كَبِيرَهُمْ بِمَنْزِلَةِ وَالِدِكَ وَتَجْعَلَ صَغِيرَهُمْ بِمَنْزِلَةِ وَلَدِكَ وَتَجْعَلَ تَرْبَكَ مِنْهُمْ بِمَنْزِلَةِ أَخِيكَ؟ فَإِنَّ هَؤُلَاءِ تُحِبُّ أَنْ تَظْلِمَ وَأَيُّ هَؤُلَاءِ تُحِبُّ أَنْ تَدْعُو عَلَيْهِ وَأَيُّ هَؤُلَاءِ تُحِبُّ أَنْ تَهْتِكَ سِرَّهُ؟»^١.

إن هذا المنطق يقضي على الآفات والأضرار الاجتماعية، ويحول دون شيوع

١. الطبرسي، الاحتجاج على أهل اللجاج، ٢: ١٥٧، ح ١٩١؛ ورام بن أبي فراس، تنبيه الخواطر ونزهة

الناظر المعروف بـ(مجموعة ورام)، ٢: ٩٣.

الامتعاظ وتفتّشي عدم الرضى الاجتماعى؁ ومضافاً إلى ذلك فإنّه يعمل على إيجاد الشعور بالألفة والقراة تجاه الآخرين.

٥. الأؤة الاجتماعية

يعدّ مفهوم «الأؤة» من المفاهيم المهمة في السلامة الاجتماعية؁ وقد تمّ إنجاز دراسة تفصيلية في موسوعة القرآن والحديث حول هذا المفهوم في اللغة والمصادر الإسلامية؁ وفيما يلي نقبس منها بعض المقاطع المهمة. إنّ كلمة «الأؤ» -في ضوء هذه الدراسة- تُطلق على الذين تقوم بينهم أنواع من العلاقات والروابط النسبية وغير النسبية؁ وكلّ شخص تقوم بينه وبين شخص آخر علاقة وصلة قريبة؁ فإنّه يُعدّ أؤاً له. وعلى هذا الأساس تكون بين «الأؤ» والعلاقات النسبية ما يُصطلح عليه في علم المنطق بالعموم والخصوص المطلق. وإنّ تتبّع استعمال كلمة «الأؤ» و«الأؤة» في القرآن والسنة؁ يثبت استعمالها في ذات المعنى اللغويّ لها (أنواع العلاقات النسبية وغير النسبية). وفي المجموع فقد ورد استعمال كلمة «الأؤ» ومشتقاتها في القرآن ٨٢ مرّة؁ كما ورد استعمال كلمة «الأؤة» ومشتقاتها ١٤ مرّة. إنّ تشريع قانون التأخي والمؤاخاة يُعدّ واحداً من أبرز منجزات النبي الأكرم ﷺ. وقد وضع القرآن الكريم في قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ﴾ (الحجرات: ١٠) قانوناً؁ حيث تقوم على أساسه روابط وعلاقات بين آحاد المسلمين لم يكن لها وجود قبل الإسلام. وتُسمّى هذه الرابطة بـ«الأؤة الدينية». لقد عمل

١. محمدي ري شهري وآخرون؁ دانش نامه قرآن وحديث؁ ٢: ٩ فما بعد؁ مدخل: (الأؤة).

الإسلام من خلال تشريعه لقانون الأخوة الدينية على مكافحة العصبية القبليّة والعرقية والحزبية من جهة، وقام بترسيخ أوثق العلاقات والأواصر الاجتماعيّة بين أفراد الأمة الإسلاميّة من جهة أخرى. والروايات الإسلاميّة لا تعتبر جميع المسلمين إخوة فحسب، بل وتؤكد على أنّهم إخوة من أب واحد وأمّ واحدة، وأنّ هذا التّأخي متجدّد في طبيعتهم وفطرتهم النورانيّة^١، ومن هنا فإنّهم يعتبرون بمنزلة الجسد الواحد^٢.

لم يكتف الإسلام بمجرّد تشريع قانون الأخوة الدينيّة والتأكيد على الآثار والنعم الفرديّة والاجتماعيّة الدنيويّة والأخرويّة المترتبة على ذلك في سبيل تعميق أواصر الترابط والتقريب بين المسلمين، بل اعتبر المحبة والمودة بين المسلمين فريضة دينية واجبة، فقد ورد في الأثر عن رسول الله ﷺ أنّه قال: «الْحُبُّ فِي اللَّهِ فَرِيضَةٌ»^٣. لقد أكّد الإسلام على المحبة والإخاء بين المسلمين بشدّة، حيث ورد في المرويّ عن رسول الله ﷺ أنّه قال: «مَنْ أَحَبَّ رَجُلًا فِي اللَّهِ؛ لِعَدَلٍ ظَهَرَ مِنْهُ وَهُوَ فِي عِلْمِ اللَّهِ مِنْ أَهْلِ النَّارِ آجَرَهُ اللَّهُ عَلَى حُبِّهِ إِيَّاهُ كَمَا لَوْ أَحَبَّ رَجُلًا مِنْ أَهْلِ الْجَنَّةِ»^٤.

١. محمّدي ري شهري وآخرون، دانش نامه قرآن وحديث، ٢: ٢٦.

٢. م. ن، ٣٠.

٣. الشعيري، جامع الأخبار، ٣٥٢، ح ٩٨٠؛ محمّدي ري شهري وآخرون، دانش نامه قرآن وحديث، ٢: ٤٠.

٤. السمرقندي، تنبيه الغافلين، ٤٨٢، ح ٧٥٢. وانظر أيضًا: محمّدي ري شهري وآخرون، دانش نامه قرآن وحديث، ٢: ٥٤٥.

٦. التعاون الاجتماعي

يعتبر التكافل الاجتماعيّ أو التعاون من أهمّ مفاهيم السلامة الاجتماعيّة، وقد اعتبر العلامة الطباطبائيّ المفسّر الكبير أنّ التعاون في تفسير قوله تعالى: ﴿وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَىٰ وَلَا تَعَاوَنُوا عَلَى الْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ﴾ (المائدة: ٢) ركن وأساس للسنة الإسلامية^١. فالتعاون يعني إيصال الناس العون إلى بعضهم والتكافل الجماعيّ بينهم. في التعاون يتمّ العمل على توحيد القوى المتفرقة في المجتمع، ومن طريق التكافل يتمّ العمل على زيادة القدرات الجماعيّة، ومن خلال التركيز على نقطة واحدة وتوحيد جميع الطاقات، يرفع إمكان إيجاد الآثار الإيجابية المطلوبة بشكل كبير. إنّ البرّ والإحسان ليس شيئاً سوى الإيمان الصادق في حقل الاعتقاد والمعرفة والصالح في مجال العمل؛ والإحسان دائرة واسعة تبدأ من العبادات الفرديّة والاجتماعيّة، ولا تقف عند الإنفاق الماليّ والمعاملات الاقتصادية وإدارة الشؤون السياسيّة. قال تعالى: ﴿لَيْسَ الْبِرُّ أَنْ تُولُّوا وُجُوهَكُمْ قِبَلَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ وَلَكِنَّ الْبِرَّ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَالْمَلَائِكَةِ وَالْكِتَابِ وَالنَّبِيِّينَ وَآتَى الْمَالَ عَلَى حُبِّهِ ذَوِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسَاكِينَ وَابْنَ السَّبِيلِ وَالسَّائِلِينَ وَفِي الرِّقَابِ وَأَقَامَ الصَّلَاةَ وَآتَى الزَّكَاةَ وَالْمُوفُونَ بِعَهْدِهِمْ إِذَا عَاهَدُوا وَالصَّابِرِينَ فِي الْبَأْسَاءِ وَالضَّرَّاءِ وَحِينَ الْبَأْسِ أُولَئِكَ الَّذِينَ صَدَقُوا وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ﴾ (البقرة: ١٧٧). كما أنّ الآية الكريمة في سورة المائدة تدعو إلى الاتفاق والاجتماع على الإيمان والعمل الصالح

١. الطباطبائي، الميزان في تفسير القرآن، ٥: ١٦٣.

على أساس التقوى الإلهية، وتطلب العمل الصالح والتقوى في حقل العلاقات الاجتماعية ودائرة المجتمع الواسعة. والآية ١٧٧ من سورة البقرة بدورها تطلب منا أن نتعاون ونعمل فيما بيننا على تحقيق الإيمان الأصيل والتقوى الحقيقية عند جميع أفراد المجتمع، وتطلب من المسلمين أن يفكروا في حقل العلاقات الاجتماعية على أساس الإيمان والبرّ والإحسان والتقوى، وأن لا يكتفوا بإيمانهم وتقواهم الشخصية ومبرّاتهم وحسناتهم الفردية، وأن يتعاضدوا فيما بينهم من أجل نشر هذه الخيرات والمبرّات، وأن يعملوا في المقابل على عدم التعاون في الأمور القبيحة والاعتداء على حقوق الآخرين وسلب الأمن النفسي والمالي، وأن يعملوا على ردع بعضهم عن اجتراح هذه الموبقات والسيئات^١. وعلى هذا الأساس فإن التعاون والتكافل الاجتماعيّ يُعدّ واحدًا من معايير السلامة الاجتماعية. وقد جاءت التوصية في الروايات الإسلامية بشكل عام بالتعاون بين الإخوة المسلمين، وبيان الآثار القيمة المترتبة على ذلك، فقد ورد في المأثور عن رسول الله ﷺ أنّه قال: «مَنْ نَصَرَ أَخَاهُ الْمُسْلِمَ وَهُوَ يَسْتَطِيعُ ذَلِكَ، نَصَرَهُ اللَّهُ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ»^٢. وفي المأثور عن الإمام الصادق عليه السلام أنّه قال: «اللَّهُ فِي عَوْنِ الْمُؤْمِنِ مَا كَانَ الْمُؤْمِنُ فِي عَوْنِ أَخِيهِ»^٣.

أ. نصرة المظلوم/ معاداة الظالم

إنّ من بين المصاديق المهمة للنصرة والتعاون تقديم يد العون للمستغيثين ومساعدة

١. مسعودي، روابط اجتماعي از نگاه قرآن، ٤٩ فما بعد.

٢. أبو نعيم الإصبهاني، حلية الأولياء وطبقات الأصفياء، ٣: ٢٥.

٣. الكليني، الكافي، ٢: ٢٠٠، ح ٥.

المظلومين والانتصار لهم في مواجهة الظالمين. قد تحدث في العلاقات الاجتماعية حالة ظلم يقع أحد الطرفين فيها ظالماً للطرف الآخر. وبالإضافة إلى هذه العلاقة تظهر علاقات أخرى متعددة الأطراف، حيث يقع فيها التأثير على عاتقنا؛ إذ يمكن لنا الانحياز إلى الظالم والعمل على مساعدته بسبب القرابة أو الصحبة أو التحزب أو العصبية العرقية أو اللغوية وما إلى ذلك من الأعذار الواهية. كما يمكن لنا أن نقف متفرجين ونشاهد ما يحدث ظناً منا أننا في مثل هذه الحالة نلعب دوراً حيادياً لا نعمل فيه على ترجيح كفة أيّ واحد من الطرفين. والخيار الثالث هو الانحياز للمظلوم، وقد ورد في الآيات والروايات النهي الشديد عن مساعدة الظالم على ظلمه. قال الإمام عليّ عليه السلام في وصيته لولديه الإمام الحسن والإمام الحسين عليه السلام: «كُونَا لِلظَّالِمِ خَصْماً، وَلِلْمَظْلُومِ عَوْنًا»^١. وقال أيضاً بشكل عام وعلى سبيل القاعدة الكلية: «إِذَا رَأَيْتَ مَظْلُومًا فَأَعْنِهِ عَلَى الظَّالِمِ»^٢. وقد بين النبي الأكرم صلى الله عليه وآله وسلم أجر هذا العمل العظيم وثوابه في الآخرة بقوله: «مَنْ أَخَذَ لِلْمَظْلُومِ مِنَ الظَّالِمِ كَانَ مَعِيَ فِي الْجَنَّةِ مُصَاحِبًا»^٣. وقد تحدّث القرآن الكريم أنّ النبي موسى عليه السلام عندما رأى نزاعاً بين اثنين من أبناء شعبه لم يلتزم جانب الحياد، وإنّما تدخل لمواجهة الظالم والوقوف إلى جانب المظلوم، وعلى الرغم من أنّ هذا الظالم كان مدعوماً من السلطة، إلّا أنّ هذا الأمر لم يُشكّل رادعاً للنبي موسى عليه السلام، ووقف في وجه الظالم بشدّة، وسدّد

١. المجلسي، بحار الأنوار، ١٠٠: ٩٠.

٢. الأمدّي التميمي، غرر الحكم ودرر الكلم، ح ٤٠٦٨.

٣. الكراجكي، كنز الفوائد، ٥٦.

إليه ضربة كانت من القوة بحيث أودت بحياته، ولكنه تمكن من الهرب، وحيث أنقذه الله تعالى من قبضة الفراعنة؛ تنبّه النبي موسى ﷺ إلى أنّه كان عليه أخذ جانب الاحتياط بشكل أكبر كي لا يوقع نفسه في المشاكل؛ فطلب من الله الصفح والغفران، ولما غفر الله له عاهد الله قائلاً: ﴿رَبِّ بِمَا أَنْعَمْتَ عَلَيَّ فَلَنْ أَكُونَ ظَهِيرًا لِلْمُجْرِمِينَ﴾ (القصص: ١٧).

تذكر هذه الآية كلام النبي موسى ﷺ بشكل صريح، وتربّه دون أيّ إشارة أو تعليق؛ الأمر الذي يدلّ على تأييد القرآن لمضمون هذا الكلام. وهناك الكثير من الروايات الصريحة في منعنا من مساعدة الظالم، وتحذيرنا من مغبة هذا الأمر، وتبين لنا أن جزاء ذلك هو الغضب والسخط الإلهي^١. وقد ورد عن الإمام الصادق ﷺ -في هذا الشأن- أنّه قال: «مَنْ أَعَانَ ظَالِمًا عَلَى مَظْلُومٍ لَمْ يَزَلِ اللَّهُ عَلَيْهِ سَاخِطًا حَتَّى يَنْزِعَ عَنْهُ مَعُونَتَهُ»^٢.

ب. المعارضة الاجتماعية ضدّ الظلم والظالمين

والنقطة المهمّة في البين هي أنّ عدم مساعدة الظالم لن تكون كافية، بل ولا بدّ من المسارعة إلى نجدة المظلوم أيضًا. إنّ التزام الصمت والوقوف على الحياد وعدم الانتصار للمظلوم، هو الآخر لا ينسجم مع السلامة الاجتماعية. إنّ عدم مساعدة المظلوم يُعدّ شكلاً من أشكال مساعدة الظالم؛ فلو أيقن الظالم أنّ ظلمه لن يواجه

١. مسعودي، روابط اجتماعي از نگاه قرآن، ٥٣.

٢. محمدي ري شهري، ميزان الحكمة، ح ١١٦١٨.

بأيّ مقاومة ولا يخلق أرضيّة للاعتراض، فإنّه سوف يتهاذى في غيّه ولن يرحم أحداً، ويضاعف من ظلمه للمظلومين. وعندما يقارن نفسه بالمظلوم يجد أنّه أعظم وأشدّ قوّة منه، والمانع الوحيد الذي يقف أمامه هو قوّة الآخرين الذين يمكن أن يقفوا ضده في مساعدة المظلوم، فإذا لم يكن هذا الاعتراض الاجتماعيّ موجوداً، فلماذا لا يظلم؟ وفي ضوء منطق النفعيّ والخاطيّ إنّما يتوقّف عن غيّه وظلمه إذا وجد أن ضرر ظلمه سوف يكون بالنسبة إليه أكبر من النفع الذي يحصل عليه. فإذا لم يكن ثمة اعتراض وصرخة أو مقاومة في وجهه، فلن يكون ثمة ضرر عليه لكي يمنعه من ممارسة الظلم. إنّ الظالم عندما يمارس الظلم لا يتوقّف عن ظلمه إلّا بالتذكير والاعتراض أو حتّى بالقوّة القاهرة، وهذا يعني أنّنا إذا لم نقف في وجهه الظلم، نكون قد مهّدنا الأرضيّة للظلم وأطلقنا يد الظالم ليفعل ما يريد. وعلى هذا الأساس يكون الحياد عند الظلم مساعدة للظالم وليس هناك في البين من معنى آخر لذلك^١.

بالإضافة إلى هذا التحليل، توجد الكثير من الروايات النازرة إلى هذه المسألة؛ من ذلك على سبيل المثال ما روي عن الإمام الصادق عليه السلام أنّه قال: «أَلْعَامِلُ بِالظُّلْمِ وَالْمُعِينُ عَلَيْهِ وَالرَّاضِي بِهِ شُرَكَاءُ ثَلَاثَةٌ»^٢. ومن الجدير بالذكر أنّ ثمة الكثير من الروايات التي تضع الشخص الراضي بعمل قوم في جملة القائمين بذلك العمل، وهذا الإلحاق يشمل الأعمال القبيحة والحسنة والجميلة والسيّئة. ومن هنا يكون

١. مسعودي، روابط اجتماعي از نگاه قرآن، ٥٧.

٢. ابن شعبة الحرّانيّ، تحف العقول عن آل الرسول، ٢١٦.

الرضى بالظلم نوعاً من الظلم. والنقطة اللافتة للانتباه هي أن هذه الرواية من الدقة بحيث لا تتهم كل شخص واقف على الحياد بالظلم، ولا تلحق جميع الساكين بجهة بعينها، وإنما تلحق بذلك السكوت المقرون بالرضى. وعلى هذا الأساس يمكن أن نفصل المعارضين في قلوبهم العاجزين عن الاعتراض بفعل أو قول، ولا ندخلهم في دائرة الظالمين. ويحدث في الكثير من الموارد أن تقوم العلاقات الاجتماعية بحيث يؤدي الاعتراض إلى أضرار أكبر، وإلى حدوث مظالم أعمق وأوسع. وفي هذه الموارد لا يؤدي السكوت والحياد إلى إلحاق الساكن والمحايد بالظالمين، وإن كان يجب عليه إضمار الاعتراض وعدم الرضى في قلبه^١.

ج. تلبية حاجة المؤمن

المؤمنون في القرآن الكريم إخوة؛ حيث قال الله تعالى: ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلَحُوا بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾ (الحجرات: ١٠). ومن هنا فإن رسول الله ﷺ - في ضوء الاستفادة من هذا الأصل الجوهرى - يقول: «الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ يَقْضِي بَعْضُهُمْ حَوَائِجَ بَعْضٍ فَبَقْضَاءِ بَعْضِهِمْ حَوَائِجَ بَعْضٍ يَقْضِي اللَّهُ حَوَائِجَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ»^٢. ومعنى هذا الحديث هو أن كل مؤمن أن يعمل في ضوء تخصصه وكفاءته وقدراته على رفع حاجة المؤمن الآخر، وأن يعمل على توظيف إمكانياته الدنيوية ليحصل على ثمارها في عالم الآخرة. وعليه لو فكر كل شخص بهذا الأمر،

١. مسعودي، روابط اجتماعي از نگاه قرآن، ٥٨.

٢. المفيد، الأمل، ١٥٠، ح ٨. (أ).

فسوف يتمّ العمل على تلبية احتياجاته بواسطة أشخاص آخرين، وتكرّر هذه السلسلة بحيث يعمل جميع أفراد المجتمع على قضاء حوائج بعضهم، ويعملون على تلبية مستلزماتهم بواسطة بناء المجتمع، ويتبلور العمل على أساس العمل الصالح. إنّ هذا الأسلوب يفوق التعاون بين عدد من الأشخاص ليقوموا مؤسّسة لعمل الخير والإحسان. فإنّ هذا التعاون بدوره مصداق للتعاون الاجتماعيّ، ولا شكّ في أنّ التعاون بين الأخيار لبناء مدرسة أو مسجد أو حسينية يحقّق التعاون والتعاقد على فعل الخير، بيد أنّ رفع احتياجات المؤمنين إذا توقف على عمل واسع وعامّ، فسوف يقوم مصداق التعاون الاجتماعيّ على أساس البرّ والإحسان والتقوى؛ إذ الافتراض قائم على أنّ حاجات المؤمنين لا تكون خارجة عن دائرة الشرع والدين^١.

٧. المواسة الاجتماعية

أ. المفهوم والأرضية

إنّ المفهوم الآخر الجدير بالبحث في هذا الموضوع هو «المواساة»^٢. والمواساة كالأسوة مأخوذة من مادة «أ س و»، وهذه المادّة تدلّ على العلاج والمداواة والإصلاح. قال الفيروزآبادي في تعريف «المواساة»: «أسأه بهإله مؤاساة: أنأله

١. مسعودي، روابط اجتماعي از نگاه قرآن، ٦٠.

٢. تطلق المواسة على معان مختلفة، من قبيل: التضحية، والفداء، والإحسان، وإيصال الخير إلى الآخرين، والحماية، والرعاية، والنظر إلى الجميع بعين واحدة، والحزن لأحزان الناس، والمشاركة والتعاطف معهم وما إلى ذلك. (انظر: محمّدي ري شهري وآخرون، دانش نامه قرآن وحديث، ٤: ٢٥٢).

منه، وجعلَه فيه إِسْوَةً، أو لا يكونُ ذلك إلّا من كَفَافٍ. فإن كان من فَضْلَةٍ، فليَسَ بمُواساةٍ^١. وقال الأزهرِيّ بعد إضافة معنى آخر لـ«المواساة»: «هو يُؤاسي في ماله: أي يساوي، ويقال: رحم الله رجلاً أعطى من فضل، وواسى من كفاف»^٢. وعلى هذا الأساس، فإنّ التعاطف مع الآخرين وإشراكهم في الاستفادة من نِعَم الحياة، حيث يكون نوعاً من العلاج والإصلاح الاجتماعيّ، فإنّه يُسمّى «مواساة».

إنّ النقطة الجديرة بالاهتمام في «المواساة الماليّة» هي أنّ شرط تحقّقها عبارة عن احتياج الشخص إلى شيء يضعه تحت تصرّف الآخرين. وبعبارة أخرى أوضح: إنّ مساعدة الآخرين على ثلاث درجات، ولكلّ واحدة من هذه الدرجات عنوان خاصّ وقيمة مختلفة عن الأخرى:

الدرجة الأولى: مساعدة المحتاجين بما يفيض عن حاجتك، وهذا النوع من المساعدة بالنظر إلى كَيْفِيَّتِها، يُسمّى بـ«الإنفاق»، و«الإهداء»، و«الصدقة»، و«السّخاء» وما إلى ذلك.

الدرجة الثانية: إشراك المحتاجين مع نفسه وإسهامهم فيما يرغب به ويحتاج إليه. وهذا النوع من المساعدة، هو الذي يُسمّى بـ«المواساة».

الدرجة الثالثة: إعطاء كلّ ما يحتاج إليه إلى الآخرين. إنّ هذا النوع من المساعدة، يُعدّ من أسمى القيم الأخلاقيّة، ويُسمّى بـ«الإيثار».

١. الفيروزآبادي، القاموس المحيط، ٤: ٢٩٩.

٢. الأزهرِيّ، معجم تهذيب اللغة، ١: ١٦٣.

والذي يرتبط بهذا البحث هو الدرجة الثانية، ونعني بها المواسة. وإن من بين التعاليم الأخلاقية المهمة الأخرى في الإسلام المواسة والتعاطف مع كافة الناس في الأزمات الاقتصادية. عن معتب - وهو خادم الإمام الصادق عليه السلام - قال: قَالَ لِي أَبُو عَبْدِ اللَّهِ عليه السلام - وَقَدْ تَزَيَّدَ السَّعْرُ بِالْمَدِينَةِ -: «كَمْ عِنْدَنَا مِنْ طَعَامٍ؟». قَالَ : قُلْتُ: عِنْدَنَا مَا يَكْفِينَا أَشْهُرًا كَثِيرَةً. قَالَ: «أَخْرِجْهُ، وَبِعْهُ». قَالَ: قُلْتُ لَهُ: وَلَيْسَ بِالْمَدِينَةِ طَعَامٌ. قَالَ: «بِعْهُ» فَلَمَّا بَعْتُهُ، قَالَ: «اشْتَرِ مَعَ النَّاسِ يَوْمًا بِيَوْمٍ». وَقَالَ: «يَا مُعْتَبُ، اجْعَلْ قُوَّةَ عِيَالِي نَصْفًا شَعِيرًا، وَنَصْفًا حِنْطَةً؛ فَإِنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ أَنِّي وَاجِدٌ أَنْ أُطْعِمَهُمُ الْحِنْطَةَ عَلَى وَجْهِهَا، وَلَكِنِّي أُحِبُّ أَنْ يَرَانِي اللَّهُ فَدَأْ أَحْسَنْتُ تَقْدِيرَ الْمَعِيشَةِ»^١.

وهذا الكلام يعني أن التعاطف مع الناس في الأزمات الاقتصادية يُعدّ من أعلى درجات «تدبير الحياة» ومن أروع «مصاديق الاستهلاك» في الإسلام، حيث يجب أن يحظى باهتمام الأثرياء، ولا سيّما رجال الدين والسياسة.

ب. أنواع المواسة

إن استعمال كلمة «المواسة» في الروايات الإسلامية يتطابق مع جذورها اللغوية؛ بمعنى أن هذه الكلمة تُستعمل أحياناً في إشراك الآخرين مع النفس في الاستفادة من نعم الحياة والإمكانات المادية التي تمس الحاجة إليها، وتستعمل أحياناً في رعاية العدالة في التعاطي مع الآخرين. إن التأسي والمواسة بالنظر إلى مادتها اللغوية

يُعدّان من التعاليم المهمّة في الثقافة الإسلاميّة إطار إيجاد الإصلاحات الأخلاقيّة والاقتصاديّة والحقوقية في المجتمع. إنّ التأمّي بالأشخاص الذين يتمتّعون بالغنى الأخلاقيّ والسعي إلى التشبّه بهم يقلّل من الفقر الأخلاقيّ؛ كما أنّ «المواساة» بمعناها الأوّليّ تقلّص من الشرخ الطبقيّ، وبمعناها الثاني تعمل على خلق الأرضيّة للاستفادة العامّة من الحقوق العادلة والمتساوية.

و«المواساة» في الروايات الإسلاميّة معنيان؛ أحدهما: التعاطف مع الآخرين في احتياجاتهم وفي مشاكلهم وإشراكهم في الاستفادة من إمكانيات الحياة؛ كما ورد في حديث الإمام الصادق عليه السلام، في بيان جنود العقل والجهل، حيث عدّ المواساة من جنود العقل، وعدّ المنع من جنود الجهل^١. ولهذا المعنى من المواساة نوعان، أحدهما: المواساة بالمال والإمكانيات المادّيّة^٢، والمعنى الآخر: المواساة بالنفس والروح عند احتدام الخطر^٣. والمعنى الآخر للمواساة له بدوره أنواع كثيرة، من قبيل: المواساة في الحكومة (بمعنى: العدالة الاجتماعيّة والتعامل المتكافئ والمتساوي مع آحاد أفراد المجتمع)، والمواساة في القضاء (بمعنى: العدالة القضائيّة، والتعامل المتساوي مع طرفي النزاع)، والمواساة في التعليم (بمعنى العدالة التعليميّة والتعامل المتساوي مع جميع الطلاب)، والمواساة في الأسرة (بمعنى: رعاية المساواة في إظهار المحبة للأولاد)^٤.

١. م. ن، ١: ٢٢، ح ١٤.

٢. محمّدي ري شهري وآخرون، دانش نامه قرآن و حديث، ٣: ٤٣٧ (مدخل المواساة بالمال).

٣. م. ن، ١: ٤٤١ (مدخل المواساة في الحرب).

٤. م. ن، ٣: ٤٣٧ (الفصل الثاني: أنواع المواساة).

إنّ بحث روايات هذا القسم يُشير إلى أنّ أغلب روايات «المواساة» واردة بشأن المواساة الماليّة. وبعض أنواع المواساة غير الماليّة (من قبيل: المواساة بالنفس) لا تقلّ في قيمتها عن المواساة الماليّة، بل إنّها تفوقها قيمة من دون شكّ، بيد أنّ سرّ التأكيد في الروايات الإسلاميّة على المواساة الماليّة، يعود إلى أنّ المجتمع بحاجة ماسّة إلى تحوّل هذا النوع من المواساة إلى ثقافة عامّة. ومن ناحية أخرى فإنّ المواساة الماليّة تمثّل مقدّمة للمواساة بالنفس، ومنّ يعجز عن إشراك الغير في ماله، يكون أعجز عن مواساته بنفسه من دون شكّ، ولن يعرّض نفسه للخطر من أجل الحفاظ على روح الآخر.

ج. نتائج المواساة الاقتصاديّة

تستوجب المواساة الماليّة من زاوية الروايات الإسلاميّة بقاء المحبّة وعلاقة التآخي، وازدياد بركة المال، وسعة الرزق، وإنّ الأثر المادّي الأبرز للمواساة إنّما يتجلى في اجتثاث الفقر والاحتياج من المجتمع البشريّ، فقد روي عن الإمام الباقر عليه السلام أنّه قال لأحد أصحابه: «يَا ابْنَ أَرْطَاةَ كَيْفَ تَوَاسِيكُمْ؟ قُلْتُ: صَالِحٌ يَا أَبَا جَعْفَرٍ قَالَ: يُدْخِلُ أَحَدُكُمْ يَدَهُ فِي كَيْسِ أَخِيهِ فَيَأْخُذُ حَاجَتَهُ إِذَا احْتَجَّ إِلَيْهِ؟ قُلْتُ: أَمَّا هَذَا فَلَا. فَقَالَ عليه السلام: لَوْ فَعَلْتُمْ مَا احْتَجْتُمْ»^١.

وكذلك فإنّ المواساة من الناحية المعنويّة تعدّ واحدة من أركان صحّة النظام الدينيّ،

١. محمّدي ري شهري وآخرون، دانش نامه قرآن وحديث، ٣: ٤٥٨، ح ١٧٥٣.

وواحدة من أسباب استجابة الدعاء، وإنَّ الأثر المعنويَّ الأهمَّ الذي يترتَّب على المساواة -على ما ورد في كلام الإمام الصادق (عليه السلام) - هو أنَّ الشخص المواسي يكون مشمولاً للبشارة الإلهية الواردة في قوله تعالى: ﴿يَا أَيَّتُهَا النَّفْسُ الْمُطْمَئِنَّةُ ارْجِعِي إِلَىٰ رَبِّكِ رَاضِيَةً مَّرْضِيَّةً فَادْخُلِي فِي عِبَادِي وَادْخُلِي جَنَّاتِي﴾ (الفجر: ٢٧-٣٠).

٨. التراحم الاجتماعي

يعتبر التعاطف الاجتماعي من المفاهيم المهمة في السلامة الاجتماعية، هو والذي يرد ذكره في الأدبيات الدينية تحت عنوان «الرحمة». والرحمة تعني استثارة العواطف تجاه المحتاجين الذين يرزحون في حالة من الضعف والنقصان. عندما تحيش عواطفنا على شخص يحتاج إلى رعاية ومراقبة، فإنها تكتسب صفة «الرحمة». قال العلامة الطباطبائي في هذا الشأن: «الرحمة نوع تأثر نفسي عن مشاهدة حرمان المحروم عن الكمال وحاجته إلى رفع نقيصته يدعو الراحم إلى إنجائه من الحرمان ورفع نقصه»^١.

أ. أرضية التراحم / الرحمة الاجتماعية

الإنسان كائن محتاج؛ إذ تمس الحاجة لديه إلى الكثير من الأمور، وهو يواجه طوال حياته أنواعاً كثيرة من النقص، وهذا الأمر يستوجب العجز والضعف. وإلى هنا تكون المسألة فردية، ولا تكتسب بُعداً اجتماعياً. ولا بدَّ أن نرى ما هي ردّة فعل الآخرين تجاه هذه الحالة. إن الأشخاص القادرين على التراحم تُستثار

١. الطباطبائي، الميزان في تفسير القرآن، ١٦: ١٦٦.

عواطفهم وتبرز عليهم ردود فعل إيجابية تجاه عجز إخوانهم في الإنسانية، فالذي يتّصف بصفة الرحمة ويكون رحيماً يخفق قلبه عند مشاهدة الوضع المؤسف لأخيه الإنسان، ويسعى جاهداً إلى رفع حاجته وتغيير وضعه نحو الأحسن. والأشخاص الذين يتّصفون بصفة الرحمة يمتلكون القابلية لإدراك حاجة ونقص الآخرين، كما يمتلكون القدرة على التعاطف معهم والرحمة بهم. وقد وصف القرآن الكريم أصحاب النبي عيسى بن مريم عليه السلام بالرفقة والرحمة، إذ يقول تعالى: ﴿وَجَعَلْنَا فِي قُلُوبِ الَّذِينَ اتَّبَعُوهُ رَأْفَةً وَرَحْمَةً﴾ (الحديد: ٢٧).

كما وصف الله تعالى نموذج علاقة النبي الأكرم صلى الله عليه وآله وسلم وأصحابه مع الآخرين بـ«الشدّة على الأعداء»، و«التراحم فيما بينهم»: ﴿مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ﴾ (الفتح: ٢٩).

وأثنى على المؤمنين الذين يتواصون فيما بينهم بالصبر والرحمة، بقوله: ﴿الَّذِينَ آمَنُوا وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ وَتَوَاصَوْا بِالْمَرْحَمَةِ أُولَئِكَ أَصْحَابُ الْمَيْمَنَةِ﴾ (البلد: ١٧-١٨). وعلى هذا الأساس فإنّ من جملة قابليّات الإنسان، قابليّته على الرحمة بالآخرين.

ب. حدود التراحم

والمسألة التي يتمّ طرحها هنا هي «حدود الرحمة»، فمساحة رحمة الأشخاص تختلف باختلاف قدراتهم على التراحم، فكلما كانت قابليّة الفرد أكبر، كان مرمى شعاع رحمته بالآخرين أبعد. وهذه المساحة تبدأ من أقرب الأشخاص وتمتدّ لتشمل الجميع، فهناك من يمتلك القدرة على الرحمة لأقرب الأشخاص إليه (من أمثال:

الأولاد والزوج والأقارب)، بينما تمتد الرحمة لدى بعضهم بحيث تشمل حتى الأبعدين أيضًا.

قال رسول الله ﷺ: «الرَّاحِمُونَ يَرْحَمُهُمُ الرَّحْمَنُ تَبَارَكَ تَعَالَى؛ اِرْحَمُوا مَنْ فِي الْأَرْضِ يَرْحَمْكُمْ مَنْ فِي السَّمَاءِ»^١. والكلام في هذا الحديث لا يقتصر على الرحمة بين أبناء الدين الواحد فقط، وإنما هو شامل لجميع الناس من مختلف الأديان والطوائف والأعراق. وعلى هذا الأساس، فإن رؤية الإسلام إلى التراحم لا تقتصر على الرحمة بالمؤمنين فقط، بل تشمل الرحمة بجميع البشر، ومن هنا يتم وصف النبي الأكرم ﷺ بأنه «رحمة للعالمين»، ولا يتم الاقتصار في وصفه بأنه «رحمة للمؤمنين» فقط. إن رحمة الإنسان يجب أن تشمل حتى المذنبين والعصاة أيضًا، فقد روي عن الإمام علي عليه السلام أنه قال: «إِنَّمَا يَنْبَغِي لِأَهْلِ الْعِصْمَةِ وَالْمَصْنُوعِ إِلَيْهِمْ فِي السَّلَامَةِ - أَنْ يَرْحَمُوا أَهْلَ الذُّنُوبِ وَالْمَعْصِيَةِ -»^٢. وفي المأثور عن رسول الله ﷺ أنه قال: «وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ، لَا تَدْخُلُوا الْجَنَّةَ حَتَّى تَرَاحُمُوا»، قالوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ، كُنَّا رَجِيمًا، قَالَ ﷺ: «إِنَّهُ لَيْسَ بِرَحْمَةٍ أَحَدِكُمْ خَاصَّةً، وَلَكِنْ رَحْمَةُ الْعَامَّةِ رَحْمَةُ الْعَامَّةِ»^٣.

وأما في الروايات الإسلامية، فقد ورد ذكر مساحتين أخريين للرحمة، تقع إحداهما على رأس القائمة، والأخرى في نهايتها، وهذا من عجائب الدين الإسلامي

١. المتقي الهندي، كنز العمال، ح ٥٩٦٩.

٢. نهج البلاغة، الخطبة رقم: ١٤٠.

٣. المتقي الهندي، كنز العمال، ح ٥٢٦٨.

الحنيف. والذي يقع في أسفل القائمة هو «الرأفة بالحيوان»، فقد امتدح رسول الله ﷺ حتى الرحمة بالعصفور الميت واعتبرها سبباً لرحمة الله في يوم القيامة، إذ يقول: «مَنْ رَحِمَ وَلَوْ ذَيْبِحَةً عَصْفُورٍ رَحِمَهُ اللَّهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ»^١. وفي رواية أخرى: «يُنَادِي مُنَادٍ فِي النَّارِ، يَا حَنَّانُ يَا مَنَّانُ نَجِّنِي مِنَ النَّارِ قَالَ: فَيَأْمُرُ اللَّهُ مَلَكًا فَيُخْرِجُهُ حَتَّى يَقِفَ بَيْنَ يَدَيْهِ فَيَقُولُ اللَّهُ: هَلْ رَحِمْتَ عَصْفُورًا؟»^٢. وعلى هذا الأساس تعدّ الرأفة والرفق والرحمة بالحيوان مساحة أخرى من الرحمة.

وأما الذي يقع في رأس القائمة، فهو الرحمة بالنفس، فهي من أولى مراتب الرحمة، فنحن بدورنا نحتاج إلى أن نرحم أنفسنا أيضاً، قال الإمام عليّ عليه السلام في بيان مساحة رحمة النفس، قائلاً: «فَارْحَمُوا أَنْفُسَكُمْ فَإِنَّكُمْ قَدْ جَرَّبْتُمُوهَا فِي مَصَائِبِ الدُّنْيَا»^٣؛ ولذلك فإنه يحذّر في موضع آخر من مغبة الجرأة على الله واجتراح الذنوب بقوله: «يَا أَيُّهَا الْإِنْسَانُ مَا جَزَأَكَ عَلَى ذَنْبِكَ؟!... أَمَا تَرْحَمُ مِنْ نَفْسِكَ مَا تَرْحَمُ مِنْ غَيْرِكَ؟!»^٤.

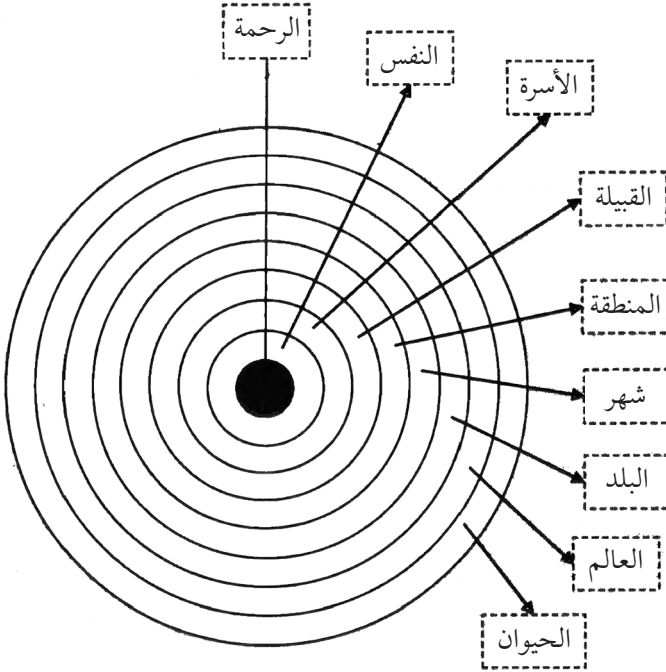
١. م. ١، ن، ح ١٥٦١٤.

٢. م. ٢، ن، ح ٥٩٩٢.

٣. نهج البلاغة، الخطبة رقم: ١٨٣.

٤. م. ٤، ن، الخطبة رقم: ٢٢٣.

مراتب التنمية في بُعد التراحم



وعلى هذا الأساس فإنّ قدرة الأشخاص على إظهار الرحمة تختلف من شخص إلى آخر، فكلّما كان بُعد الرحمة لدى الشخص أكثر نموًّا، كانت رحمته أوسع، فهناك من تتسع رحمته لنفسه فقط ولا شأن له بغيره، وهناك من يفكّر في أسرته وأولاده فقط ولا يهتمّ بالآخرين، وهناك من يذهب في رحمته إلى أبعد من ذلك، فيشمل بها قرابته أيضًا، ولكنّه يغفل عمّا يجري في المجتمع وما يحيط به، وهناك من قد يتعاطف مع أهل

منطقته ومحافظته، ولا يبالي بأبناء وطنه في المحافظات القريبة أو البعيدة الأخرى؛ وبالتالي فإنّ بعض الأشخاص قد يرحم أبناء وطنه، دون أن يُبدي أدنى اهتمام بما يجري في أقاصي الكرة الأرضية. وكلّما كانت دائرة «الاهتمام العاطفي» أضيق، كان الشخص أقلّ نموًّا وازدهارًا من الناحية العاطفية، وكلّما كانت هذه الدائرة أوسع، كان هذا الشخص أكثر نموًّا وازدهارًا. ومن هنا تأتي حساسية الإسلام تجاه احتياج الجار والفقراء والمساكين في المجتمع وكلّ من يرفع صوته بنداء الاستغاثة وطلب المساعدة. وكلّما كان بُعد الرحمة لدى الشخص أوسع كان أكثر إسلامًا. إنّ توفير الدعم للمحتاجين في الداخل وإيصال المساعدات إلى المحرومين والمظلومين في الخارج والذي شهد نموًّا ملحوظًا، ولا سيّما بعد انتصار الثورة الإسلامية في إيران إنّما يُشير إلى هذه التنمية العاطفية لدى الشعب الإيراني التي تعود بجذورها إلى ازدهاره. إنّ الأشخاص الذين يكونون على مستوى التكامل والازدهار التام من الناحية الدينية، هم أولئك الذين تتسع دائرة الرحم لديهم لتتجاوز الإنسان وتشمل حتّى الحيوانات أيضًا، وربما أمكن توسيعها لتطال حتّى النباتات والطبيعة أيضًا.

٩. الرفق والمدارة الاجتماعية

أ. الأرضية والمنشأ

من الواضح أنّه ليس جميع الذين يحيطون بنا وتربطنا بهم صلة من قريب أو بعيد على شاكلة واحدة في الأخلاق والسجايا، وهم لا يضمرون لنا الحبّ والمودة بمقدار واحد، فمنهم من يتّصف بسرعة الانفعال والغضب وقلة القدرة على الصبر والتحمّل، وقد يثور ويكثر الصخب أحيانًا، وهذه الصفات تضرّ بالعلاقة

والارتباط القائم بيننا وبين الآخرين في بعض الموارد. فلا ينتبهون إلى تحيُّتنا وسلامنا، ولا يحفلون باحتفائنا وابتساماتنا، فيقابلوننا بوجه عبوسة ومكفهرّة، ويكثرّون التوقُّع منها، ويرفعون أصواتهم عند الحديث معنا. فإن لم ندارهم مرّوا بنا معرضين وغاضبين، وربما وصل بهم الأمر إلى القطيعة وعدم العودة إلينا ثانية. يضاف إلى ذلك أنّنا أنفسنا قد نتعرّض في بعض الأحيان إلى المصائب والمحن في الحياة ويستولي علينا الحزن ونتجرّع مرارة الحياة في الدنيا لأيام وأسابيع. في كلتا هاتين الحالتين إذا لم نتعاطف فيما بيننا ولم ندرك آلام بعضنا، ولا نتحدّث بلين وكلام حسن، فإنّ الناس سوف يتفرّقون من حولنا، حتّى إذا كنّا من الأنبياء والمرسلين. فإنّ كنّا من الذين يصعّرون خدودهم للناس ونغلظ القول في حديثنا مع الآخرين وكانت قلوبنا قاسية، فلن نفشل في جمع الناس حولنا فحسب، بل سندفع الجميع إلى الهروب منّا أيضًا. وقد أشار القرآن الكريم إلى صفة الرفق واللين والمداواة التي يتحلّى بها رسول الله ﷺ، مؤكّدًا على أنّها ناشئة من الرحمة الإلهية اللامتناهية؛ وهي الرحمة التي إن أقبلت على شخص حسّنت أخلاقه ورقّ قلبه، وسوف تهفو قلوب الجميع من أعراب الجاهليّة الأجلاف إلى علماء اليهود والنصارى والفرس والرومان إليه كما تهفو الفراشات حول نور الشمعة، وفي ذلك يقول الله سبحانه وتعالى في وصف النبي الأكرم ﷺ: ﴿فَبِمَا رَحْمَةٍ مِنَ اللَّهِ لِنْتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنْتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَانْفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَوَكِّلِينَ﴾ (آل عمران: ١٥٩). ويترك الرفق والتناغم تأثيره على حياتنا أيضًا، وإلى ذلك أشار الإمام الصادق عليه السلام بقوله: «مَنْ

كَانَ رَفِيقًا فِي أَمْرِهِ، نَالَ مَا يُرِيدُ مِنَ النَّاسِ^١. إِنَّ اللين والمدارة يجتذبان نحونا الأحبة النافرين، بل يدفع حتى الكثير من الأعداء إلى مصالحتنا، كما أئبها تذللان صعوبات التواصل والارتباط، وتحببان الإنسان إلى الآخرين، ولو تم اتقان الاستفادة منهما في المورد الصحيح، فائهما يستطيعان تجريد الآخرين من سلاح الصخب والغضب، ويضعان بأيديهم بدلًا من ذلك براعم الصداقة والمودة، ويحولان دون انفصام عرى الارتباط الاجتماعي. ومن الآيات الأخرى الداعية إلى اللين والمدارة في التعامل مع الناس جزء من الآية الثالثة والثمانين من سورة البقرة والتي تخص طريقة الحوار مع الناس؛ إذ يقول تعالى: ﴿قُولُوا لِلنَّاسِ حُسْنًا﴾ (البقرة: ٨٣)، فهذه الآية تأمرنا صراحة بأن نحسن الكلام مع الناس، ولم يتم استثناء أي شخص أو جماعة من الناس في هذا الخطاب، فهذه الآية تأمرنا بالمدارة مع جميع الناس بمن فيهم المؤمن والمخالف. ونحن مكلفون بأن نبشّ ونبتسم في وجوه المؤمنين، وأن نكون حازمين مع الأعداء، دون التخلي عن الرحمة بهم. يمكن للمؤمنين بواسطة المدارة ولين الحديث وحسن الكلام أن يبعدوا الكثير من أنواع الأذى المحتمل الذي قد يطالهم ويطل أصدقاءهم المؤمنين من جانب غير المؤمنين. وعلى حدّ تعبير العلامة الطباطبائي: إنّ «القول الحسن» كناية عن حسن معاشرة الناس سواء منهم الكافر والمؤمن^٢. وإنّ من بين الأمور التي يتجلّى فيها حسن العشرة ويظهر بشكل كامل هو

١. محمدي ري شهري، ميزان الحكمة، ح ٧٥٩٨. وانظر أيضًا: الكليني، الكافي، ٢: ١١٩، ح ٧.

٢. الطباطبائي، الميزان في تفسير القرآن، ١: ٢١٩.

حسن الحديث والكلام، ولكننا في الكثير من الموارد نبدأ الكلام بصخب، ويظهر الغضب على وجوهنا وألسنتنا؛ ونزيد بذلك من النفخ في نار العداوة، وبالتالي فإننا لانفشل في تذليل الأمور والعمل على حل الخلافات والمشاكل، بل نزيد بذلك من شدتها واشتعالها، ونحلّ العداوة محلّ الصداقة والمودة، في حين أنّ القرآن الكريم والأئمة الأطهار عليهم السلام يؤكدون على حسن الحديث ولين الكلام مع الناس، وقد عدّ الإمام الصادق عليه السلام ذلك من أيسر الطرق لاجتذاب المخالفين^١.

ب. الإدارة في اختلاف الدرجة

ومن بين المسائل التي تندرج ضمن الرفق والإدارة الاجتماعية المدارة والحياة السلمية مع أبناء الدين الواحد والذين يختلفون مع الفرد. فتارة نتعامل في الحياة الاجتماعية مع أشخاص ينتمون لديننا، وتارة أخرى لا يكونون من يدين بديننا، وحيث يكون هناك دين واحد، قد يكون هناك اختلاف في الدرجات والمراتب وعمل الأفراد وتمسكهم بذلك الدين، فيكون إيمان بعضهم أقوى من إيمان الآخرين، ويكون إيمان بعضهم أضعف. وهذا يكون من موارد نشوء الاختلاف والنزاع أيضاً، ويعتبر من الأرضيات الخصبة لظهور عدم الانسجام الاجتماعي. إنّ السلامة الاجتماعية تقتضي أن نداري هؤلاء الأشخاص ونتعامل معهم بالرفق واللين، فالنموذج السلوكي المنبثق من النصوص الدينية لمثل هذه الحالة هو «تقبل / الارتقاء المرن». عن عبد العزيز القراطيسي، قال: «قَالَ لِي أَبُو عَبْدِ اللَّهِ عليه السلام: يَا عَبْدَ الْعَزِيزِ، إِنَّ الْإِيمَانَ عَشْرُ

١. مسعودي، روابط اجتماعي از نگاه قرآن، ٧٦-٧٩.

دَرَجَاتٍ، بِمَنْزِلَةِ السُّلَمِ يُصْعَدُ مِنْهُ مَرْقَاةٌ بَعْدَ مَرْقَاةٍ، فَلَا يَقُولَنَّ صَاحِبُ الْإِثْنَيْنِ لِصَاحِبِ الْوَاحِدِ: لَسْتُ عَلَى شَيْءٍ حَتَّى يَنْتَهِيَ إِلَى الْعَاشِرِ، فَلَا تُسْقِطُ مَنْ هُوَ دُونَكَ؛ فَيُسْقِطَكَ مَنْ هُوَ فَوْقَكَ، وَإِذَا رَأَيْتَ مَنْ هُوَ أَسْفَلَ مِنْكَ بِدَرَجَةٍ، فَارْفَعَهُ إِلَيْكَ يَرْفِقِي، وَلَا تَحْمِلَنَّ عَلَيْهِ مَا لَا يَطِيقُ؛ فَتَكْسِرُهُ؛ فَإِنَّ مَنْ كَسَرَ مُؤْمِنًا فَعَلَيْهِ جَبْرُهُ^١.

وعن عمار بن أبي الأحرص قال: «قُلْتُ لِأَبِي عَبْدِ اللَّهِ عليه السلام: إِنَّ عِنْدَنَا أَقْوَامًا يَقُولُونَ بِأَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ عليه السلام وَيُفَضِّلُونَهُ عَلَى النَّاسِ كُلِّهِمْ لَيْسَ يَصِفُونَ مَا نَصِفُ مِنْ فَضْلِكُمْ، أَنْتَوَلَاهُمْ؟ فَقَالَ لِي نَعَمْ فِي الْجُمْلَةِ أَلَيْسَ عِنْدَ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ مَا لَمْ يَكُنْ عِنْدَ رَسُولِ اللَّهِ، وَلِرَسُولِ اللَّهِ صلوات الله عليه عِنْدَ اللَّهِ مَا لَيْسَ لَنَا وَعِنْدَنَا مَا لَيْسَ عِنْدَكُمْ وَعِنْدَكُمْ مَا لَيْسَ عِنْدَ غَيْرِكُمْ؟ إِنَّ اللَّهَ تَبَارَكَ وَتَعَالَى وَضَعَ الْإِسْلَامَ عَلَى سَبْعَةِ أَشْهُمٍ عَلَى الصَّبْرِ وَالصَّدْقِ وَالتَّيَمُّنِ وَالرِّضَا وَالْوَفَاءِ وَالْعِلْمِ وَالْحِلْمِ ثُمَّ قَسَمَ ذَلِكَ بَيْنَ النَّاسِ فَمَنْ جَعَلَ فِيهِ هَذِهِ السَّبْعَةَ الْأَشْهُمَ فَهُوَ كَامِلُ الْإِيمَانِ مُحْتَمِلٌ ثُمَّ قَسَمَ لِبَعْضِ النَّاسِ السَّهْمَ وَلِبَعْضِ السَّهْمَيْنِ وَلِبَعْضِ الثَّلَاثَةِ الْأَشْهُمَ وَلِبَعْضِ الْأَرْبَعَةِ الْأَشْهُمَ وَلِبَعْضِ الْخَمْسَةِ الْأَشْهُمَ وَلِبَعْضِ السَّتَةِ الْأَشْهُمَ وَلِبَعْضِ السَّبْعَةِ الْأَشْهُمَ فَلَا تَحْمِلُوا عَلَى صَاحِبِ السَّهْمِ سَهْمَيْنِ، وَلَا عَلَى صَاحِبِ السَّهْمَيْنِ ثَلَاثَةَ أَشْهُمٍ وَلَا عَلَى صَاحِبِ الثَّلَاثَةِ أَرْبَعَةَ أَشْهُمٍ وَلَا عَلَى صَاحِبِ الْأَرْبَعَةِ خَمْسَةَ أَشْهُمٍ وَلَا عَلَى صَاحِبِ الْخَمْسَةِ سِتَّةَ أَشْهُمٍ وَلَا عَلَى صَاحِبِ السَّتَةِ سَبْعَةَ أَشْهُمٍ فَتَقْلُبُوهُمْ وَتَنْفَرُوهُمْ وَلَكِنْ تَرَفَّقُوا بِهِمْ وَسَهِّلُوا لَهُمُ الْمَدْخَلَ... فَلَا تَخْرُقُوا بِهِمْ أَمَا عَلِمْتَ أَنَّ إِمَارَةَ بَنِي أُمَيَّةَ كَانَتْ بِالسَّيْفِ وَالْعُسْفِ وَالْجَوْرِ وَأَنَّ إِمَارَتَنَا بِالرِّفْقِ وَالتَّأَلُّفِ وَالْوَقَارِ وَالتَّقِيَّةِ وَحُسْنِ

الْخُلُطَةِ وَالْوَرَعِ وَالْإِجْتِهَادِ فَرَعَّبُوا النَّاسَ فِي دِينِكُمْ وَفِيمَا أَنْتُمْ فِيهِ»^١.

وعن يعقوب بن الضحاك، عن رجل من أصحابنا سراج وكان خادماً لأبي عبد الله عليه السلام قال: «بَعَثَنِي أَبُو عَبْدِ اللَّهِ عليه السلام فِي حَاجَةٍ وَهُوَ بِالْحِيرَةِ أَنَا وَجَمَاعَةٌ مِنْ مَوَالِيهِ قَالَ فَأَنْطَلَقْنَا فِيهَا ثُمَّ رَجَعْنَا مُغْتَمِبِينَ، قَالَ: وَكَانَ فِرَاشِي فِي الْحَائِرِ الَّذِي كُنَّا فِيهِ نَزُولاً، فَجِئْتُ وَأَنَا بِحَالٍ، فَرَمَيْتُ بِنَفْسِي، فَبَيَّنَّا أَنَا كَذَلِكَ إِذَا أَنَا بِأَبِي عَبْدِ اللَّهِ عليه السلام قَدْ أَقْبَلَ، قَالَ: فَقَالَ: قَدْ أَتَيْتَاكَ أَوْ قَالَ: جِئْنَاكَ، فَاسْتَوَيْتُ جَالِساً وَجَلَسَ عَلَى صَدْرِ فِرَاشِي، فَسَأَلَنِي عَمَّا بَعَثَنِي لَهُ فَأَخْبَرْتُهُ، فَحَمِدَ اللَّهُ ثُمَّ جَرَى ذِكْرُ قَوْمٍ فَقُلْتُ: جُعِلْتُ فِدَاكَ إِنَّا نَبَرَأُ مِنْهُمْ، أَنَّهُمْ لَا يَقُولُونَ مَا نَقُولُ. فَقَالَ: يَتَوَلَّوْنَا وَلَا يَقُولُونَ مَا تَقُولُونَ تَبَرُّؤُونَ مِنْهُمْ؟ قَالَ: قُلْتُ نَعَمْ، قَالَ: فَهُوَ ذَا عِنْدَنَا مَا لَيْسَ عِنْدَكُمْ، فَيَنْبَغِي لَنَا أَنْ نَبَرَأَ مِنْكُمْ؟ قَالَ: قُلْتُ: لَا جُعِلْتُ فِدَاكَ. قَالَ وَهُوَ ذَا عِنْدَ اللَّهِ مَا لَيْسَ عِنْدَنَا أَفْتَرَاهُ إِطْرَحْنَاهُ؟ قَالَ: قُلْتُ لَا وَاللَّهِ جُعِلْتُ فِدَاكَ مَا نَفْعَلُ؟ قَالَ: فَتَوَلَّوْهُمْ وَلَا تَبَرُّؤُوا مِنْهُمْ، إِنَّ مِنَ الْمُسْلِمِينَ مَنْ لَهُ سَهْمٌ وَمِنْهُمْ مَنْ لَهُ سَهْمَانِ وَمِنْهُمْ مَنْ لَهُ ثَلَاثَةُ أَشْهُمٍ وَمِنْهُمْ مَنْ لَهُ أَرْبَعَةُ أَشْهُمٍ وَمِنْهُمْ مَنْ لَهُ خَمْسَةُ أَشْهُمٍ وَمِنْهُمْ مَنْ لَهُ سِتَّةُ أَشْهُمٍ وَمِنْهُمْ مَنْ لَهُ سَبْعَةُ أَشْهُمٍ، فَلَا يَنْبَغِي أَنْ يُحْمَلَ صَاحِبُ الْأَسْهُمِ عَلَى مَا عَلَيْهِ صَاحِبُ السَّهْمَيْنِ وَلَا صَاحِبُ السَّهْمَيْنِ عَلَى مَا عَلَيْهِ صَاحِبُ الثَّلَاثَةِ وَلَا صَاحِبُ الثَّلَاثَةِ عَلَى مَا عَلَيْهِ صَاحِبُ الْأَرْبَعَةِ وَلَا صَاحِبُ الْأَرْبَعَةِ عَلَى مَا عَلَيْهِ صَاحِبُ الْخَمْسَةِ وَلَا صَاحِبُ الْخَمْسَةِ عَلَى مَا عَلَيْهِ صَاحِبُ السَّتَّةِ وَلَا صَاحِبُ السَّتَّةِ عَلَى مَا عَلَيْهِ صَاحِبُ السَّبْعَةِ»^٢.

١. الصدوق، الخصال، ٣٥٤، ح ٣٥.

٢. مدينة تقع إلى الشمال من شبه الجزيرة العربية، تقع بعض أجزائها حالياً في العراق (محافظة النجف).

٣. الكليني، الكافي، ٤٣: ٢، ح ٢.

وعلى هذا الأساس يجب العمل فيما يتعلق بالمرتبة والدرجة على تقبّل الفرد ومرتبه ودرجته أوّلاً، ثمّ العمل بعد ذلك على ترقية مرتبه باللطف والمدارة.

ج. المدارة مع المخالف في الدين

الطائفة الثانية التي يمكن أن نتعامل معها، هم الذين لا يكونون على ديننا، ويخالفوننا في المذهب والعقيدة. والرفق والمدارة الاجتماعية تقتضي التعايش السلمي مع هذه الطائفة أيضاً.

وهذه واحدة من المواقع التي كان التشيع الإمامي الاثنا عشريّ يواجهها، وكان يضطرّ فيها إلى التعايش مع غير الشيعة. وكان الأئمة عليهم السلام في مثل هذه الحالة ينتهجون أسلوب الرفق والمدارة، ويأمرون أتباعهم بانتهاج هذا الأسلوب أيضاً. وكان الأئمة يطلبون من أتباعهم أن يحضروا في مساجدهم، وأن يحسنوا جوارهم، وأن يقبلوا شهادتهم، ويشهدوا جنازتهم.

وكانوا يرون أنّ سبب ذلك هو أنّ الجميع في الحياة الاجتماعية يحتاجون إلى بعضهم، ولا مفرّ لهم من التعايش فيما بينهم.

قال أبو عبد الله عليه السلام: «عَلَيْكُمْ بِالصَّلَاةِ فِي الْمَسَاجِدِ، وَحُسْنِ الْجَوَارِ لِلنَّاسِ، وَإِقَامَةِ الشَّهَادَةِ، وَحُضُورِ الْجَنَائِزِ؛ إِنَّهُ لَا بَدَ لَكُمْ مِنَ النَّاسِ، إِنْ أَحَدًا لَا يَسْتَعْنِي عَنِ النَّاسِ حَيَاتُهُ، وَالنَّاسُ لَا يَدْرِي لِيَعْضِيهِمْ مِنْ بَعْضٍ»^١.

وَعَنْ مُعَاوِيَةَ بْنِ وَهَبٍ قَالَ: قُلْتُ لِأَبِي عَبْدِ اللَّهِ عليه السلام: كَيْفَ يَنْبَغِي لَنَا أَنْ نَصْنَعَ فِيمَا بَيْنَنَا

١. الكليني، الكافي، ٤: ٦٧٩، ح ١؛ المفيد، الأملي، ١٨٥، ح ٨. (أ).

وَيَبِينَ قَوْمَنَا، وَيَبِينَ خُلَطَائَنَا مِنَ النَّاسِ مِمَّنْ لَيْسُوا عَلَى أَمْرِنَا؟ قَالَ: «تَنْظُرُونَ إِلَى أَيْمَتِكُمْ الَّذِينَ تَقْتَدُونَ بِهِمْ، فَتَصْنَعُونَ مَا يَصْنَعُونَ؟ فَوَ اللَّهِ، إِنَّهُمْ لَيَعُودُونَ مَرَضَاهُمْ، وَيَشْهَدُونَ جَنَائِزَهُمْ، وَيُقِيمُونَ الشَّهَادَةَ لَهُمْ وَعَلَيْهِمْ، وَيُؤَدُّونَ الْأَمَانَةَ إِلَيْهِمْ»^١.

وعَنْ أَبِي أُسَامَةَ زَيْدِ الشَّحَامِ، قَالَ: «قَالَ لِي أَبُو عَبْدِ اللَّهِ عليه السلام: اقْرَأْ عَلَى مَنْ تَرَى أَنَّهُ يُطِيعُنِي مِنْهُمْ وَيَأْخُذُ بِقَوْلِي السَّلَامَ، وَأَوْصِيكُمْ بِتَقْوَى اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ، وَالْوَرَعِ فِي دِينِكُمْ، وَالاجْتِهَادِ لِلَّهِ، وَصِدْقِ الْحَدِيثِ، وَأَدَاءِ الْأَمَانَةِ، وَطُولِ السُّجُودِ، وَحَسَنِ الْحِوَارِ؛ فَبِهَذَا جَاءَ مُحَمَّدٌ صلى الله عليه وآله وسلم، أَدَّوْا الْأَمَانَةَ إِلَى مَنْ ائْتَمَنَكُمْ عَلَيْهَا، بَرًّا أَوْ فَاجِرًا، فَإِنَّ رَسُولَ اللَّهِ صلى الله عليه وآله وسلم كَانَ يَأْمُرُ بِأَدَاءِ الْخَبِيطِ، وَالْمَخِيطِ؛ صَلُّوا عَشَائِرَكُمْ، وَاشْهَدُوا جَنَائِزَهُمْ، وَعُودُوا مَرَضَاهُمْ، وَأَدَّوْا حُقُوقَهُمْ؛ فَإِنَّ الرَّجُلَ مِنْكُمْ إِذَا وَرَعَ فِي دِينِهِ، وَصَدَقَ الْحَدِيثَ، وَأَدَّى الْأَمَانَةَ، وَحَسَّنَ خُلُقَهُ مَعَ النَّاسِ، قِيلَ: هَذَا جَعْفَرِيٌّ، فَيَسْرُنِي ذَلِكَ، وَيَدْخُلُ عَلَيَّ مِنْهُ السُّرُورُ، وَقِيلَ: هَذَا أَدَبُ جَعْفَرٍ؛ وَإِذَا كَانَ عَلَى غَيْرِ ذَلِكَ، دَخَلَ عَلَيَّ بَلَاؤُهُ وَعَارُهُ، وَقِيلَ: هَذَا أَدَبُ جَعْفَرٍ؛

فَوَ اللَّهِ، لَحَدَّثَنِي أَبِي عليه السلام أَنَّ الرَّجُلَ كَانَ يَكُونُ فِي الْقَبِيلَةِ مِنْ شِيعَةِ عَلِيٍّ عليه السلام فَيَكُونُ زَيْنَهَا: آدَاهُمْ لِلْأَمَانَةِ، وَأَفْضَاهُمْ لِلْحَقِّوْقِ، وَأَصْدَقُهُمْ لِلْحَدِيثِ، إِلَيْهِ وَصَايَاهُمْ وَوَدَائِعُهُمْ، تُسَالُّ الْعَشِيرَةُ عَنْهُ، فَتَقُولُ: مَنْ مِثْلُ فُلَانٍ؟ إِنَّهُ لَأَدَانَا لِلْأَمَانَةِ، وَأَصْدَقُنَا لِلْحَدِيثِ»^٢.

بل هناك حديث عن الإمام الصادق عليه السلام، يأمرنا فيه أن نحب لهم ما نحب

١. الكليني، الكافي، ٤: ٦٨٠، ح ٤.

٢. م. ن، ٦٨١، ح ٥.

لأنفسنا، فعن حبيب الخثعمي قال:

«سَمِعْتُ أَبَا عَبْدِ اللَّهِ عليه السلام يَقُولُ: عَلَيْكُمْ بِالْوَرَعِ وَالْاجْتِهَادِ، وَاشْهَدُوا الْجَنَائِزَ، وَعُودُوا الْمَرْضَى، وَاحْضَرُوا مَعَ قَوْمِكُمْ مَسَاجِدَكُمْ، وَأَحْبُوا لِلنَّاسِ مَا تُحِبُّونَ لَأَنْفُسِكُمْ، أَمْ مَا يَسْتَحْبِبِي الرَّجُلُ مِنْكُمْ أَنْ يَعْرِفَ جَارُهُ حَقَّهُ، وَلَا يَعْرِفَ حَقَّ جَارِهِ؟»^١.

بيد أن ما تقدّم لا يعني بطبيعة الحال أن يتخلّى الإنسان عن معتقدهات والذوبان في مذاهب الآخرين. بل إن العيش السلمي المشترك إنّما يجتمع مع الثبات على المعتقد. والنموذج السلوكي المنبثق عن النصوص الدينية هو نموذج «التماشي/ الاختلاف». وإن لبّ هذا النموذج عبارة عن الفصل بين دائرة العلاقات والتعايش وبين دائرة الأعمال والعقائد، والتماشي يتعلّق ببعد المعاشرة والتعايش الاجتماعيّ، والاختلاف يرتبط ببعد العقائد الخاصّة بالإنسان. إنّ التماشي في التعايش الاجتماعيّ يعني المداراة وحسن العشرة مع الاختلاف الاعتقاديّ، والاختلاف يعني الاحتفاظ بالقيم والمعتقدات الداخليّة والثبات عليها والعمل بها، فالتماشي والتعايش مسألة أخلاقيّة/ ارتباطيّة تتحقّق باللسان والجسد، وأمّا الاختلاف فهو مسألة اعتقاديّة/ سلوكيّة تتحقّق بواسطة القلب، ونتيجة التعايش والتماشي وثمرتها عبارة عن الحياة المسالمة والحيولة دون الإيذاء الاجتماعيّ، وأمّا ثمرة الاختلاف ونتيجته، فهي عبارة عن الحفاظ على الهوية الدينيّة والحدود الاعتقاديّة وحراسة المعتقدات والقيم. فقد ورد في المرويّ عن رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم، أنّه قال: «جَامِلُوا النَّاسَ بِأَخْلَاقِكُمْ

تَسَلَّمُوا مِنْ غَوَائِلِهِمْ وَزَايِلُوهُمْ بِأَعْمَالِكُمْ لِئَلَّا تَكُونُوا مِنْهُمْ»^١. وعن الإمام علي عليه السلام في خطابه إلى الشيعة، قال: «كُونُوا فِي النَّاسِ كَالنَّحْلَةِ فِي الطَّيْرِ لَيْسَ شَيْءٌ مِنَ الطَّيْرِ إِلَّا وَهُوَ يَسْتَحِفُّهَا وَلَوْ يَعْلَمُونَ مَا فِي أَجْوَفِهَا مِنَ الْبَرَكَاتِ لَمْ يَفْعَلُوا ذَلِكَ بِهَا خَالِطُوا النَّاسَ بِالسَّتِيكُم وَأَجْسَادِكُمْ وَزَايِلُوهُمْ بِقُلُوبِكُمْ وَأَعْمَالِكُمْ». وعنه عليه السلام، قال: «خَالِقُوا النَّاسَ بِأَخْلَاقِهِمْ وَزَايِلُوهُمْ فِي الْأَعْمَالِ»^٢. وعلى هذا الأساس يمكن بالاستناد إلى نموذج التماشي/ الاختلاف، أن نحصل على حياة اجتماعية مسالمة مع الذين يخالفوننا في المعتقد، مع المحافظة - في الوقت نفسه - على معتقداتنا وحراستها والعمل بمقتضاها أيضاً.

١٠. الأخلاق الارتباطية/ حسن الأخلاق

ومن المسائل التي تمّ التعرّض لها في الروايات الإسلامية مسألة «حسن الخلق» و«سوء الخلق». وقد تمّ عدّ حسن الخلق من أفضل الأخلاق: «إِنَّ أَحْسَنَ الْحَسَنِ الْخُلُقُ الْحَسَنُ»^٣؛ بحيث إنّه لو تمثّل على شكل إنسان لتمثّل على أجمل هيئة وقوام، قال رسول الله ﷺ: «لَوْ كَانَ حُسْنُ الْخُلُقِ خَلْقاً يُرَى، مَا كَانَ مِمَّا خَلَقَ اللَّهُ شَيْءٌ أَحْسَنَ خَلْقاً مِنْهُ، وَلَوْ كَانَ خُرْقٌ [سُوءُ الْخُلُقِ] خَلْقاً يُرَى، مَا كَانَ مِمَّا خَلَقَ اللَّهُ شَيْءٌ أَقْبَحَ مِنْهُ»^٤. وهذه الصفة إنّما هي رحمة إلهية؛ فقد ورد عن النبي الأكرم ﷺ، أنّه

١. ورام بن أبي فراس، تنبيه الخواطر ونزهة الناظر المعروف بـ(مجموعة ورام)، ٢: ١٤.

٢. الأمدّي التميمي، غرر الحكم ودرر الكلم، ح ٥٠٧١ و ٥٠٩٨.

٣. القضاعي، مسند الشهاب، ٢: ١٠٨، ح ٩٨٦؛ الصدوق، الحُصُول، ٢٩، ح ١٠٢.

٤. الكوفي الأهوازي، المؤمن، ٨٨. وانظر أيضاً: الكليني، الكافي، ٢: ١٢٠، ح ١٣، وص ٣٢١، ح ٢.

قال: «الْخُلُقُ الْحَسَنُ زِمَامٌ مِنْ رَحْمَةِ اللَّهِ»^١. وهو من أفضل ما أُعطي للعبد، قال رسول الله ﷺ: «خَيْرُ مَا أُعْطِيَ الرَّجُلُ الْمُؤْمِنُ خُلُقٌ حَسَنٌ وَشَرُّ مَا أُعْطِيَ الرَّجُلُ قَلْبٌ سُوءٌ فِي صُورَةٍ حَسَنَةٍ»^٢، وهو من اليُمن، قال رسول الله ﷺ: «الْيُمْنُ حُسْنُ الْخُلُقِ»^٣، وهو من النماء، قال النبي الأكرم ﷺ: «حُسْنُ الْخُلُقِ نَمَاءٌ»^٤، وهو من سعادة الإنسان، فعن النبي ﷺ أنه قال: «مِنْ سَعَادَةِ الْمَرْءِ حُسْنُ الْخُلُقِ»^٥. وقد ورد الحديث عنه في الروايات بوصفه نصف الدين، فعن النبي الأكرم ﷺ قال: «حُسْنُ الْخُلُقِ نِصْفُ الدِّينِ»^٦. وإنه من الإيمان، فقد ورد في المأثور عن الإمام الصادق عليه السلام أنه قال: «مِنْ الْإِيمَانِ حُسْنُ الْخُلُقِ، وَإِطْعَامُ الطَّعَامِ»^٧. كما أنه من خير الدنيا والآخرة، قالت أم سلمة لرسول الله ﷺ: «يَا بَيَّ أَنْتَ وَأُمِّي، الْمَرْءُ يُكُونُ لَهَا زَوْجَانِ فَيَمُوتَانِ فَيَدْخُلَانِ الْجَنَّةَ لِإِيَّهِمَا تَكُونُ؟ فَقَالَ ﷺ: يَا أُمَّ سَلَمَةَ تَخَيَّرِ أَحْسَنَهُمَا خُلُقًا وَخَيْرَهُمَا لِأَهْلِهِ، يَا أُمَّ سَلَمَةَ إِنَّ حُسْنَ الْخُلُقِ ذَهَبٌ بِخَيْرِ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ»^٨. وهو وسيلة إلى التقرب من الله سبحانه وتعالى، فقد روي عن الإمام زين العابدين عليه السلام، أنه قال: «إِنَّ أَقْرَبَكُمْ مِنَ اللَّهِ

١. السيوطي، الجامع الصغير، ١: ٦٣٧.

٢. ابن أبي شيبة، المصنف، ٢: ٩٠، ح ١٨؛ وانظر أيضًا: الصدوق، الخصال، ٣٠ و ١٠٧، ح ١٠٢.

٣. القضاعي، مسند الشهاب، ١: ٦٦، ح ٥٤.

٤. ابن حنبل، مسند أحمد بن حنبل، ٥: ٤٤١، ح ٤١٦٢.

٥. القضاعي، مسند الشهاب، ١: ١٩٩، ح ٣٠٠. وانظر أيضًا: الطبرسي، مكارم الاخلاق، ٣٩٣، ح ١٢٩٣.

٦. الصدوق، الخصال، ٣٠؛ الخطيب البغدادي، تاريخ بغداد أو مدينة السلام، ١٢: ١١.

٧. الكليني، الكافي، ٤: ٥٠، ح ٢.

٨. الصدوق، ثواب الأعمال وعقاب الأعمال، ٢١٥؛ الصدوق، الخصال، ٤٢.

أَوْسَعُكُمْ خُلُقًا»^١. فلهذه الصفة من المكانة في الحياة بحيث لو علم الإنسان بآثارها وثمارها، لأحسّ بالحاجة إليها، فقد ورد في الأثر عن رسول الله ﷺ، قال: «كُوِيَ بِلِقَاءِ الْخَلْقِ مَا لَهُ فِي حُسْنِ الْخُلُقِ، لَعَلَّكُمْ أَنْتُمْ يَحْتَاجُونَ إِلَى أَنْ يَكُونَ لَهُ حُسْنُ الْخُلُقِ»^٢. وكان رسول الله ﷺ يؤكد على الدوام قائلاً: «إِنَّ خِيَارَكُمْ أَحْسَنُكُمْ أَخْلَاقًا؛ فَعَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو قَالَ: لَمْ يَكُنْ النَّبِيُّ ﷺ فَاحِشًا، وَلَا مُتَفَحِّشًا، وَإِنَّهُ كَانَ يَقُولُ: «إِنَّ مِنْ خِيَارِكُمْ أَحْسَنَكُمْ أَخْلَاقًا»^٣.

بل عد حسن الخلق واحدًا من معايير كمال الإيمان، فقد ورد عن محمد بن مسلم، عن أبي جعفر عليه السلام، قال: «إِنَّ أَكْمَلَ الْمُؤْمِنِينَ إِيمَانًا أَحْسَنُهُمْ أَخْلَاقًا»؛ حتى أنه لا يمكن لشيء أن يرجح عليه في الميزان يوم القيامة؛ إذ ورد عن الإمام علي بن الحسين عليه السلام، قال: «قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: مَا يُوضَعُ فِي مِيزَانِ امْرِئٍ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَفْضَلُ مِنْ حُسْنِ الْخُلُقِ»^٤.

وفي المقابل ورد التعبير عن سوء الخلق بوصفه شؤمًا، قال رسول الله: «يَا عَلِيُّ سُوءُ الْخُلُقِ شُؤْمٌ»^٥، وتم اعتبار الأشخاص من ذوي الأخلاق السيئة من أكثر الناس

١. الكليني، الكافي، ٧: ٦٩.

٢. علي بن موسى الرضا عليه السلام، صحيفة الإمام الرضا عليه السلام، ١٥٠، ح ٨٥.

٣. البخاري، صحيح البخاري، ٥: ٢٢٤٥، ح ٥٦٨٨.

٤. الكليني، الكافي، ٢: ٩٩، ح ١.

٥. م. ن، ح ٢.

٦. الصدوق، من لا يحضره الفقيه، ٤: ٢٦٣، ح ٨٢١؛ أبو داود السجستاني الأزدي، سنن أبي داود، ٤:

شرًّا، قال رسول الله ﷺ: «سُوءُ الْخُلُقِ شُؤْمٌ، وَشِرَارُكُمْ أَسْوَأُكُمْ خُلُقًا»^١.

ويرتبط حُسن الخلق بالأخلاق الحسنة في دائرة العلاقات الاجتماعية، دون الأخلاق في جميع مجالات الحياة، والمراد منها هو تلك الأمور التي تجعل من الارتباط أمرًا بهيجًا وداعيًا إلى الاستمتاع بالصلات والعلاقات الاجتماعية. وعلى هذا الأساس فإنَّ حُسن الخلق يعني العمل بالأمور التي تؤدي إلى تبلور العلاقة الإيجابية والصالحة^٢.

ومن المسائل المهمة، البحث عن الأمور التي يشملها حسن الخلق. والعمل على تحديد الأمور التي تعدّ من مصاديق حُسن الخلق؟ والمراد من المصاديق هو تلك الموارد الخارجية والمحددة التي يتمّ القيام بها في مقام السلوك والعمل، وقد أثبتت الدراسات أنَّ حُسن الخلق في الحد الأدنى ثمانية مصاديق خارجية وعينية. وكلّ واحد من هذه المصاديق يغطي بُعدًا من أبعاد العلاقات الاجتماعية:

أ. الألفة والتآلف

يرتبط هذا الموضوع بأصل أصحاب الارتباط، فقد ورد عن الإمام الصادق عليه السلام أنّه قال: «قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: أَلَا أُنبِئُكُمْ بِخِيَارِكُمْ؟ قَالُوا: بَلَى يَا رَسُولَ اللَّهِ، قَالَ: أَحَاسِنُكُمْ أَخْلَاقًا، الْمُوْطَأُونَ أَكْثَفًا الَّذِينَ يَأْلِفُونَ وَيُؤْلَفُونَ»^٣. ومن مصاديق حُسن

٣٤١، ح ٥١٦٢.

١. الخطيب البغدادي، تاريخ بغداد أو مدينة السلام، ٤: ٢٧٦، ح ١٢١٤.

٢. پسندیده، «چستی (حسن خلق) وچگونگی تأثیر آن بر روابط اجتماعی»، ٤٩، ح ٧٠.

٣. الكوفي الأهوازي، المؤمن، ٢٠، ح ٧٥.

الخلق التآلف مع الآخرين، فصاحب الأخلاق الحسنة هو الذي يآلف الآخرين ويحنّ إليهم ويتقبل تحنّن الآخرين عليه. ومن المسائل المهمة في تبلور الارتباط الجيّد، هو التآلف مع الآخرين وتقبّل الألفة منهم، فبعض الأشخاص لا يمتلك القدرة على تقبّل التآلف مع الآخرين. وبعض الأشخاص الآخرين إذا أصبحوا موردًا للألفة، فإنّهم لا يمتلكون القدرة على جذبها وتقبّلها. وهذان الأمران كلاهما يستوجب النقص والخلل في التواصل والارتباط الاجتماعيّ. إن الارتباط من دون ألفة وحميميّة يعدّ ارتباطًا جافًا ومؤذيًا. وعلى هذا الأساس فإنّ من بين عناصر حُسن الأخلاق الاتصاف بالقدرة على الألفة والتآلف.

ب. المرونة واللين

يرتبط هذا الموضوع بكيفيّة الارتباط النفسيّ للأفراد في التعاطي والتعامل والتضارب فيما بينهم، فكما أنّ الأجسام المادّيّة تنقسم إلى عدّة أقسام، ويكون منها ما هو صلب ومنها ما هو لين ومرن، كذلك الأرواح أيضًا تنقسم بدورها إلى أرواح صلبة وقاسية وأرواح ليّنة ومرنة. والتناس والاتصال الروحيّ بين الأفراد يمكن أن يكون قاسيًا أو مرّنًا. إذا كانت الروحان المتجاورتان قاسيتين، فإنّ الاحتكاك بينهما سوف يكون مضرًا بهما، وقد يؤدّي إلى تهشّمهما وتكسّرهما، وأمّا إذا كانا مرّنين، فقد يحدث التصادم بينهما، بل إنّهما سوف يتصادمان حتّى، بيد أنّ مرونتهما سوف تقلّل من أثر التصادم وتعمل على امتصاصه واستيعاب المشاكل الارتباطيّة أيضًا. وهذه هي حالة المرونة والقدرة على الانعطاف التي تجعل من التعامل أمرًا ممتعًا، ويؤدّي

إلى استثارة العواطف الإيجابية، فكما أنّ الجسمين الصليين لا يستطيعان التعايش جنباً إلى جنب، كذلك الأمر في ما يرتبط بأصحاب الأخلاق القاسية الخشنة، فإنّه لا يمكنهم التعايش إلى جوار بعضهما بسلام.

ومن المفاهيم الإيجابية في العلاقات الاجتماعية مفهومُ المداواة، وقد عدّت المداواة في الثقافة الإسلامية سلوكاً وفعلاً مناسباً في النزاعات والاختلافات. فمن المعلوم أنّ الحياة الاجتماعية تقتضي بطبيعتها حصول الاحتكاكات والخلافات التي يتعرّض لها الأفراد بسبب الاختلافات الفردية والجنسية والثقافية، وبسبب الظواهر والأحداث الجزئية والكبيرة؛ والمداواة تعني المرونة واللين في مواجهة الاختلافات والنزاعات. ولا شكّ في أنّ التصلّب في مواجهة الاختلافات والنزاعات يؤدي إلى حصول التصادم وإثارة العواطف السلبية للناس تجاه بعضهم. وقد ورد التصريح في الروايات بأنّ الرفق والمداواة نصف العيش، فقد ورد في الأثر المرويّ عن رسول الله ﷺ أنّه قال: «الرّفقُ نصفُ المَعِيشَةِ»، وعن الإمام الصادق عليه السلام أنّه قال: «الرّفقُ نصفُ العِيشِ»^١. والشخص اللين الجانب يقع مورداً لمحبة الله تعالى، فعن النبي الأكرم ﷺ أنّه قال: «إِنَّ اللَّهَ رَفِيقٌ يُحِبُّ الرّفقَ فِي الأَمْرِ كُلِّهِ»^٢. وكلّ من يقع مورداً لـ «محبة» الله سبحانه وتعالى سوف يكون الرفق والمداواة من نصيبه، فعن الرسول الأكرم ﷺ أنّه قال: «إِنَّ اللَّهَ إِذَا أَحَبَّ أَهْلَ بَيْتٍ أَدْخَلَ عَلَيْهِمُ الرّفقَ»، وقال أيضاً: «الرّفقُ يَمُنُّ وَالْخُرْقُ شُوْمٌ وَإِذَا أَرَادَ اللَّهُ بِأَهْلِ بَيْتٍ خَيْرًا أَدْخَلَ عَلَيْهِمُ الرّفقَ وَإِنَّ الرّفقَ لَمْ

١. الكليني، الكافي، ٢: ١٢٠، ح ١١؛ المجلسي، بحار الأنوار، ٧١: ٣٤٩، ح ١٩.

٢. المتقي الهندي، كنز العمال، ح ٥٣٧٠.

يَكُنْ فِي شَيْءٍ قَطُّ إِلَّا زَانَهُ وَإِنَّ الْخُرْقَ لَمْ يَكُنْ فِي شَيْءٍ قَطُّ إِلَّا شَانَهُ. وعنه ﷺ في موضع آخر أنه قال: «إِذَا أَرَادَ اللَّهُ بِأَهْلِ بَيْتٍ خَيْرًا رَزَقَهُمُ الرِّفْقَ فِي الْمَعِيشَةِ وَحُسْنَ الْخُلُقِ»^١.

ج. حُسْنُ الْقَوْلِ

يرتبط هذا الموضوع بالبُعد السمعيّ من العلاقة، ويرتبط هذا المصداق بالبُعد القوليّ والسمعيّ للإنسان، حيث إنّ «القول/ السماع» من بين طرق التواصل. ولأقوال الإنسان بُعدان؛ أحدهما القلب والآخر المحتوى. إنّ المراد من القلب هو نبرة الكلام، فالكلام من حيث النبرة قد يكون ناشزاً «يصكّ الأذن» وقد يكون عذباً «يداعب الأذن». إنّ الكلام الذي يصكّ السمع يستثير العاطفة السلبية، والكلام الذي يداعب السمع يستثير العاطفة الإيجابية. ومن هنا فإنّ للحن اللين والمرن واللطيف في الكلام يمكن أن يلعب دوراً مهماً في تقوية المودة والمحبة. والمراد من المحتوى هو معنى الكلام، فإنّ الكلام من حيث المعنى إمّا أن «يداعب القلب» أو «يمزق القلب». والكلام الذي يمزق القلب يستثير العاطفة السلبية، وأمّا الكلام الذي يُداعب القلب، فإنّه يستثير العاطفة الإيجابية. والكلام الذي يُداعب القلب هو الكلام الذي يحمل في طياته من الناحية العاطفية خطاب المحبة دون البغضاء والشحناء، ويستوجب من الناحية الشخصية رعاية الحرمة والتكريم دون الاحتقار والامتهان.

١. الكوفي الأهوازي، المؤمن، ٢٧، ح ٦٣؛ الكليني، الكافي، ٨٨: ٥، ح ٥.

د. حُسن البشر

يعود هذا الموضوع إلى البُعد التواصلِي من الارتباط، وقد ورد بيان الموارد الثلاثة الأخيرة في رواية مأثورة عن الإمام الصادق عليه السلام، حيث سُئل عن حدّ حسن الخلق، فصّرّح في معرض الجواب وبيان مصاديق ذلك بثلاثة أمور، فقال: «ثَلَاثُ جَانِبَاتٍ وَتُطِيبُ كَلَامَكَ وَتُلَقِّى أَخَاكَ بِبَشَرٍ حَسَنٍ»^١. وقد ورد التعبير عن هذه المسألة في روايات أخرى بعبارات من قبيل: «البشاشة»؛ فعن النبي الأكرم صلّى الله عليه وآله قال: «إِنَّ مِنْ مَكَارِمِ أَخْلَاقِ النَّبِيِّينَ وَالصَّادِقِينَ وَالشُّهَدَاءِ وَالصَّالِحِينَ الْبَشَاشَةُ إِذَا تَزَاوَرُوا، وَالْمَصَافَحَةُ وَالتَّرْحِيبُ إِذَا التَّقَوْا»^٢. ومنها أيضًا «حُسن البشر»، فعن الإمام الحسن عليه السلام قال: «سَأَلْتُ خَالِي هِنْدَ بْنَ أَبِي هَالَةَ عَنْ حَلِيَّةِ رَسُولِ اللَّهِ وَكَانَ وَصَافًا لِلنَّبِيِّ صلّى الله عليه وآله - فَقَالَ: كَانَ دَائِمَ الْبَشَرِ سَهْلَ الْخُلُقِ لَيِّنَ الْجَانِبِ»^٣. و«طلاقة الوجه»، فعن الإمام الباقر عليه السلام أنه قال: «الْبَشَرُ الْحَسَنُ وَطَلَاقَةُ الْوُجْهِ مَكْسَبَةٌ لِلْمَحَبَّةِ وَقُرْبَةٌ مِنَ اللَّهِ وَعُبُوسُ الْوَجْهِ وَسُوءُ الْبَشَرِ مَكْسَبَةٌ لِلْمَقْتِ وَبُعْدٌ مِنَ اللَّهِ»^٤، وما إلى ذلك^٥. إن إظهار البشر يمكنه أن يترك أثرًا إيجابيًا على المخاطب من حيث البُعد البصريّ، ويزيد من لطافة وجمالية الارتباط.

١. الصدوق، من لا يحضره الفقيه، ٤: ٤١٢، ح ٥٨٩٧.

٢. المتقي الهندي، كنز العمال، ٩: ٣٩، ح ٢٤٨٢٦؛ ورام بن أبي فراس، تنبيه الخواطر ونزهة الناظر المعروف بـ (مجموعة ورام)، ١: ٢٩.

٣. محمّدي ري شهري وآخرون، دانش نامه قرآن وحديث، ١٣: ٣٢٤، ح ٤.

٤. ابن شعبة الحزازي، تحف العقول، ٢٩٦.

٥. . محمّدي ري شهري وآخرون، دانش نامه قرآن وحديث، ١٣: ٣١٧.

هـ. المزاج

ومن بين الأبعاد الأخرى في التعامل بين الأفراد، هو الفضاء الحاكم على العلاقة والارتباط. ومن بعض الزوايا يمكن لفضاء التعامل أن يكون بهيجاً أو كئيباً، فالفرح والحبور يعمل على إيجاد حالة من النشاط، ويؤدّي إلى بناء فضاء واسع ومفتوح، ويجعل من الارتباط والتواصل بين الأفراد أمراً ممتعاً؛ وبذلك يعمل على تأجيج واستثارة العواطف الإيجابية. وعلى العكس من ذلك فإن الجفاف والعبوس يعمل على سدّ الآفاق وتضييق الأبواب، ويخلق جوّاً يدعو إلى الاكتئاب والكسل، ويؤدّي إلى انتشار الطاقة السلبية. إنّ العلاقة الإيجابية بين شخصين تحتاج إلى فضاء عامر بالبهجة والسرور؛ وعلى هذا الأساس يكون إيجاد السرور والنشاط في التعامل مع الآخرين واحداً من مصاديق الأخلاق الحسنة. والطريق والمفتاح إلى ذلك هو المزاج الجميل وطرائف الحكم.

و. الرضى / الامتناع

ينطوي مسار الحياة على مراحل بهيجة، كما ينطوي على مراحل غير حسنة؛ وهذا هو قانون الحياة، قال الإمام عليّ (عليه السلام): «الدَّهْرُ يَوْمَانِ: يَوْمٌ لَكَ، وَيَوْمٌ عَلَيْكَ»^١. وفي هذه الرواية تمّ تجسيد حُسن الخلق في كلتا الحالتين السعيدة والبعيدة من الحياة، فهناك من قد يظهر عليه السخط والغضب في حالة عدم الرضى وتصدر عنه ألفاظ العتاب واللوم، ولا يبدو عليه الرضى حتّى في حالة السعادة. فهم غاضبون أبداً

١. نهج البلاغة، الكتاب رقم: ٧٢.

في أوقات الامتناع ويجارون بالشكوى، وكذلك الذين يتذمرون دائماً حتى في أوقات اليسر والرخاء؛ فكلاهما يجعلان الحياة عصبية ومربرة على أسرهم، وهذا الأمر ينشأ من سوء الخلق. بيد أن الأشخاص الذين يتحللون بحسن الأخلاق، يسعدون في أوقات الرضى، ولا سيباً في أوقات العسرة لا يفقدون السيطرة على أنفسهم ولا يبدون الغضب وعدم الرضى؛ فقد ورد في المأثور عن رسول الله ﷺ أنه قال في بيان حسن الخلق: «إِنَّمَا تَفْسِيرُ حَسَنِ الْخُلُقِ: مَا أَصَابَ الدُّنْيَا يَرْضَى وَإِنْ لَمْ يُصِبْهُ لَمْ يَسْخَطْ»^١. وهذا الأمر يخفف الضغط على الأسرة، ولا يتسبب الأشخاص بحدوث الضغوط النفسية علاوة على أصل المشكلة.

ز. كظم الغضب

لا شك في أن أخطاء الآخرين تعدّ من الموارد التي يمكن أن تخلق أرضية للكدر والامتناع في الحياة، فالسلوك الخاطئ أو تفسير سلوكيات الآخرين على أنها خاطئة، يؤدّي إلى ظهور السخط والغضب. ويوجد على الدوام اختلاف في الأذواق والأمزجة والأفكار في الحياة الاجتماعية، وقد يدفع هذا الاختلاف بعض الأشخاص إلى الغضب. يؤدّي السخط والغضب إلى استثارة العواطف السلبية، وبالتالي فإنه يكون سبباً في ظهور حالات الامتناع وعدم الرضى، ويثير الأحقاد والعداوات، وهذا من سوء الخلق. والأشخاص المتخلّقون بالأخلاق الحسنة يمتلكون السيطرة على أنفسهم ويكظمون غيظهم وغضبهم في مثل هذه الحالات،

١. المتقي الهندي، كنز العمال، ١٧: ٣، ح ٥٢٢٩.

ولا يعكّرون أجواء التعامل والتعاطي مع الآخرين، فقد ورد في الأثر: «جاء رجلٌ إلى رسول الله ﷺ من بين يديه فقال: يا رسول الله ما الدين؟ فقال: حسنُ الخلق. ثم أتاه عن يمينه فقال: ما الدين؟ فقال: حسنُ الخلق. ثم أتاه من قبل شماله فقال: ما الدين؟ فقال: حسنُ الخلق. ثم أتاه من ورائه فقال: ما الدين؟ فالتفت إليه وقال: أَمَا تَفْقَهُ؟ الدينُ هو أنْ لا تغضب»^١. وعلى هذا الأساس فإن من بين مصاديق حسن الأخلاق، كظم الغيظ والسيطرة على الغضب في حالات ظهور الاختلاف والتضاد. فمن خلال ضبط النفس والسيطرة على الغضب يمكن الحيلولة دون الإضرار بالعلاقات الاجتماعية، واستثارة العواطف السلبية، ويتم العمل بذلك على صيانة كيان المودة والألفة بين القلوب.

يتضح من مجموع ما تقدّم أنّ حسن الخلق ينطوي في الحد الأدنى على ثمانية مصاديق، وأنّ كلّ واحد من هذه المصاديق الثمانية يغطّي بُعداً من أبعاد العلاقات الاجتماعية، «فالألفة» ترتبط بأصل أصحاب الارتباط والعلاقة، و«الرفق واللين» يعود إلى كَيْفِيَّة الارتباط النفسي والعاطفي للأفراد في التعامل وتضارب الآراء فيما بينهم، و«حسن القول» يرتبط بالبُعد السمعي من العلاقة والارتباط، و«حسن البشر» يعود إلى البُعد الرويوي من العلاقة، و«دماثة الطبع والمزاح» يعود إلى تنشيط

١. ورام بن أبي فراس، تنبيه الخواطر ونزهة الناظر المعروف بـ(مجموعة ورام)، ١: ٨٩. وقد وردت هذه الواقعة في حديث آخر ورد فيه السؤال عن أفضل الأعمال أيضاً، وقال النبي الأكرم ﷺ في نهايته: «حسنُ الخلقِ هو أنْ لا تغضبَ إنْ استطعتَ». (المنذري الشامي، الترغيب والترهيب من الحديث الشريف، ٣: ٤٠٥، ح ١٨).

فضاء العلاقة، و«الرضى / عدم الرضى» يعود إلى أخلاق الفرد عند التعامل مع الآخرين في أوقات السخط والرضى في الحياة، و«كظم الغيظ» يعود إلى الخطأ والظلم الصادر عن الطرف المقابل. فإذا لم يتم العمل على إظهار الألفة، أو يتم إظهار الألفة ولكن لا يتم فهمها وإدراكها، وإذا كان الشخص قاسياً ولم يكن مرئياً، ليتناً، وإذا لم يكن الكلام مداعباً للأذن أو القلب، وإذا لم يكن المحيياً طافحاً بالبشر، وإذا كان فضاء التعامل جافاً وبارداً، فلن تنشأ علاقة جيدة وحسنة أبداً. وكذلك إذا لم يكن الشخص في مواقع السعادة من الحياة سعيداً، وكان ممتعضاً في أوقات العسر، وغاضباً عند وقوع الأخطاء، فإن ذلك سوف يضرّ بالعلاقة ويعمل على تقويضها^١.

١١. الإنصاف الاجتماعي

الإنصاف من مادة (نَصَفَ)، ولكن لا بمعنى التقسيم بالسوية، وإنما بمعنى «التماثل» وعدم اختلاف شيء عن سائر الأمور الأخرى. وقد تمّ عدّ الإنصاف في الروايات الإسلامية على أنه من أيسر حقوق المسلم على سائر المسلمين الآخرين، فقد روي عن الإمام الصادق عليه السلام أنه قال: «أَيْسَرُ حَقٍّ مِنْهَا أَنْ تُحِبَّ لَهُ مَا تُحِبُّ لِنَفْسِكَ، وَتَكْرَهُ لَهُ مَا تَكْرَهُ لِنَفْسِكَ»^٢.

والإنصاف من الفضائل التي ورد التعبير في بيان قيمتها وأهميتها بتعابير سامية، فقد ورد التعبير في الروايات الماثورة عن الأئمة عن الشخص المنصف بوصفه

١. پسندیده، چیستی «حسن خلق» وچگونگی تأثیر آن بر روابط اجتماعی.

٢. الكليني، الكافي، ٣: ٤٣٣.

المؤمن الحقيقي^١، وأنه حبيب الله سبحانه وتعالى^٢، وأنه الكريم والمبجل^٣، وتم التصريح بأنه المرضي عند الله سبحانه وتعالى^٤.

وعن عبد الأعلى بن أعين، قال: «كَتَبَ بَعْضُ أَصْحَابِنَا يَسْأَلُونَ أَبَا عَبْدِ اللَّهِ عليه السلام عَنْ أَشْيَاءَ، وَأَمَرُونِي أَنْ أَسْأَلَهُ عَنْ حَقِّ الْمُسْلِمِ عَلَى أَخِيهِ، فَسَأَلْتُهُ، فَلَمْ يُجِبْنِي، فَلَمَّا جِئْتُ لِأُودِعَهُ، قُلْتُ: سَأَلْتُكَ فَلَمْ تُجِبْنِي؟ فَقَالَ: «إِنِّي أَخَافُ أَنْ تَكْفُرُوا؛ إِنْ مِنْ أَشَدِّ مَا افْتَرَضَ اللَّهُ عَلَى خَلْقِهِ ثَلَاثًا: إِنْصَافَ الْمَرْءِ مِنْ نَفْسِهِ حَتَّى لَا يَرْضَى لِأَخِيهِ مِنْ نَفْسِهِ إِلَّا بِمَا يَرْضَى لِنَفْسِهِ مِنْهُ»^٥.

أ. منشأ الإنصاف

في بيان منشأ الإنصاف يجب الالتفات إلى عدد من النقاط، ومن بينها أن الإنصاف يكتسب معناه في التعامل الاجتماعي، فلو لم يكن في الأرض سوى إنسان واحد، لما كان هناك منشأ للإنصاف. وبطبيعة الحال فإن مجرد وجود الأفراد الآخرين ليس كافيًا في تحقق الإنصاف، وإنما يشترط وقوع التعامل والتعاطي بينهم أيضًا. كما أنه في الأمور الشخصية من حياة الإنسان، حيث لا تدخل هذه الأمور في دائرة التعامل مع الآخرين، لن يكون هناك منشأ للإنصاف أيضًا. وعليه فإن الإنصاف

١. م. ن، ٢: ١٤٧.

٢. المجلسي، بحار الأنوار، ٦: ٧٨.

٣. الأمدّي التميمي، غرر الحكم ودرر الكلم، ح ٥٤.

٤. م. ن، ح ٢٤٥٦.

٥. الكليني، الكافي، ٢: ١٧٠.

إنَّما تكون له الأرضيّة فيها إذا كان هناك من وجود للآخرين وأن يكون هناك تعامل فيما بينهم. إنَّ هذه الحالة يُطلق عليها عنوان التعامل بين (الفرد/ والآخر)، والتي تقع في قبال الـ (أنا المجرد) الذي لا يكون في قباله شخص آخر، أو يكون هناك شخص آخر ولكن لا يكون هناك تعامل معه.

النقطة الثانية أنّه لا بدّ في معادلة (الأنا/ الآخر) من إدخال «النفس» والرغبات والميول الشخصيّة في البين أيضًا، كي تتمكن بعد ذلك من تحليل الإنصاف ضمن هذا الإطار. فالإنسان كائن يعمل بشكل طبيعيّ على أساس حبّ الذات، ومن هنا فإنّه يريد كلّ شيء لنفسه. وهذا الأمر يؤدّي بالإنسان في معادلة (الأنا/ الآخر) إلى القول بمبدأ (١٠٠ / ٠). فالإنسان لو خُلّي وطبعه الأنانيّ، فسوف يطالب بكلّ شيء (١٠٠) لنفسه، ولا يرى للآخرين من حقّ (٠) أبدًا. وإذا اعترف في موضع ما بوجود حقّ للآخرين، فذلك إنَّما يكون حيث يرى أنّ عدم قوله بذلك سوف يكلفه الكثير وينتهي بضرره وخسارته. وعلى هذا الأساس يجب في تحليل مفهوم الإنصاف أخذ مسألة النفس ومطالبتها بكلّ شيء بنظر الاعتبار أيضًا، ومن هنا نجد الأدبيّات الدينيّة عندما تتناول الحديث عن الإنصاف ترد مفردة النفس في سياق الكلام من تلقائها أيضًا؛ كما في الكلام المأثور عن أمير المؤمنين عليّ عليه السلام، أنّه قال: «أَنْصِفِ النَّاسَ مِنْ نَفْسِكَ...».

كما سبق أن اتضح فإنّ الإنصاف يقترن بمفاهيم سامية وقيّمة من قبيل: «الحقّ» و«العدل». فمن دون هذه المفاهيم الأساسيّة، لا يمكن تحليل الإنصاف. فالإنصاف يعني أن يتحرّر الإنسان من حصار الأنا وإرادة كلّ شيء لنفسه، والاعتراف رسميًا

بوجود حقٍّ للآخرين أيضًا. وهذا الأمر يستوجب رعاية العدالة وإعطاء الآخرين حقوقهم. وعلى القلب الآخر فإنَّ عدم الإنصاف يقترن بمفاهيم قبيحة من قبيل: الظلم. والذي لا يعتبر نفسه متساويًا مع الآخرين، ولا يعدّهم شيئًا في قباله، لن يعترف رسميًا بحقوقهم، وسوف يبيع لنفسه أن يظلمهم ويجور عليهم.

ب. معيارية الذات: معيارية الإنصاف

إنَّ المحور الأساسي لمعنى الإنصاف، هو التماثل والتشابه التام بين شيئين؛ حتى يدوان وكأتهما نصفان متماثلان لتفاحة واحدة؛ وعليه فإنَّ الشخص المنصف هو الذي يعتبر نفسه مشابهاً للآخرين، ولا يرى نفسه مختلفًا عن الآخرين، أو يقول بوجود فرق بينه وبينهم. ومن هنا يرد الكلام في الإنصاف عن شيء باسم «معيارية الذات»؛ بمعنى أن يجعل الشخص من نفسه وذاته معيارًا في التعامل مع الآخرين. فقد كتب الإمام عليّ عليه السلام في وصيته لابنه الإمام الحسن عليه السلام: «يَا بُنَيَّ اجْعَلْ نَفْسَكَ مِيزَانًا فِيمَا بَيْنَكَ وَبَيْنَ غَيْرِكَ فَأَحِبَّ لِعَيْرِكَ مَا تُحِبُّ لِنَفْسِكَ وَإِكْرَهُ لَهُ مَا تَكْرَهُ لَهَا وَلَا تَظْلِمْ كَمَا لَا تُحِبُّ أَنْ تُظْلَمَ وَأَحْسِنْ كَمَا تُحِبُّ أَنْ يُحْسَنَ إِلَيْكَ وَاسْتَقْبِحْ مِنْ نَفْسِكَ مَا تَسْتَقْبِحُ مِنْ غَيْرِكَ وَارْضَ مِنَ النَّاسِ بِمَا تَرْضَاهُ لَهُمْ مِنْ نَفْسِكَ»^١.

وقال الإمام عليّ عليه السلام في وصيته لابنه محمد بن الحنفية: «يَا بُنَيَّ، ... أَحْسِنْ إِلَى جَمِيعِ النَّاسِ كَمَا تُحِبُّ أَنْ يُحْسَنَ إِلَيْكَ وَارْضَ لَهُمْ مَا تَرْضَاهُ لِنَفْسِكَ وَاسْتَقْبِحْ مِنْ نَفْسِكَ مَا تَسْتَقْبِحُهُ مِنْ غَيْرِكَ»^٢.

١. نهج البلاغة، الكتاب رقم: ٣١.

٢. الصدوق، من لا يحضره الفقيه، ٤: ٣٨٧، ح ٥٨٣٤.

ج. الآثار الاجتماعية للإنصاف

الإنصاف حقّ من حقوق الآخرين، ومن أهمّ الاحتياجات الاجتماعية، حيث يستوجب القضاء على الاختلافات، ويعمل على التآليف بين القلوب، قال الإمام عليّ عليه السلام: «الْإِنْصَافُ يَرْفَعُ الْخِلَافَ وَيُوجِبُ الْإِتِّلَافَ»^١، ويدعم العلاقة والارتباط، ويستوجب المحبة، قال أمير المؤمنين عليّ عليه السلام: «بِالنَّصِيفَةِ تَدُومُ الْوُصْلَةُ»، و«الْإِنْصَافُ يَسْتَدِيرُ الْمَحَبَّةَ»^٢.

ويوسّع من دائرة الأصحاب والأصدقاء، قال الإمام عليّ عليه السلام: «بِالنَّصِيفَةِ يَكْثُرُ الْمُوَاصِلُونَ»^٣، ويستوجب زيادة العزّ للإنسان.

فعن الإمام عليّ عليه السلام، أنّه قال: «أَلَا إِنَّهُ مَنْ يُنْصِفِ النَّاسَ مِنْ نَفْسِهِ، لَمْ يَزِدْهُ اللَّهُ إِلَّا عِزًّا»^٤، ويكون سبباً في اعتبار الشخص والاطمئنان إليه والثوق به من قبل أفراد المجتمع^٥، بحيث يتم اختياره حكماً في النزاعات والخلافات الاجتماعية^٦.

ومن ناحية أخرى يستوجب شيوع ظاهرة الإنصاف المتبادل في المجتمع^٧، وهكذا

١. الأمدّي التميمي، غرر الحكم ودرر الكلم، ج ١٧٠٢.

٢. م. ن، ج ٤١٩٠، و ١٠٧٦.

٣. نهج البلاغة، الكتاب رقم: ٢٢٤.

٤. الكليني، الكافي، ٢: ١٤٤.

٥. ابن شعبة الحزّاني، تحف العقول، ١٥٣.

٦. الكليني، الكافي، ٢: ١٤٦، ج ٢.

٧. الأمدّي التميمي، غرر الحكم ودرر الكلم، ج ٧٦٩٢.

يعمّ الهدوء والرخاء الاجتماعي^١.

ولولا الإنصاف لفقد الإنسان قابليّاته وإمكاناته^٢، وإن الله سبحانه وتعالى سوف يأخذ منه القدرة التي أعطاه لها^٣، والمودّات والصدقات لن تبقى ثابتة إلى الأبد^٤. وفوق ذلك فإن الإنصاف مطلوب حتّى في التعامل مع العدو أيضًا؛ إذ يجب رعاية الإنصاف في الحقوق المشتركة بيننا وبين الأعداء؛ حيث يوجد تشابه بيننا وبينهم من هذه الناحية؛ ولذلك يجب مراعاة جانب الإنصاف مع العدو حتّى وإن ظلمنا وجار علينا^٥.

ومن الطبيعيّ أن يختلف العدو عن الصديق؛ فقد نضحّي بأنفسنا وأموالنا فداءً للصديق، وهو ما لا يمكن أن نقوم به من أجل العدو، ولكن علينا في الوقت نفسه أن لا نظلمه أيضًا^٦. وعلى هذا الأساس فإنّ الإنصاف يُعدّ من الاحتياجات الاجتماعية الأساسية.

د. أمارات الإنصاف

من علامات الإنصاف الاعترافُ والإقرارُ بحقوق الآخرين، فحيث يتّضح وجود

١. م. ن، ح ١٦.

٢. م. ن، ح ٨٣٩٤.

٣. م. ن، ح ٩٨٦٦.

٤. م. ن، ح ٨١١٤.

٥. المجلسي، بحار الأنوار، ٧٤: ٣٩١.

٦. م. ن، ٧٨: ٥٠.

حقّ لشخص يجب على المنصف أن يقرّ به له؛ لأنّه يرى أنّه مثله، ويعترف له بالحقّ كما يقرّ ذلك بالنسبة إلى نفسه. ومن هنا قال الإمام عليّ عليه السلام [ما مضمونه]: «كفى بالمرء إنصافاً أن يدعن للحقّ إن وجده»^١. ومن العلامات الأساسيّة والمهمّة الأخرى التماثل في منظومة الحبّ والكراهية. فهناك من الأمور ما يكون لصالح الإنسان ومنها ما يكون في ضرره. ومن هنا فإنّه يحبّ الطائفة الأولى ويكره الطائفة الثانية. والذي لا يتّصف بالإنصاف يحبّ لغيره ما يضرّه، ويكره لغيره ما ينفعه. ومن هنا فإنّ من بين الطرق المعيارية لتحديد ما إذا كان الشخص منصفاً أو غير منصف، تحليل موقفه على أساس نظام ما يحبّ وما يكره. فإن كان هناك تماثل بينه وبين الآخرين في منظومة ما يحبّ وما يكره كان منصفاً، وإذا كان هناك اختلاف بينه وبين الآخرين في معيار هذه المنظومة لم يكن منصفاً. وحيث إنّ أساس الإنصاف يقوم على ميزان التماثل بين «الأنا/ الآخر»، يجب أن نحبّ للآخرين ما نحبّ لأنفسنا، ونكره لهم ما نكره لأنفسنا.

ومن هنا فقد ورد في الحديث عن أمير المؤمنين عليّ عليه السلام، أنّه قال: «مَنْ أَرَادَ أَنْ يُنْصِفَ النَّاسَ مِنْ نَفْسِهِ، فَلْيُحِبِّ لَهُمْ مَا يُحِبُّ لِنَفْسِهِ»^٢. إنّ ضبط المحبوب والمبغوض ورعاية التماثل بين النفس والغير، تعدّ من الأمور التي تعمل على تسهيل تحقّق الإنصاف.

١. م. ن، ٨٠، (ملاحظة: لم نجد نصّ الحديث في موضع الإحالة).

٢. المتقي الهندي، كنز العمال، ١٧٩: ٩، ح ٢٥٥٩١.

هـ. القدرة وعدم الإنصاف!

إنَّ القدرة والسلطة من مَهَّدَات ظهور عدم الإنصاف، فالسلطة تمنح الإنسان القدرة على الظلم وتجاهل حقوق الآخرين. وعلى هذا الأساس يجب علينا لرعاية الإنصاف أن نعمل على كبح سلطتنا بزمam التقوى، وأن نحذر من ظلم الآخرين. وقد ورد عن رسول الله ﷺ التعريف بالمنصفين عند القدرة في خطبة له هملت لها الدموع واهتزت لها مجامع القلوب بوصفهم من أفضل الناس^١. والإنصاف ومراعاة العدالة مسؤولية واجبة على جميع الأشخاص، سيّما منهم المسؤولين، ومن هم في مواقع القدرة والسلطة، فإنَّ لكلِّ شخص حقًّا، ويجب مراعاة ذلك الحقَّ وإعطائه له. وقد خاطب أمير المؤمنين عليّ عليه السلام في كتاب له إلى عماله على الخراج، قائلاً: «فَانْصِفُوا النَّاسَ مِنْ أَنْفُسِكُمْ وَاصْبِرُوا لِحَوَائِجِهِمْ فَإِنَّكُمْ خُزَّانُ الرِّعْيَةِ وَوُكَلَاءُ الْأُمَّةِ وَشُفَرَاءُ الْأَئِمَّةِ»^٢.

١٢. الإيثار الاجتماعي

الإيثار من المفاهيم المهمّة والأساسية في السلامة الاجتماعية. وعلى حدّ تعبير الشيخ محمدي ريشهري فإنَّ الإيثار من أبرز الفضائل والقيم الإنسانية التي ورد التعبير عنها في الكلام النوراني لأئمّة الإسلام بعناوين من قبيل: «الإيثار أعلى المكارم»،

١. المجلسي، بحار الأنوار، ٧٧: ١٧٩.

٢. نهج البلاغة، الكتاب رقم: ٥١.

و«الإيثار أحسن الإحسان» و«أعلى مراتب الإيثار»، و«الإيثار أفضل عبادة»^١. وفي الثقافة الإسلامية لا يجدر بحمل هذه الصفة إلا أهل الفضيلة والمروءة والشيم^٢. والنبّي الأكرم ﷺ وأهل بيته الأطهار عليهم السلام -الذين هم من أكمل الناس- يتصفون بأعلى مراتب الإيثار، وهم في ذلك أسوة إنسانية وإسلامية حسنة وقدوة للآخرين^٣. ولأتباعهم حظّ كبير من هذه الصفة والفضيلة^٤. وقد ورد في المأثور عن الإمام الحسين عليه السلام، عن الإمام علي عليه السلام، في وصف أصحاب رسول الله ﷺ قوله: «يُوقِرُونَ الْكَبِيرَ، وَيَرْحَمُونَ الصَّغِيرَ، وَيُؤْثِرُونَ ذَا الْحَاجَةِ»^٥.

أ. أَرْضِيَّةُ الْإِيثَارِ الْجَمَاعِيِّ

عندما نحصل على النعم الإلهية ونستفيد من كدّ يميننا وعرق جبيننا، نكون أحراراً في إنفاقها كيفما نشاء وما نراه مناسباً، ونضعها تحت تصرّف الآخرين. وقد أقرّ الإسلام هذا الحقّ وأباح لنا التصرّف في أموالنا والاستفادة منها كما نريد، ولكنّه رسم لنا حدودَ التصرّف المباح؛ بحيث لا يتجاوز هذه الحدود ويبلغ مرحلة الإسراف والهدر، وعدم إنفاقه في الطرق الخاطئة وغير المشروعة، وأباح لنا إنفاق جزء من أموالنا على المحتاجين، ودفع بعضها إلى الأئمة لإنفاقه في المصارف العامة

١. محمّدي ري شهري وآخرون، دانش نامه قرآن وحديث، ١: ١٢٩، الفصل الثاني: فضل الإيثار.

٢. م. ن، ١٢٣، ح ٥، وص ١٢٥، ح ٩ و ١٢.

٣. م. ن، ١٥٩ و ١٦١.

٤. م. ن، ١٨٥ و ١٩٧، و ١٩٩.

٥. الصدوق، معاني الأخبار، ٨٣، ح ١؛ الصدوق، عيون أخبار الرضا عليه السلام، ١: ٣٠٤، ح ٦٣.

في المجتمع وما إلى ذلك. لقد أجاز الإسلام للمكلفين بأن ينفقوا أموالهم من أجل إقامة العلاقات الاجتماعية وتعزيزها وتوثيقها أو ترميمها وتحسينها. يمكن للشخص أن يدعو بعض الأفراد إلى مأدبة أو وليمة يقيمها لبناء الصداقة والتعاون، أو أن يفتح شركة ليقم التعاون مع أصدقائه، أو يُعَدّ هدية ليرسلها إلى صديق قديم أخذ ينساه؛ ليعيد زخم المحبة التي بدأت بالاضمحلال. فقد عدّ الإسلام جميع هذه الأمور حسنة، بل شجّع على بعضها، ولكنه وضع واحدًا منها على رأس المكارم والفضائل الإنسانية، وجعله درّة التاج في حلية الأخلاق، ألا وهو الإيثار. والإيثار إحسان واسع وعميق، وهو أعظم حتى من المواساة والتعاطف أيضًا، فنحن في الإحسان نتبرّع بجزء من أموالنا، وقد لا نكون بحاجة كبيرة أو ماسة إليه، وفي المواساة نجعل الآخرين شركاء في أموالنا، وأمّا في الإيثار، فإننا تتنازل حتى عن ذلك الجزء الباقي لنا من المال والذي نكون في أمس الحاجة إليه^١.

إنّ الإيثار إنّما يكون أكبر وأكثر قيمة فيما إذا تحقّق من المؤثر عندما يكون في ضيق من أمره؛ وذلك عندما يكون الشخص في فاقة ويكون في أمس الحاجة إلى شراء بضاعة أو تناول طعام أو شراب، ومع ذلك يتنازل على ذلك الشيء ويعطيه إلى من هو أحوج منه إليه. وإلى هذا الأمر أشار الله سبحانه وتعالى بقوله: ﴿الَّذِينَ تَبَوَّءُوا الدَّارَ وَالْإِيمَانَ مِنْ قَبْلِهِمْ يُجْزَوْنَ مِنْ هَاجَرٍ إِلَيْهِمْ وَلَا يَجِدُونَ فِي صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِمَّا أُوتُوا وَيُؤْثِرُونَ عَلَى أَنْفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ وَمَنْ يُوقِ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ (الحشر: ٩). إنّ هذه الآية والتي قبلها نزلت في سياق الثناء على

١. مسعودي، روابط اجتماعي از نگاه قرآن، ٦٥.

المهاجرين والأنصار في صدر الإسلام. والآية التاسعة جاءت إثر الآية الثامنة من سورة الحشر لبيان كيفية تقسيم الغنائم وسهم الفائزين بها، وجعل للأنصار فيها سهماً بوصفهم من الفائزين والمفلحين أسوة بالمهاجرين مذكراً بإيثارهم وتعاطفهم مع المهاجرين. يمدح الله الفقراء والمساكين الذين يوثرون على أنفسهم رغم ما هم عليه من الفقر والفاقة، ويعدّهم من المفلحين والفائزين والسعداء، فقد ورد في كتاب الكافي وهو من أهم المصادر الروائية لدى الشيعة بالإستناد إلى هذه الآية حديث عن أبي بصير عن الإمام الباقر أو الإمام الصادق عليه السلام قال: قلت له: «أَيُّ الصَّدَقَةِ أَفْضَلُ؟» قَالَ: جُهِدُ الْمُقِلِّ، أَمَّا سَمِعْتَ قَوْلَ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰ أَنْفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ﴾، هَلْ تَرَى هَهُنَا فَضْلاً؟^١.

ب. أنواع الإيثار

أنواع الإيثار الواردة في الروايات الإسلامية عبارة عن:

الإيثار في المال: إنّ دراسة النصوص الواردة في هذا الشأن، تثبت أنّ الاستعمال الأكبر لكلمة «الإيثار» الواردة في القرآن الكريم والروايات الشريفة، وما يفيد هذا المعنى، هو استعمالها في الإيثار والإنفاق الماليّ؛ ويعود السبب في ذلك إلى أنّ الاحتياجات الماليّة أوسع وأكثر ضرورة من بين احتياجات الإنسان.

الإيثار بالنفس: إنّ أهميّة وقيمة الإيثار بالنفس أكبر بكثير من الإيثار بالمال. قلّما تجد من يقدم حياة غيره على حياته. فحتّى الملائكة المقربون - من أمثال: جبرائيل

١. الكليني، الكافي، ٤: ١٨، ح، نقلاً عن: مسعودي، روابط اجتماعي از نگاه قرآن، ٦٧.

وميكائيل عليه السلام - يجمعون عن هذا النوع من الإيثار^١. وفي الحقيقة فإن الإيثار بالنفس والروح من مراتب الإنسان الكامل. ومن هنا فقد ورد الثناء من قبل الله سبحانه وتعالى على إيثار الإمام علي عليه السلام في ليلة المبيت في فراش النبي الأكرم صلى الله عليه وآله وسلم في ليلة الهجرة، وباهى الله به الملائكة على ما ورد في قوله تعالى: ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَشْرِي نَفْسَهُ ابْتِغَاءَ مَرْضَاةِ اللَّهِ﴾ (البقرة: ٢٠٧).

الإيثار في الدعاء: من التعاليم التربوية في سيرة أهل البيت عليهم السلام تقديم الآخرين على أنفسهم في الدعاء، فقد كان من دأب السيدة فاطمة الزهراء عليها السلام كلما رفعت يديها بالدعاء، أن تدعو للآخرين من المؤمنين والمؤمنات قبل أن تدعو لنفسها. ف قيل لها: تدعين للآخرين قبل الدعاء لنفسك؟! فقالت: «الجار ثم الدار»^٢.

وكان المقرَّبون من أصحاب أهل البيت عليهم السلام يتصفون بهذه الفضيلة أيضاً. فعن زيد النرسي قال: «كُنْتُ مَعَ مُعَاوِيَةَ بْنِ وَهَبٍ فِي الْمَوْقِفِ وَهُوَ يَدْعُو فَتَفَقَّدْتُ دُعَاءَهُ فَمَا رَأَيْتُهُ يَدْعُو لِنَفْسِهِ بِحَرْفٍ، وَرَأَيْتُهُ يَدْعُو لِرَجُلٍ رَجُلٍ مِنَ الْأَفَاقِ وَيُسَمِّيهِمْ وَيُسَمِّي آبَاءَهُمْ حَتَّى أَفَاضَ النَّاسُ، فَقُلْتُ لَهُ: يَا عَمَّ، لَقَدْ رَأَيْتُ مِنْكَ عَجَبًا. قَالَ: وَمَا الَّذِي أَعْجَبَكَ مِنَّا رَأَيْتُ؟ قُلْتُ: إِيْثَارُكَ إِخْوَانَكَ عَلَى نَفْسِكَ فِي هَذَا الْمَوْضِعِ وَتَفَقُّدُكَ رَجُلًا رَجُلًا، فَقَالَ لِي: لَا يَكُونُ تَعَجُّبُكَ مِنْ هَذَا يَا ابْنَ أَخِي، فَإِنِّي سَمِعْتُ مُؤَلَّيٍّ وَمَوْلَاكَ وَمَوْلَى كُلِّ مُؤْمِنٍ وَمُؤْمِنَةٍ وَكَانَ وَاللَّهِ سَيِّدَ مَنْ مَضَى وَسَيِّدَ مَنْ بَقِيَ بَعْدَ آبَائِهِ عليهم السلام، وَإِلَّا صَمَمْتُ أَذْنَا مُعَاوِيَةَ وَعَمِيَّتَا عَيْنَا وَلَا نَالَتُهُ شَفَاعَةُ مُحَمَّدٍ صلى الله عليه وآله وسلم إِنْ لَمْ يَكُنْ سَمِعْتُ مِنْهُ، وَهُوَ يَقُولُ: مَنْ دَعَا

١. محمد بن يحيى شهرى وآخرون، دانش نامه قرآن و حدیث، ١٦١، ح ٦٦، و ص ١٦٣، ح ٦٨.

٢. الصدوق، علل الشرائع، ١٨٢، ح ٢؛ و ٣٦١.

لِأَخِيهِ فِي ظَهْرِ الْغَيْبِ نَادَى مَلَكٌ مِنَ السَّمَاءِ الدُّنْيَا: يَا عَبْدَ اللَّهِ، لَكَ مِائَةُ أَلْفٍ ضِعْفٍ مِمَّا دَعَوْتَ وَنَادَاهُ مَلَكٌ مِنَ السَّمَاءِ الثَّانِيَةِ: يَا عَبْدَ اللَّهِ وَلَكَ مِائَتَا أَلْفٍ ضِعْفٍ مِمَّا دَعَوْتَ وَنَادَاهُ مَلَكٌ مِنَ السَّمَاءِ الثَّالِثَةِ: يَا عَبْدَ اللَّهِ وَلَكَ ثَلَاثُمِائَةِ أَلْفٍ ضِعْفٍ مِمَّا دَعَوْتَ وَنَادَاهُ مَلَكٌ مِنَ السَّمَاءِ الرَّابِعَةِ: يَا عَبْدَ اللَّهِ وَلَكَ أَرْبَعُمِائَةِ أَلْفٍ ضِعْفٍ مِمَّا دَعَوْتَ وَنَادَاهُ مَلَكٌ مِنَ السَّمَاءِ الْخَامِسَةِ: يَا عَبْدَ اللَّهِ وَلَكَ خَمْسُمِائَةِ أَلْفٍ ضِعْفٍ مِمَّا دَعَوْتَ وَنَادَاهُ مَلَكٌ مِنَ السَّمَاءِ السَّادِسَةِ: يَا عَبْدَ اللَّهِ وَلَكَ سِتْمِائَةِ أَلْفٍ ضِعْفٍ مِمَّا دَعَوْتَ وَنَادَاهُ مَلَكٌ مِنَ السَّمَاءِ السَّابِعَةِ: يَا عَبْدَ اللَّهِ وَلَكَ سَبْعُمِائَةِ أَلْفٍ ضِعْفٍ مِمَّا دَعَوْتَ ثُمَّ يُنَادِيهِ اللَّهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى: أَنَا الْغَيْبِيُّ الَّذِي لَا أَفْتَقِرُ، يَا عَبْدَ اللَّهِ، لَكَ أَلْفُ أَلْفٍ ضِعْفٍ مِمَّا دَعَوْتَ. فَأَيُّ الْخَطَرَيْنِ أَكْبَرُ يَا ابْنَ أَخِي؟ مَا اخْتَرْتُهُ أَنَا لِنَفْسِي أَوْ مَا تَأْمُرُنِي بِهِ؟»^١.

الإيثار في المسألة: من أنواع الإيثار الأخرى الواردة في الروايات الإيثار في المسألة.

عن محمد بن قيس قال: سمعت أبا جعفر عليه السلام يحدث الناس بمكة، فقال: «صَلَّى رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِأَصْحَابِهِ الْفَجْرَ ثُمَّ جَلَسَ مَعَهُمْ يُحَدِّثُهُمْ حَتَّى طَلَعَتِ الشَّمْسُ فَجَعَلَ الرَّجُلُ يَقُومُ بَعْدَ الرَّجُلِ حَتَّى لَمْ يَبْقَ مَعَهُ إِلَّا رَجُلَانِ أَنْصَارِيٌّ وَتَقْفِيٌّ فَقَالَ لَهُمَا رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: قَدْ عَلِمْتُ أَنَّ لَكُمَا حَاجَةً تَرِيدَانِ أَنْ تَسْأَلَانِي عَنْهَا فَإِنْ شِئْتُمَا أَخْبَرْتُكُمَا بِحَاجَتِكُمَا قَبْلَ أَنْ تَسْأَلَانِي وَإِنْ شِئْتُمَا فَاسْأَلَانِي قَالَ بَلْ تُخْبِرُنَا أَنْتَ يَا رَسُولَ اللَّهِ فَإِنَّ ذَلِكَ أَجْلَى لِعَمَى وَأَبْعَدُ مِنَ الْإِزْتِيَابِ وَأَثْبَتُ لِلْإِيمَانِ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَا أَخَا الْأَنْصَارِ فَإِنَّكَ

مِنْ قَوْمٍ « يُؤْثِرُونَ عَلَىٰ أَنْفُسِهِمْ » وَأَنْتَ قَرَوِيٌّ وَهَذَا التَّقْفِيُّ بَدَوِيٌّ أَفَتُؤْثِرُهُ بِالْمَسْأَلَةِ؟^١.

١٣. الشكر الاجتماعي

من المفاهيم الأخرى للسلامة الاجتماعية في أدبيات الدين الشكر والتكريم، فالشكر في حد ذاته يعدّ تكريمًا وجزاءً؛ قال الإمام عليّ عليه السلام: «الشُّكْرُ أَحَدُ الْجَزَائِنِ»^٢. والشكر تصريح باللسان عن مكنون الصدر؛ فقد روي في المأثور عن الإمام عليّ عليه السلام أنه قال: «الشُّكْرُ تَرْجُمَانُ النَّبِيِّ وَلِسَانُ الطُّوبَى»^٣. وإنّ السمعة الأفضل عبارة عن شكر يُذاع ويتم نشره، فعن أمير المؤمنين عليّ عليه السلام أنه قال: «أَحْسَنُ السُّمْعَةِ شُكْرُ يُنْشَرُ»^٤. وإنّ الذي لا يشكر الناس، لا يشكر الله (عزّ وجل)، فعن الإمام زين العابدين عليه السلام، قال: «يَقُولُ اللَّهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى لِعَبْدٍ مِنْ عِبِيدِهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ: أَ شَكَرْتَ فَلَانًا؟ فَيَقُولُ: بَلْ شَكَرْتُكَ يَا رَبِّ، فَيَقُولُ اللَّهُ (عزّ وجل): لَمْ تَشْكُرْنِي إِذْ لَمْ تَشْكُرْهُ»^٥.

أ. الأرضية الاجتماعية للشكر

يرتبط الشكر والثناء بموقعية النعمة. ففي التعاملات الاجتماعية غالبًا ما يحدث أن

١. الصدوق، من لا يحضره الفقيه، ٢: ٢٠٢، ح ٢١٣٨؛ الصدوق، الأمالي، ٤٤١، ح ٢٢.

٢. الأمدّي التميمي، غرر الحكم ودرر الكلم، ح ٧٦٩٢.

٣. م. ن، ح ١٣٠٠.

٤. م. ن، ح ٣٠١٣.

٥. الصدوق، عيون أخبار الرضا عليه السلام، ٢: ٢٤، ح ٢.

٦. الكليني، الكافي، ٢: ٩٩، ح ٣٠.

يحصل الإنسان على لطف من الآخرين، فتصله بضاعة أو خدمة منهم. فاللطف والإحسان بمختلف أشكالهما، يُعدّان من مفاهيم السلامة الاجتماعية، حيث تقدّم البحث فيهما. وإنّما المهم في البين هو ردّة الفعل تجاه لطف الآخرين وإحسانهم. يمكن إبداء ردود أفعال مختلفة تجاه اللطف والإحسان، ومن بينها: «المقابلة بالمثل»؛ بمعنى أن نردّ على الإحسان بإحسان مثله. وهذا هو المفهوم المعبر عنه في القرآن الكريم، بقول الله سبحانه وتعالى: ﴿هَلْ جَزَاءُ الْإِحْسَانِ إِلَّا الْإِحْسَانُ﴾ (الرحمن: ٦٠). وعلى الرغم من أن هذا الأمر مطلوب وحسن في موضعه، إلّا أنّه مع ذلك ليس ذلك الشيء الذي يؤكّد عليه الدين. وإنّما الشيء الذي يؤكّد عليه الدين هو «المقابلة بما هو أفضل»؛ بمعنى أن نردّ على إحسان الناس بإحسان أفضل منه. وهذا هو الشيء الذي يتمّ التعبير عنه في أدبيات الدين بوصفه «شكراً». والشكر لا يتحقّق بالسلوك المماثل، فقد ورد في المأثور عن الإمام الصادق عليه السلام قال: «كَانَ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ صَلَوَاتُ اللَّهِ عَلَيْهِ يَقُولُ: مَنْ صَنَعَ بِمِثْلِ مَا صُنِعَ إِلَيْهِ، فَإِنَّمَا كَافَأَهُ، وَمَنْ أَضْعَفَهُ، كَانَ شَكُورًا»^١. وعن الإمام الباقر عليه السلام، قال: «مَنْ صَنَعَ مِثْلَ مَا صُنِعَ إِلَيْهِ فَإِنَّمَا كَافَأَ وَمَنْ أَضْعَفَ كَانَ شَاكِرًا»^٢. وعن النبي الأكرم ﷺ في بيان جملة الحقوق الثلاثين للمسلم في أعناق إخوته المسلمين تصريح بكلا الموردين من التقابل المماثل والشكر؛ إذ يقول: «لِلْمُسْلِمِ عَلَى أَخِيهِ الْمُسْلِمِ ثَلَاثُونَ حَقًّا لَا بَرَاءَةَ لَهُ مِنْهَا إِلَّا بِالْأَدَاءِ أَوْ الْعَفْوِ...

١. الكليني، الكافي، ٤: ٢٨؛ الصدوق، معاني الأخبار، ١٤١، ح ١.

٢. الصدوق، معاني الأخبار، ١٤١، ح ١.

يُكَافِي صَلَاتَهُ وَيَشْكُرُ نِعْمَتَهُ»^١. وفي الحقيقة فإن الشكر حيث يكون من جملة حقوق الشخص المحسن، يمكن عدّه ضمن الحقوق الاجتماعية في كلا النوعين من المقابلة المماثلة والمقابلة الأفضل.

وقد ورد النظر في بعض الروايات الأخرى إلى هذه المسألة من زاوية أخرى، حيث تمت الإشارة إلى هذه الحقيقة بتعبير آخر، وهو أن لطف وإحسان الآخرين بمثابة الغلّ والقيد الذي يطوق الإنسان ولا يمكنه التحرّر منه إلا بإحسان مثله أو أفضل منه؛ فعن الإمام الكاظم عليه السلام أنّه قال: «الْمَعْرُوفُ غُلٌّ لَا يُفَكُّهُ إِلَّا مُكَافَأَةٌ أَوْ شُكْرٌ»^٢. وفي الثقافة الإسلامية يقع شكر الآخرين في إطار التوحيد وشكر الله (عزّ وجل). إن شكر صاحب الإحسان والمعروف، إنّما هو في الحقيقة شكر الله سبحانه وتعالى، فإن الله تعالى يُحِبُّ أن يُشكر الذي جرت نعمته على يديه أيضًا. ومن هنا فقد صرح رسول الله ﷺ بقوله: «مَنْ لَا يَشْكُرِ النَّاسَ لَا يَشْكُرِ اللَّهَ»^٣.

قال النبي الأكرم ﷺ: «يُؤْتَى بِعَبْدٍ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَيُوقَفُ بَيْنَ يَدَيِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ فَيَأْمُرُ بِهِ إِلَى النَّارِ فَيَقُولُ أَيُّ رَبِّ أَمَرْتَنِي إِلَى النَّارِ وَقَدْ قَرَأْتَ الْقُرْآنَ فَيَقُولُ اللَّهُ: أَيُّ عَبْدِي، إِنِّي أَنْعَمْتُ عَلَيْكَ فَلَمْ تَشْكُرْ نِعْمَتِي فَيَقُولُ أَيُّ رَبِّ أَنْعَمْتَ عَلَيَّ بِكَذَا فَشَكَرْتُكَ بِكَذَا وَأَنْعَمْتَ عَلَيَّ بِكَذَا وَشَكَرْتُكَ بِكَذَا فَلَا يَزَالُ يُحْصِي النِّعَمَ وَيُعِدُّ الشُّكْرَ فَيَقُولُ اللَّهُ تَعَالَى صَدَقْتَ عَبْدِي إِلَّا أَنَّكَ لَمْ تَشْكُرْ مَنْ أَجْرَيْتَ لَكَ نِعْمَتِي عَلَى يَدَيْهِ وَإِنِّي قَدْ آلَيْتُ عَلَى نَفْسِي أَنْ

١. الكراجكي، كنز الفوائد، ١٤١؛ المجلسي، بحار الأنوار، ٧٤: ٢٣٦، ح ٢٣٦.

٢. الشهيد الأول، الدرّة الباهرة من الأصداف الطاهرة، ٣٤.

٣. الطوسي، الأمالي، ٣٩٣؛ ابن حنبل، مسند أحمد بن حنبل، ٣: ٧٤.

لَا أَقْبَلَ شُكْرَ عَبْدٍ لِنِعْمَةٍ أَنْعَمْتُهَا عَلَيْهِ حَتَّى يَشْكُرَ سَائِقَهَا مِنْ خَلْقِي إِلَيْهِ»^١.
وعلى هذا الأساس يجب على من أحسن إليه أن يردّ على المحسن بأفضل من إحسانه. فإن لم يقدر على ذلك، وجب عليه أن يجزل له الشكر، وإن قصر لسانه عن ذلك أيضًا، وجب عليه أن يعرف قيمة ذلك الإحسان، وأن يضمّر الحبّ في قلبه للمحسن، وإن قصر عن ذلك أيضًا لم يكن أهلاً للإحسان؛
فقد ورد في المأثور عن الإمام عليّ عليه السلام أنّه قال: «حَقٌّ عَلَى مَنْ أَنْعِمَ عَلَيْهِ أَنْ يُحْسِنَ مُكَافَأَةَ الْمُنْعِمِ فَإِنْ قَصَرَ عَنْ ذَلِكَ وَسَعَهُ فَعَلَيْهِ أَنْ يُحْسِنَ الثَّنَاءَ فَإِنْ كَلَّ عَنْ ذَلِكَ لِسَانُهُ فَعَلَيْهِ مَعْرِفَةُ النِّعْمَةِ وَمَحَبَّةُ الْمُنْعِمِ بِهَا فَإِنْ قَصَرَ عَنْ ذَلِكَ فَلَيْسَ لِلنِّعْمَةِ بِأَهْلٍ»^٢.
وعن الإمام زين العابدين عليه السلام قال: «وَأَمَّا حَقُّ ذِي الْمَعْرُوفِ عَلَيْكَ فَإِنْ تَشْكُرُهُ وَتَذْكُرُ مَعْرُوفَهُ وَتَكْسِبُهُ الْمَقَالَةَ الْحَسَنَةَ وَتُخْلِصَ لَهُ الدُّعَاءَ فِيمَا بَيْنَكَ وَبَيْنَ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ فَإِذَا فَعَلْتَ ذَلِكَ كُنْتَ قَدْ شَكَرْتَهُ سِرًّا وَعَلَانِيَةً ثُمَّ إِنْ قَدَرْتَ عَلَى مُكَافَأَتِهِ يَوْمًا كَأَفْئَتِهِ»^٣. وليس من الضروري أن يكون الإحسان الحاصل كبيرًا، فقد روي عن الإمام عليّ عليه السلام أنّه قال: «إِذَا أُخِذَتْ مِنْكَ قَدَاةٌ فَقُلْ أَمَاطَ اللَّهُ عَنْكَ مَا تَكْرَهُ»^٤.

١. الطوسي، الأملي، ٤٦٣.

٢. م. ن، ٥٠١، ح ١٠٩٧.

٣. الصدوق، الخصال، ٥٦٨، ح ١.

٤. م. ن، ٦٣٥، ح ١٠.

ب. آليّة تأثير الشكر

علينا أن نرى ما هي آليّة الشكر، وكيف يؤثّر على العلاقات والروابط الاجتماعية؟ يتحقّق هذا التأثير من عدّة جهات، الجهة الأولى: إنّ تأثير الشكر على الشخص أكثر دوامًا وثباتًا من ذات الفعل الحسن، فإنّ الفعل الحسن مهما كان قيمًا ومؤثّرًا، إلّا أنّه في معرض الزوال، بيد أنّ الالتفات إلى ذلك الفعل والشكر عليه يبقى خالدًا ويترك تأثيرًا عميقًا جدًّا، فقد ورد عن الإمام عليّ عليه السلام، أنّه قال: «الشُّكْرُ أعظمُ قَدْرًا مِنَ الْمَعْرُوفِ لِأَنَّ الشُّكْرَ يَبْقَى وَالْمَعْرُوفُ يَفْنَى»^١. كما أنّ الشكر يكون سببًا إلى بقاء العاطفة الإيجابية بين الأفراد بشكل أكبر وعلى نحو أعمق، وبالتالي فإنّ هذا التأثير سوف يبقى ثابتًا لمدة أطول. الجهة الثانية: إنّ الشكر يترك تأثيرًا إيجابيًا سواء أكان على الشخص الراضي أم على الشخص الساخط؛ وبطبيعة الحال، فإنّ تأثيره في كلتا الحالتين يكون مختلفًا. فإذا كانت العلاقة القائمة بين شخصين جيّدة، فإنّ شكر أحدهما الآخر تترتب عليه نتيجتان، وهما: زيادة الرضى، وزيادة الوفاء. وأمّا إذا كان هناك سخط وجفاء بينهما، فإنّ الشكر في مثل هذه الحالة سوف يصبح سببًا لإصلاح العلاقة وعودة العاطفة، فعن الإمام عليّ عليه السلام أنّه قال: «شُكْرُكَ لِلرَّاضِي عَنْكَ يَزِيدُهُ رِضًا وَوَفَاءً، وَشُكْرُكَ لِلْسَّاخِطِ عَلَيْكَ يُوجِبُ لَكَ مِنْهُ صَلاَحًا وَتَعَطُّفًا»^٢. والملفت أنّ الشكر بإمكانه أن يترك تأثيرًا إيجابيًا في موضعين مختلفين. وبطبيعة الحال، فإنّ حجم تأثيرهما في كلّ واحد من هذين الموضعين سوف يكون مختلفًا. وفي الحقيقة،

١. الأمدّي التميمي، غرر الحكم ودرر الكلم، ح ٢١٧٦.

٢. م. ن، ح ٥٦٦٨.

فإنّ الشكر على الأفعال والأخلاق الإيجابية مهما كانت صغيرة بحسب الظاهر له آلية «ارتقائية» بمعنى: (ارتقاء مستوى العلاقة)، وآلية «علاجية» بمعنى: (إصلاح مستوى العلاقة) أيضًا. الجهة الثالثة: وهي الأهم، إنّ شكر الآخرين من طريق الارتباط مع الله يضيف على الحياة والعلاقات الاجتماعية بُعداً معنويًا وروحيًا، وبذلك يترك تأثيرًا إيجابيًا على العلاقات الاجتماعية.

سبق أن أشرنا إلى أنّ الشخص المحسن إنّما هو مجرى لطف الله سبحانه وتعالى بالإنسان، وعندما يعلم الإنسان أنّ الإحسان الذي قام به شخص آخر تجاهه هو في الحقيقة لطف الله وصل إليه من طريقه، فسوف لا ينظر إليه بوصفه شخصًا بل بوصفه قناة وواسطة فيض الله ولطفه، ولهذا الأمر تأثير كبير على صيرورة الارتباط والعلاقة معنويّة وإلهيّة، وتعمل على ترقية موقع الإنسان من مجرد كونه شخصًا عاديًا إلى جعله قناة وواسطة للفيض الإلهي. كما إنّ شكر الشخص المحسن إنّما هو شكر لله، وشكر الله رهن بشكر الآخرين. وقد عدّ الإمام الصادق (عليه السلام) شكر الأسباب الإنسانية بوصفها من حقوق الله سبحانه وتعالى؛ وذلك إذ يقول: «مَنْ حَقَّ الشُّكْرُ لِلَّهِ عَلَى نِعَمِهِ أَنْ يَشْكُرَ مَنْ أَجْرَى تِلْكَ النِّعْمَةَ عَلَى يَدِهِ»^١. إنّ هذه الرؤية بدورها ترفع الشكر من مجرد علاقة بين «إنسان وإنسان آخر»، إلى علاقة وارتباط «بين الإنسان وبين الله». وباختصار فإنّ هذا الارتباط الوثيق، يعمل على تأسيس الحياة الاجتماعية على قواعد متينة وراسخة؛ بمعنى أنّ الله سبحانه وتعالى هو الذي يستطيع ضمان الدفء والسلامة والرضى والنجاح في الحياة.

ج. ردّة الفعل السليمة تجاه عدم الشكر!

على الرغم مما تقدّم بيانه فيما للردّ المناسب على الإحسان من مكانة وتأثير في الحياة، ولكن مع ذلك قد يتمّ تجاهل الإحسان لأيّ سبب من الأسباب. لا شكّ في أنّ هذه حالة غير مطلوبة وسوف تترك تأثيراً سلبياً. بيد أنّ المهمّ هو ردّة الفعل المناسبة تجاه هذه الحالة والتقليل من تداعياتها وآثارها السلبية وغير المطلوبة. إنّ الشخص الذي يقع مورداً لعدم الشكر، قد يتعرّض لضغوط روحيّة/ نفسيّة، ويدفعه ذلك إلى اتّخاذ ردود أفعال غير مناسبة، ولا تكون صحيّة من الناحية الاجتماعيّة. وقد عدّ رسول الله ﷺ عدم الشكر من قواصم الظهر؛ ومن ذلك قوله: «ثلاثٌ من الفَوَاقِر... إنّ أَحْسَنَتْ لَمْ يَشْكُرْ»^١. إذ من الممكن لذلك أن يلحق ضرراً بمسار الإحسان أو أن يقلّل منه، أو حتّى تحويله إلى إساءة، وهذا بدوره يضرّ بالسلامة الاجتماعيّة. فقد ورد في الحديث المأثور عن الإمام الصادق عليه السلام أنّه قال: «لَعَنَ اللَّهُ قَاطِعِي سَبِيلِ الْمَعْرُوفِ قِيلَ وَمَا قَاطِعِي سَبِيلِ الْمَعْرُوفِ؟ قَالَ: الرَّجُلُ يُصْنَعُ إِلَيْهِ الْمَعْرُوفُ فَيَكْفُرُهُ فَيَمْنَعُ صَاحِبَهُ مِنْ أَنْ يُصْنَعَ ذَلِكَ إِلَيْهِ غَيْرُهُ»^٢.

ولكي نصل إلى طريقة الحلّ المناسبة، يجب علينا أن نجيب عن هذا السؤال القائل: لماذا يؤدّي عدم الشكر إلى الضغط النفسي والروحيّ والشعور بالإخفاق وعدم النجاح؟ إنّ الضغط النفسيّ والضيق الروحيّ في مثل هذه الحالة يأتي بسبب

١. السيوطي، الجامع الصغير، ١: ٥٢٩، ح ٣٤٤٤؛ المتقي الهندي، كنز العمال، ١٦: ٢٧، ح ٤٣٧٨٥.

٢. الكليني، الكافي، ٤: ٣٣، ح ١؛ الصدوق، من لا يحضره الفقيه، ٢: ٣١، ح ١٢٣؛ الآمدي التميمي، غرر

الحكم ودرر الكلم، ح ٦٧٤٦.

ما يعترى الشخص من الشعور بالخيبة والخسران. إنّ الشخص المحسن يتوقّع من الآخرين أن ينظروا إلى عمله وأن يشكروا فعله وصنيعه؛ وعليه فإنّه عندما يواجه التجاهل وعدم الشكر، يرى نفسه كما لو كان تاجرًا خسرت صفقته وكسدت بضاعته، وكمن يبيع شيئًا ولا يحصل على ثمن. وفي الحقيقة فإنّ الشخص في مثل هذه الموارد يعمل على تقويم الوضع على أساس معادلة «الإحسان/ الشكر»، وحيث لا يجد موضعًا للشكر في هذه المعادلة، فإنّه سوف يقوم الوضع على أنّه خسارة، ويشعر بالخيبة والإخفاق. وعلينا أن نرى ما الذي يجب فعله في مثل هذه الحالة كي نقضي على الشعور بالخيبة، والسيطرة على الضغط النفسي؟ حيث لا يوجد شكّ في صحّة معادلة «الإحسان/ الشكر»؛ إذًا لا حاجة إلى إحداث تغيير في هذه المعادلة، ويجب إجراء التغيير في موضع آخر. وكما هو واضح، فإنّ هناك طرفين في هذه المعادلة وجهاز التقويم، وهما: المُحسِن والمُحسَن إليه، وكلاهما إنسان. وفي الحقيقة والواقع، فإنّ هذه المعادلة تقوم على أساس «الإحسان/ الشكر». وعليه لو تمّ صبّ هذه المعادلة في بوتقة «الإنسان/ الله» بدلًا من بوتقة «الإنسان/ الإنسان»، فإنّ الأمر سوف يختلف. ففي مثل هذه الحالة سوف تترك المعادلة القائمة على «إحسان الإنسان/ شكر الإنسان» موقعها؛ لتحلّ محلها المعادلة القائمة على «إحسان الإنسان/ شكر الله». فلو حدث مثل هذا التغيير، فإنّ الشخص المحسن حتّى إذا أحسن إلى الآخرين، إلّا أنّه لا يتوقّع منهم الشكر والمكافأة المضاعفة. بل ويبدو من الروايات أنّ الله سبحانه وتعالى يقدر الوضع في بعض الموارد وينظّم الأمور بحيث يتعرّض المحسن إلى عدم الشكر، ليكون الله هو الذي يقوم بواجب

الشكر لعبده، وبدلاً من أن يأخذ المحسن شكره من الإنسان، فإنه يأخذه من الله سبحانه وتعالى مباشرة. وعليه فهل سوف يشعر المحسن إذ يشكره الله، بالخبية والخسران؟! لقد تمّ التصريح في الروايات بهذا الأصل القائل: «الْمُؤْمِنُ مُكْفَرٌ». عمد الإمام الصادق عليه السلام، بعد بيان هذا الأصل، إلى بيان سببه أيضاً؛ حيث قال: «إِنَّ الْمُؤْمِنَ مُكْفَرٌ وَذَلِكَ أَنَّ مَعْرُوفَهُ يَصْعَدُ إِلَى اللَّهِ تَعَالَى فَلَا يَنْتَشِرُ فِي النَّاسِ وَالْكَافِرَ مَشْهُورٌ وَذَلِكَ أَنَّ مَعْرُوفَهُ لِلنَّاسِ يَنْتَشِرُ فِي النَّاسِ وَلَا يَصْعَدُ إِلَى السَّمَاءِ»^١. وكذلك ورد التصريح في بعض الروايات بأن يد الرحمة الإلهية تُظَلُّ رؤوس غير المشكورين؛ فقد ورد في المأثور عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أنه قال: «يَدُ اللَّهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَى فَوْقَ رُءُوسِ... الْمُكْفَرِينَ تُرْفَرُ بِالرَّحْمَةِ»^٢. وعن النبي الأكرم صلى الله عليه وآله وسلم أنه قال أيضاً: «أَفْضَلُ النَّاسِ عِنْدَ اللَّهِ مَنْزِلَةً وَأَقْرَبُهُمْ مِنَ اللَّهِ وَسِيلَةً الْمُحْسِنُ يُكْفَرُ إِحْسَانُهُ»^٣. فهل بعد هذا سيسعر الإنسان بالخبية والفشل؟! إن الالتفات إلى هذه الحقيقة لن يحرر الإنسان من الضغوط النفسية فحسب، بل سيدفعه نحو المزيد من التعلق بها، ولن يعتريه حزن بسببه أبداً، بل سوف يسعده ذلك أيضاً. ومن الواضح بداهة أن مسار الإحسان في هذه الحالة لن يتراجع، بل وسوف يزداد زحماً. فقد ورد عن الإمام علي عليه السلام بعد التصريح بهذه الحقيقة أنه قال: «لَا يُزْهِدَنَّكَ فِي الْمَعْرُوفِ مَنْ لَا يَشْكُرُهُ لَكَ فَقَدْ يَشْكُرُكَ عَلَيْهِ مَنْ لَا يَسْتَمْتِعُ بِشَيْءٍ مِنْهُ وَقَدْ تُدْرِكُ مِنْ شُكْرِ الشَّاكِرِ أَكْثَرَ مِمَّا أَصَاعَ الْكَافِرُ وَاللَّهُ

١. الصدوق، علل الشرائع، ٥٦٠، ح ١.

٢. الصدوق، علل الشرائع، ٥٦٠، ح ٢.

٣. الراوندي الكاشاني، النوادر، ٩.

يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ»^١.

كما أشار الإمام الصادق عليه السلام إلى هذه الحقيقة بكلام بديع؛ فقال أولاً: «مَنْ عَلِمَ أَنَّ مَا صَنَعَ إِنَّمَا صَنَعَ إِلَى نَفْسِهِ، لَمْ يَسْتَبِطِ النَّاسَ فِي شُكْرِهِمْ، وَلَمْ يَسْتَزِدَّهُمْ فِي مَوَدَّتِهِمْ». إنَّ كلام الإمام الصادق عليه السلام في هذه الفقرة يشير إلى دور المعرفة الصحيحة في هذا الشأن. ثم استطرد بعد ذلك مستنداً إلى هذه المعرفة، قائلاً: «فَلَا تَلْتَمِسْ مِنْ غَيْرِكَ شُكْرَ مَا أَتَيْتَ إِلَى نَفْسِكَ، وَوَقَّيْتَ بِهِ عِرْضَكَ»^٢، وعن الإمام الباقر عليه السلام مثله؛ إذ يقول: «مَنْ عَلِمَ أَنَّ مَا صَنَعَ إِنَّمَا صَنَعَ إِلَى نَفْسِهِ، لَمْ يَسْتَبِطِ النَّاسَ فِي شُكْرِهِمْ، وَلَمْ يَسْتَزِدَّهُمْ فِي مَوَدَّتِهِمْ»^٣.

يُبيِّن هذا الأمر دور المعرفة الصحيحة في تقليل وإزالة توقُّع الشكر من الآخرين. والملفت أنَّ الأنبياء والأولياء عليهم السلام كانوا على هذه الشاكلة أيضاً. وفي الحقيقة فإنَّ الذي يتعرَّض لعدم الشكر، سوف يكون منهم وفي زميرهم. إنَّ الالتفات إلى هذه الحقيقة من شأنه أن يحوِّل الضغط النفسي إلى نشاط وحبور. فقد رُوي في الحديث المأثور عن الإمام علي عليه السلام، أنَّه قال في هذا الشأن: «كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ مُكْفَرًا لَا يُشْكِرُ مَعْرُوفُهُ وَلَقَدْ كَانَ مَعْرُوفُهُ عَلَى الْقُرَشِيِّ وَالْعَرَبِيِّ وَالْعَجَمِيِّ وَمَنْ كَانَ أَعْظَمَ مَعْرُوفًا مِنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ عَلَى هَذَا الْخَلْقِ وَكَذَلِكَ نَحْنُ أَهْلُ الْبَيْتِ مُكْفَرُونَ لَا يُشْكِرُونَنَا وَخِيَارُ

١. نهج البلاغة، الحكمة رقم: ٢٠٤.

٢. الكليني، الكافي، ٤: ٢٨، ح ١؛ الصدوق، معاني الأخبار، ١٤١، ح ١؛ المجلسي، بحار الأنوار، ٩٦: ١٧٢.

٣. م. ن.

الْمُؤْمِنِينَ مُكْفَرُونَ لَا يُشْكِرُ مَعْرِفُهُمْ»^١. وخلاصة الكلام إنَّ على الذي يتعرّض لعدم الشكر، أن يلتفت إلى النقاط أدناه:

إنَّ الله سبحانه وتعالى هو الذي يتعامل معه، وهو الذي سيقوم بواجب شكره.
إنَّ الله سبحانه وتعالى على الرغم من عدم انتفاعه بإحسان المحسن، سوف يعطيه من الشكر أكثر من عطاء من أحسن إليه.

إنَّ مثل هذا الشخص يقع موردًا لمحبة الله بدلًا من محبة الآخرين.
وبالتالي فإنَّ المحسن المكفر إحسانه وغير المشكور معروفه، سوف يكون في زمرة الأنبياء والأولياء وخاصة عباد الله سبحانه وتعالى.

وعندها لن يشعر بعدم الخيبة والخسران فحسب، بل وسوف يغتبط ويشعر بالحبور والسرور حقًا، وبالتالي فإنَّه لن يعاني من عدم الرغبة أو تراجع الرغبة إلى صنع المعروف، بل وسوف يسارع إلى فعل المعروف والإحسان بهمة وشوق ونشاط أيضًا.
وبهذه الطريقة لن يحصل له شعور بتعاسة الحياة، ولن يتعرّض فعل المعروف وسبيل الإحسان إلى الخطر. وهذا الأمر يُعدّ من معجزات الدين، حيث يمكن الحفاظ على السلامة الاجتماعية رغم كفران الإحسان وعدم شكره من قبل الآخرين، وضمان بقاء مسار الإحسان إلى الآخرين على حاله. والنقطة المهمة هنا تكمن في تحيّل دور التوحيد والإيمان بالله سبحانه وتعالى في الصّحة النفسيّة وسلامة الحياة الاجتماعيّة ونجاحها أيضًا.

١٤. الصبر والحلم الاجتماعي

إنَّ المفهوم المهم الآخر الذي يضمن السلامة الاجتماعية هو مفهوم «الحلم»، فقد روي عن النبي الأكرم ﷺ أَنَّهُ قَالَ: «بُعِثْتُ لِلْحِلْمِ مَرْكَزًا وَلِلْعِلْمِ مَعْدِنًا وَلِلصَّبْرِ مَسْكَنًا...»^١. وعنه ﷺ أَيضًا أَنَّهُ قَالَ: «كَادَ الْحَلِيمُ أَنْ يَكُونَ نَبِيًّا...»^٢. وروي عن الإمام عليّ عليه السلام قَالَ: «الْحِلْمُ سَجِيَّةٌ فَاضِلَةٌ»^٣. وعن الإمام عليّ عليه السلام أَنَّهُ قَالَ أَيضًا: «الْحِلْمُ غِطَاءٌ سَاتَرَ وَالْعَقْلُ حُسَامٌ قَاطِعٌ فَاسْتَرْ خَلَلَ خُلُقِكَ بِحِلْمِكَ وَقَاتِلْ هَوَاكَ بِعَقْلِكَ»^٤، وقال الإمام عليّ عليه السلام فِي جَوَابٍ مَنْ سَأَلَهُ عَنْ أَقْوَى الْخُلُقِ: «الْحَلِيم»^٥.

أ. معرفة خُليفةِ الحلم

للحلم توظيف اجتماعي خاصّ، فنحن في حياتنا اليومية نواجه منذ الصباح وحتى المساء عشرات الأشخاص ومختلف التعاملات والأخلاق والنظرات، وهؤلاء الأشخاص المختلفون والمتنوعون يتوقعون منّا أمورًا مختلفة كما نتوقع منهم بدورنا أمورًا متعدّدة. وهناك من يتوقع منّا الاحترام، ولكننا نمربّه دون أن نهتمّ به، وقد نتوقع التكريم بدورنا من شخص، ولكننا في المقابل نلقى من قبله تجاهلاً أو امتعاشاً. وتارة نطرح سؤالاً ليناً وهادئاً فلا نتلقّى جواباً مثله، وتارة تتمّ مواجهة كلامنا

١. المجلسي، بحار الأنوار، ٧١: ٤٢٣، ح ٦١.

٢. م. ن، ٤٣: ٧٠، ح ٦١.

٣. م. ن، ٧٨: ٣٩، ح ١٣.

٤. نهج البلاغة، الحكمة رقم: ٤٢٤.

٥. المجلسي، بحار الأنوار، ٧٧: ٣٧٨، ح ١.

المحقّ بكلام عنيف ويتمّ سحقه بأسلوب يفتقر إلى العقل والمنطق. وتارة لا نعدم نصيباً من التعرّض اللفظي للآخرين، وننفجر بالغضب ونطلق رشاشاً لا يتوقّف من الكلمات النابية التي لا نقولها في الحالات العادية، بل ولا نقبل بصورها أبداً! إنّ هذا النوع من العلاقات لا يمكن اعتباره سليماً. ففي مثل هذه الحالة تتضرّر العلاقات الاجتماعية، ومن هنا يجب علينا أن نرى ما هو الردّ المناسب الذي يحافظ على السلامة الاجتماعية في مثل هذه الحالات. إنّ ردّة الفعل الأنسب والأسلم من وجهة نظر المصادر الدينية هي الردّ العاقل والمتّسم بالصبر والحنكة، وهو الذي يتمّ التعبير عنه في أدبيات الدين بـ«الحلم». والحلم لغة يعني عدم الاستعجال والتعاطي المتين وعدم التسرّع في الردّ والانتقام عند الغضب. والشخص الحليم يتصرّف بشكل عاقل ورزين بعيداً عن التأثير بمشاعر الغضب، وإنّ ردّة فعله لن تكون ناشئة عن طيش أو تهوّر.^٢ وأمّا في النصوص الدينية فإنّ الحلم يعني السيطرة على النفس وكبحها عند الغضب، وبذلك فإنّه يرتبط بشكل وثيق مع كظم الغيظ والعفو. وفي المجموع فإنّ الروايات تؤكّد على ثلاث نقاط رئيسة، وهي كالآتي:

١. ماهيّة الحلم، الذي يعني السيطرة على النفس وكبحها.

٢. أساس الضبط والسيطرة وهو العقل.

٣. موقع توظيف الحلم، وهو الغضب الناشئ عن جهل الآخرين.

وفي الحقيقة، فإنّ الحلم عبارة عن ردّة فعل عاقلة ناشئة من نوع ضبط النفس

١. مسعودي، روابط اجتماعي از نگاه قرآن، ٩٢.

٢. عبيدي، وپسندیده، تحلیل وبرسي روايات مكارم الأخلاق، ١٠٥.

تجاه جهل الآخرين الذي يثير الغضب. خلاصة البحث اللغويّ هو أنّ الحلم عبارة عن: الاستقرار والتأني والطمأنينة والتعقّل عند الغضب وترك التسرّع في ردّة الفعل الذي يستوجب التخلّي عن الانتقام أو تأجيله. وخلاصة البحث الدينيّ في المقام أنّ الحلم عبارة عن الكبح العقلائيّ للغضب الناشئ بسبب جهل الآخرين. وعلى هذا الأساس يمكن لنا أن نستنتج أن موقعية الحلم عبارة عن الغضب الناشئ من جهل الآخرين؛ وأمّا ذات الحلم فهو عبارة عن القدرة على ضبط وكبح الغضب الذي يعود بجذوره إلى العقل، ويؤدّي إلى استقرار الحواس والهدوء وعدم التسرّع والطيش في ردّة الفعل، ونتيجة ذلك هي التخلّي عن الانتقام أو تأجيله^١. قال تعالى: ﴿وَعِبَادُ الرَّحْمَنِ الَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى الْأَرْضِ هَوْنًا وَإِذَا خَاطَبَهُمُ الْجَاهِلُونَ قَالُوا سَلَامًا﴾ (الفرقان: ٦٣). وليس هذا سوى الحلم والتحمّل، والحلم يعني أن التمكن من الأخذ بزمام المبادرة في المواجهة العدائيّة من الطرف المقابل، ومن خلال السيطرة على عقلك وكلامك، لا تتجاوز دائرة الحكمة، بل وتجرد خصمك من سلاحه وتسحبه معك إلى دائرتك العقلانيّة أيضًا. والملفت في البين أنّ الحلم والعقل في اللغة العربيّة متقاربان، وقد تمّ في الروايات اعتبار الحلم زينة العلم، وكلا الأمرين يدلّ على هذه النقطة، وهي أنّ إدراة الارتباط غير السليم ليست مقدورة لأيّ شخص، وتحتاج إلى الكثير من العقل والمسكة والحكمة. وقد اشتملت الآية أعلاه على بيان نكتة دقيقة، وهي عبارة عن توصيف السلوكيّات والأفعال غير اللائقة بالجهالة. كما صوّرت الآية السلوك المسالم لعباد الرحمن في قبال الجاهلين. إنّ هؤلاء

الجاهلين غير عقلاء، ولكنهم يعون ما يفعلون. وإنهم إنما يتعرّضون لعباد الله بسبب خفة عقلهم وطيشهم، ويبادرون إلى القيام بعلاقة غير سليمة. وللجهل هنا معنى ومفهوم في قبال العقل أيضًا، وليس في قبال العلم. وجهل الإنسان لا يقتصر على عدم إدراكه للعلم أو عدم اطلاعه على التخصص، فعدم تمكن الإنسان من السيطرة على نفسه، وعدم امتلاكه للقادرة على الارتباط مع الداخل والخارج، يعدّ من وجهة نظر القرآن الكريم والروايات جهلاً، وهو في غاية القبح. فأن يتمكن الإنسان من أن يسمع قبيحاً ويقول جميلاً، وأن يسمع شتماً ويردّ سلاماً، وأن يلقي تعسفاً ويرى امتهاناً للحق، ويعترض بهدوء ومنطق، لدليل على غلبة عقله على جهالته الداخلية وانتصاره على خفة عقله وطيش نفسه الأمّارة بالسوء. إن هذا الشخص يمكنه أن يقيم الارتباط السليم في أيّ بيئة كانت ومع أيّ شخص كان، وأن يعمل على إدارة الارتباط الخاطئ، وأن يعمل على إنهاؤه بسعادة وسلام. إنّ الحلم يسيطر على الشخص السفيه والطائش، ويزيد من أصدقاء الإنسان وأنصاره في مواجهة الشخص الطائش والأرعن^١.

والنقطة المهمّة الموجودة في حقل الحلم، هي أنّ الحلم لا يكتسب مفهومه ومعناه إلّا عند القدرة دون العجز والضعف، فقد روي عن رسول الله ﷺ أنّه قال: «لَيْسَ بِحَلِيمٍ مَنْ لَمْ يُعَاشِرْ بِالْمَعْرُوفِ مَنْ لَا بُدَّ لَهُ مِنْ مُعَاشَرَتِهِ، حَتَّى يَجْعَلَ اللَّهُ لَهُ مِنْ ذَلِكَ مَخْرَجاً»^٢. وعن الإمام عليّ عليه السلام، قال: «لَيْسَ الْحَلِيمُ مَنْ عَجَزَ فَهَجَمَ، وَإِذَا قَدَرَ انْتَقَمَ؛

١. مسعودي، روابط اجتماعي از نگاه قرآن، ٩٤.

٢. المتقي الهندي، كنز العمال، ح ٥٨١٥.

إِنَّمَا الْحَلِيمُ مَنْ إِذَا قَدَرَ عَفَا، وَكَانَ الْجَلْمُ غَالِباً عَلَى كُلِّ أَمْرِهِ^١.

ب. النماذج الكبيرة في الحلم

الأنبياء ﷺ يمثلون أرقى نموذج في الاتصاف بالحلم، ومن أكثرهم حلماً النبي إبراهيم الخليل عليه السلام، فقد أطلق الله سبحانه عليه صفة الحلم كما نلاحظ ذلك عند النظر في قصته مع قوم لوط. إذ نقرأ في سورة هود أن رسل الله من الملائكة عندما جاؤوا إلى بيت إبراهيم، وبعد بشارته بأنه سيرزق بولد اسمه إسحاق، ومن بعده سيكون له حفيد منه اسمه يعقوب، أخبروه بأنهم إنما قد أرسلوا لعذاب قوم لوط. إلا أن النبي إبراهيم الخليل عليه السلام، على الرغم من الألم والحزن الذي كان يكابده بسبب ضلال قوم لوط وانحرافهم، ورغم علمه بما كانوا يقترفونه من القبائح، ومع عدم رعايتهم لحرمة، وإصرارهم على الانحراف، إلا أنه كان من الحلم والصبر بحيث إنه بدلاً من الدعاء عليهم، صار يجادل الله فيهم، وأخذ يُصرّ عليه بكل السبل أن يرفع العذاب عنهم لعلهم يهتدون ويسعدون^٢. كما نشاهد نموذجاً آخر لصبر النبي إبراهيم الخليل عليه السلام وحلمه في قصة رؤياه الصادقة وأمر الله له بذبح ولده الأثير على قلبه إسماعيل عليه السلام أيضاً^٣. والملفت للانتباه في البين أن الله يصف حتى نجله إسماعيل عليه السلام بصفة الحلم أيضاً؛ كما نجد ذلك في قوله تعالى: ﴿فَبَشِّرْنَاهُ بِغُلَامٍ

١. الآمدي التميمي، غرر الحكم ودرر الكلم، ح ٧٥٢٩.

٢. هود: ٧٠-٧٦.

٣. الصافات: ١٠٢-١٠٧.

حليم ﴿(الصفات: ١٠١)﴾. وهذه الصفة العظيمة موجودة عند جميع الأنبياء، وقد تحدّث الله عنها في القرآن الكريم في الكثير من المواطن والمناسبات وأثنى عليها، كما أشار الله سبحانه وتعالى في سورة هود إلى صبر وحلم النبي نوح عليه السلام في دعوته التي استغرقت زمناً طويلاً بلغ ما يقرب من ألف عام دون أن يملّ أو يفقد الأمل أو يخرج عن طوره أو أن تصدر عنه كلمة نابية أو مؤذية أبداً. وقد أشار كذلك في مواضع متعدّدة من القرآن الكريم إلى حلم النبي موسى وأخيه هارون عليه السلام. كما بيّن حلم النبي يعقوب وصبره الكبير على بنيه وما فعلوه بولده الأثير على قلبه يوسف عليه السلام. وبعد ذلك كلّه يمكن لنا أن نذكر صبر خاتم الأنبياء محمد المصطفى ﷺ أيضاً، حيث إنّ النبي الأكرم في دعوته الناس إلى ما يحییهم لم يفقد صفة الحلم والصبر، سواء أكان في مكّة المكرّمة وما كابده هناك من ألوان العنت والأذى من قومه هناك، وما لقيه من سوء المعاملة في الطائف من رميه بالحجارة حتّى أدّمي جسده الشريف، ولا في يثرب (المدينة المنورة) حيث كسرت رباعيّته في معركة أحد، دون أن ينثني أو يفقد حلمه، ولا حتّى عند تقسيم الغنائم وما ناله من جفاء بعض الصحابة في الضغط عليه والازدحام من حوله وإسماعه كلمات قاسية وتوقّعات غير منطقيّة، حيث إنّّه لم يقطع ارتباطه السليم وعلاقته الوديّة مع مخاطبيه الحقيقيين، ولم يره أحد غضبان بسبب مسائل شخصيّة أبداً. وعليه فإنّ كان الأنبياء عليهم السلام قد بذلوا كلّ هذا الحلم تجاه الضالّين والمنحرفين، فلا شكّ في أنّه يجب علينا أن نكون بدورنا أكثر

حلماً في التعامل مع أبناء ديننا من الذين قد نرى منهم الجفاء أحياناً، وأن يكون حلمنا بحيث نصبر حتى على أسوأ الأفعال التي تصدر عنهم، وهي الصفة التي نشهد انحسارها وغياها في مجتمعنا الحالي شيئاً فشيئاً؛ الأمر الذي أخذ يُعرض علاقاتنا الاجتماعية إلى أضرار وآفات حقيقية على نطاق واسع^١.

ج. الآثار الاجتماعية للحلم

الحلم واحد من العوامل والعناصر المهمة لضمان أو ترميم السلامة الاجتماعية. ومن الآثار والنتائج الاجتماعية الأولى المترتبة على الحلم، زيادة التراحم والتعاون الاجتماعي، فعندما يرى الناس بوصفهم شاهدين على الواقع حلم شخص مظلوم، فإنهم سوف ينحازون إلى صفه، ويتحقق بذلك نوع من التعاطف الاجتماعي معه ويحظى المظلوم بعون المجتمع. قال أمير المؤمنين عليّ عليه السلام: «إِنَّ أَوَّلَ عَوْضِ الْحَلِيمِ مِنْ خَصْلَتِهِ أَنْ النَّاسَ أَعْوَانُهُ عَلَى الْجَاهِلِ»^٢. وقال عليه السلام أيضاً: «بِالْحَلِمِ تَكْثُرُ الْأَنْصَارُ»^٣. والوجه الآخر من العملة هو التيار الذي يتبلور ضد مصدر الظلم والسلوك الجاهل. وبالإضافة إلى تبلور التعاون مع الشخص المظلوم، يتبلور تيار اجتماعي مقابل ظاهرة الظلم الاجتماعي أيضاً، فقد ورد في المأثور عن الإمام عليّ عليه السلام أنه قال: «بِالْحَلِمِ عَنِ السَّفِيهِ يُكْثِرُ الْأَنْصَارُ عَلَيْهِ»^٤. وهذا الأمر هو الذي يستوجب انتصار

١. مسعودي، روابط اجتماعي از نگاه قرآن، ٩٦ فما بعد.

٢. الشعيري، جامع الأخبار، ٣١٩، ح ٨٩١.

٣. الأمدبي التميمي، غرر الحكم ودرر الكلم، ح ١٨٥٤.

٤. نهج البلاغة، الحكمة رقم: ٢٢٤.

وتفوق الحق والفضيلة. عندما يتبلور التعاون الاجتماعي ويدافع الناس عن تيار الحق والمظلوم، ويضعون تيار الجهل والظلم تحت الضغط، تتبلور تباشير النصر لصاحب الحق. وفي الحقيقة فإن كل من يبدي صبراً وحلماً تجاه عدوه، فإنه سوف ينتصر عليه حتماً؛ فقد ورد في المأثور عن أمير المؤمنين علي عليه السلام: «مَنْ حَلُمَ عَنْ عَدُوِّهِ ظَفَرَ بِهِ»^١، وعن الإمام الصادق عليه السلام أنه قال: «يُظْفَرُ مَنْ يَحْلُمُ»^٢.

كما أن من الآثار والنتائج المترتبة على الحلم، الصلح والسلام الاجتماعي أيضاً، فقد ورد عن الإمام علي عليه السلام أنه قال: «السُّلْمُ ثَمَرَةُ الْحِلْمِ»، وعنه عليه السلام أيضاً أنه قال: «الْحِلْمُ حِلْيَةُ الْعِلْمِ، وَعِلَّةُ السُّلْمِ»^٣. والذي يواجه السلوك الجاهل والظالم، إذا صار بناؤه على الرقص والعزف على الإيقاع نفسه، فإنه سوف يفاقم من الآفات الاجتماعية ويزيد الطين بلة، وقد يؤدي ذلك إلى سلسلة لا تنتهي من المشاكل والمعضلات الاجتماعية التي نعرف أولها، ولا ندري إلى أين ستنتهي. وأما الحلم فإنه يقطع سلسلة الخصومات والمشاكل؛ إذ ورد عن الإمام علي عليه السلام أنه قال: «الْحِلْمُ يُطْفِئُ نَارَ الْغَضَبِ»^٤.

١٥. الصفح الاجتماعي

ومن المفاهيم الأخرى للسلامة الاجتماعية مفهوم العفو والصفح، حيث إن القرآن

١. الكراچكي، كنز الفوائد، ١: ٣١٩.

٢. المجلسي، بحار الأنوار، ٧٨: ٢٦٩، ح ١٠٩.

٣. الآمدي التميمي، غرر الحكم ودرر الكلم، ٩٠١، ح ١٣٣٦.

٤. م. ن، ح ٢٠٦٣.

الكريم إنما يعتبر الشخص قادرًا على الصفح والعفو إذا كان بالإضافة إلى الصبر متّصفاً بـ«الحلم العظيم»؛ بمعنى أن يكون حاصلًا على حظّ عظيم من الكمال الإنساني والخصال الفاضلة، قال الله سبحانه وتعالى: ﴿وَلَا تَسْتَوِي الْحَسَنَةُ وَلَا السَّيِّئَةُ ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ فَإِذَا الَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَدَاوَةٌ كَأَنَّهُ وَلِيٌّ حَمِيمٌ وَمَا يُلْقَاهَا إِلَّا الَّذِينَ صَبَرُوا وَمَا يُلْقَاهَا إِلَّا ذُو حَظٍّ عَظِيمٍ﴾ (فصلت: ٣٤-٣٥).

يمثل الصفح نوعاً من «الكرامة الأخلاقية»، فقد ورد عن رسول الله ﷺ أنه قال: «ثَلَاثٌ مِنْ مَكَارِمِ الْأَخْلَاقِ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ: ... وَتَحُلُمٌ عَمَّنْ جَهَلَ عَلَيْكَ»^١. وقد اعتبر رسول الله ﷺ صفح الشخص عمّن ظلمه من أفضل الأخلاق في الدنيا والآخرة؛ إذ ورد عن النبي الأكرم ﷺ أنه قال: «أَلَا أَدُلُّكُمْ عَلَى خَيْرِ أَخْلَاقٍ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ؟: تَصِلُ مَنْ قَطَعَكَ، وَتُعْطِي مَنْ حَرَمَكَ، وَتَعْفُو عَمَّنْ ظَلَمَكَ»^٢. بل وفوق ذلك إنّ العفو من الأخلاق الإلهية، والذي يعفو ويصفح يكون قد اتصف بصفة من صفات الله سبحانه وتعالى، وليس هذا بالشيء القليل؛ فقد حثّ النبي عيسى عليه السلام على الصفح والعفو قائلاً:

«فَاعْتَبِرُوا بِعَفْوِ اللَّهِ عَنْكُمْ، أَلَا تَرَوْنَ أَنَّ شَمْسَهُ أَشْرَقَتْ عَلَى الْأَبْرَارِ وَالْفَجَّارِ مِنْكُمْ، وَأَنَّ مَطَرَهُ يَنْزِلُ عَلَى الصَّالِحِينَ وَالْخَاطِئِينَ مِنْكُمْ؟ فَإِنْ كُنْتُمْ لَا تَحِبُّونَ إِلَّا مَنْ أَحَبَّكُمْ، وَلَا تُحْسِنُونَ إِلَّا إِلَى مَنْ أَحْسَنَ إِلَيْكُمْ، وَلَا تُكَافِئُونَ إِلَّا مَنْ أَعْطَاكُمْ، فَمَا فَضْلُكُمْ إِذَا عَلَى غَيْرِكُمْ؟ وَقَدْ يَصْنَعُ هَذَا السُّفَهَاءُ الَّذِينَ لَيْسَتْ عَنْدهُمْ فُضُولٌ وَلَا لَهُمْ أَخْلَاقٌ، وَلَكِنْ

١. الصدوق، من لا يحضره الفقيه، ٤: ٣٥٧؛ الكليني، الكافي، ٢: ١٠٧، ١٤٠٧هـ.

٢. الكليني، الكافي، ٢: ١٠٧، ح ٢.

إِنْ أَرَدْتُمْ أَنْ تَكُونُوا أَحِبَّاءَ اللَّهِ وَأَصْفِيَاءَ اللَّهِ، فَأَحْسِنُوا إِلَى مَنْ أَسَاءَ إِلَيْكُمْ، وَأَعْفُوا عَمَّنْ ظَلَمَكُمْ»^١.

كما أنَّ الصّحّ والعفو يُعدّ دليلًا على «المقدرة» وعلى «بلوغ الكمال». إنَّ الذي يعفو ويصفح يُثبت أنَّه يتمتّع باقتدار داخليّ كبير وفذّ. إنَّ الكلّ من الناس هم الذين يمتلكون القدرة على الصّحّ وغض الطرف عن أخطاء الآخرين. إنَّ الذين يمتلكون قلبًا سماويًا يمكنهم التّغاضي عن أخطاء أزواجهم. وقد عدّ النّبيّ الأكرم ﷺ الذين يمتلكون القدرة على الصّحّ عن أخطاء الآخرين والإحسان إلى المسيئين من «أفضل أفراد أمّته»؛ إذ ورد عنه ﷺ أنّه قال: «خِيَارُ أُمَّتِي... يَعْفُونَ عَمَّنْ ظَلَمَهُمْ وَيُحْسِنُونَ إِلَى مَنْ أَسَاءَ إِلَيْهِمْ»^٢. وعلى الرّغم من عظمة الإمام عليّ عليه السلام إلّا أنّه مع ذلك صرّح بعجابه وانبهاره بهؤلاء الأشخاص وقال: «يُعْجِبُنِي مِنَ الرَّجُلِ أَنْ يَعْفُو عَمَّنْ ظَلَمَهُ وَيَصِلَ مِنْ قَطْعِهِ وَيُعْطِيَ مَنْ حَرَمَهُ وَيُقَابِلَ الْإِسَاءَةَ بِالْإِحْسَانِ»^٣. وهل توجد منزلة أكبر للإنسان من أن يكون محبوبًا لله (عزّ وجل)؟! إنّ الله هو أهل العفو والمغفرة، ويحبّ الذين يعفون والذين يصفحون؛ فقد ورد في المأثور عن رسول الله ﷺ أنّه قال: «إِنَّ اللَّهَ عَفُوٌّ يُحِبُّ الْعَفْوَ»؛ ولذلك فإنّ الله سبحانه وتعالى يحبّ المحسنين والذين يعفون عن الآخرين، قال تعالى: ﴿الَّذِينَ يُنْفِقُونَ فِي

١. المجلسي، بحار الأنوار، ١٤: ٣٠٦، ح ١٧.

٢. المتقي الهندي، كنز العمال، ١٢: ١٨٥، ح ٣٤٥٩١.

٣. الآمدي التميمي، غرر الحكم ودرر الكلم، ح ١١٠٣٥.

٤. المتقي الهندي، كنز العمال، ٣: ٣٧٣، ح ٧٠٠٥.

السَّرائِ وَالصَّرائِ وَالْكَاطِمِينَ الْغَيْظَ وَالْعَافِينَ عَنِ النَّاسِ وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ ﴿١٣٤﴾ (آل عمران: ١٣٤).

أ. معرفة جذور الصّح

الأخطاء المحتملة من الأمور التي قد يرتكبها الأشخاص عند التعامل والتعاطي فيما بينهم تهدّد السلامة الاجتماعيّة وتعرّضها للخطر، ومن الواضح أنّ الخطأ أمر غير مقبول، ولكنّه حقيقة لا محيص عنها. ولا شكّ في أن كلّ واحد من الأفراد سوف يواجه خطأً أو زللاً من الطرف الآخر، فلا ينبغي أن نتوقّع خلوّ الأرض من «الأفعال الخاطئة» و«المعاملات الخالية من الأخطاء».

«إنّ عالمنا هو عالم التنازع والتضاد والاحتكاك، وإنّ عالم المادة زاهر بالتنافس والصراع. إنّ لهذه الحقيقة الملموسة تأثيرات واسعة النطاق على العلاقات الاجتماعيّة للبشر، ومن هنا يمكن الادّعاء بأنّ سبب قطع العلاقات الاجتماعيّة هي الأخطاء الصادرة من أحد طرفي العلاقة أو كلاهما أثناء التنافس أو النزاع في العمل وغيره. وتارة يفعل الحسد لدى شخص فعلته ويبدأ صراعاً معناه، وتارة يؤدّي الخوف من فقدان وظيفة أن نعمل على تشويه سمعة من ينافسنا على شغل تلك الوظيفة، وتارة يؤدّي الأمر بالشريكين الاقتصاديين أو الشريكين في مجال من مجالات الحياة إلى التجسّس على بعضهما في الأمور التي تخصّه، وبدلاً من العمل على ستر عيوبه يبادر إلى الكشف عنها، وبدلاً من التغاضي والتغافل عنها، يأخذ بالبحث عنها ورصدها، الأمر الذي يستوجب إيذاء أحدهما للآخر. إنّ الكلام

ليس عن الخطأ أو السوء المحتمل، وإنّما الكلام عن الذنب الواضح والجريمة الثابتة والإيذاء الحقيقيّ للآخر. والكلام عن ظلم أحد الطرفين للطرف الآخر. إنّ المسألة عبارة عن إيذاء الجار لجاره الملاصق لداره، والمشكلة تكمن في الظلم الذي يمارس الصديق المقرب بحقنا، والحقّ الذي يسلبه صاحب المنصب الأعلى من صاحب المنصب الأدنى، والاستهزاء الذي يقوم به الزميل في العمل والجليس لنا، بل وحتىّ القريب منّا بحقنا وسمعتنا وكرامتنا التي تمّ إهدارها وامتهاؤها^١.

والمهم في البين هو ردّة فعلنا تجاه هذا السلوك القبيح بحقنا، فالسلامة الاجتماعية في مثل هذه الحالة رهن بقدرتنا وكفاءتنا في التعاطي والتعامل مع هذه الحقيقة. فعلى الرغم من وقوع الظلم علينا، ولكن لا يمكن لأيّ ردّة فعل من قبلنا أن تعدّ هي الردّ الإيجابي والمقبول. إنّ ردّة الفعل غير المناسبة سوف تزيد الطين بلّة وتجعل الأمر أكثر سوءاً. فمهما كان القبح والإيذاء الأوّل أمراً قبيحاً وبذيئاً وينطوي على آثار مدمّرة، إلّا أن ردّة الفعل غير المناسبة يمكن بدورها أن تترك آثاراً سلبية، وبالتالي فإنّ الحاصل من مجموع العمل القبيح وردّ الفعل الخاطيء، سوف يجعل من الوضع أكثر خطورة، بيد أنّ ردّة الفعل المناسبة يمكن أن تضع حدّاً للمشكلة ويحول دون تشعبها واتساع دائرتها، بل قد يخلق الأرضية للإصلاح أيضاً.

تتبع ردود الأفعال نماذج خاصّة، ولكلّ واحد منها آثاره ونتائجه الخاصّة، وقد ذكرت الآيات القرآنيّة والروايات الإسلاميّة عدداً من النماذج على ردود الأفعال. وأحدّها «ردّ الفعل المتكافئ»، حيث يمكن للشخص أن يستردّ حقّه ويطالب

١. مسعودي، روابط اجتماعي از نگاه قرآن، ١٠١.

بجبران الخسارة والتعويض المساوي. وحيث إنّ فعل القبيح والإيذاء يُعدّ مصداقاً للظلم، فيمكن للشخص المظلوم والذي وقع عليه الأذى أن يتّخذ موقف المنتقم من خلال ردّة فعله المحقّقة ومن باب إحقاق الحقّ، وهو ما نسمّيه بـ«المقابلة المتكافئة». إنّ هذا النموذج الأوّل (المقابلة المساوية) يمكن تقويمه على أنّه صحيح من الناحية الشرعيّة والعقليّة، فإنّ الله سبحانه وتعالى من خلال تأكيده على أصل «التكافؤ» بين السلوك السلبّي والردّ عليه بسلبيّة قد أباح «المقابلة بالمثل» في بعض الموارد؛ ومن ذلك قوله تعالى: ﴿فَمَنْ اعْتَدَى عَلَيْكُمْ فَاعْتَدُوا عَلَيْهِ بِمِثْلِ مَا اعْتَدَى عَلَيْكُمْ﴾ (البقرة: ١٩٤) وقوله تعالى: ﴿جَزَاءُ سَيِّئَةٍ سَيِّئَةٌ مِثْلُهَا﴾ (الشورى: ٤٠). إنّ هذا النموذج وإن كان مشروعاً، وينطوي على آفات وأضرار أقلّ بالنسبة إلى العلاقات الاجتماعيّة، ولكنّه على أيّ حال سوف يترك آثاره السلبيّة على العلاقات الاجتماعيّة، ويعمل على تحويلها من الحالة العذبة من «الصفاء والمودّة» إلى الفضاء الجاف من «الأخذ/ العطاء». وقد ورد النهي في الروايات الإسلاميّة عن «التسرّع في الانتقام» بشدّة، وتمّ ذمّ الأشخاص الذين ييخلون في الصفح عن الآخرين. فقد ورد في الحديث المأثور عن الإمام عليّ عليه السلام أنّه قال: «قُلْتُ الْعَفْوُ أَقْبَحُ الْعُيُوبِ وَالتَّسَرُّعُ إِلَى الْإِنْتِقَامِ أَكْثَرُ الذُّنُوبِ»^١.

وأما النموذج الآخر فإنّه يقوم على أساس «ردّة الفعل الأقبح»، حيث يقوم الشخص المظلوم الذي تعرّض لصفعة واحدة، بالتعرّض لمن ظلمه بصفعة مرّتين وعلى نحو أشدّ وأقبح، وهذه ردّة فعل ظالمة بدورها؛ إذ تتجاوز حدود الحقّ وتردّ

١. الأمدي التميمي، غرر الحكم ودرر الكلم، ح ٦٧٦٦.

على الظالم بظلم آخر. وهذا ما نسميه بـ«المقابلة بالأسوأ». إنّ هذا النموذج بدوره يُعدّ ظلمًا جديدًا، وهو غير مشروع، كما أنّه يزيد الوضع سوءًا ويجعله مأزومًا بشكل أكبر، ويقلّل من فرص العودة إلى السلام والصلح وعودة مياه الهدوء والمودة إلى مجاريها. ويمثّل هذا النموذج نوعًا من الوحشية والافتراس الذي لا يتناسب مع الحياة الإنسانية. والله سبحانه وتعالى وقادة الدين وأوليّاؤه قد نهوا المسلمين بشدّة عن اقرار الظلم بحقّ الآخرين (سواء أكان هذا الظلم من نوع الفعل، أم من نوع ردّة الفعل).

والنموذج الثالث، هو «ردّة الفعل الأفضل». في ضوء هذا النموذج، لا يقوم الفرد بعدم الظلم في ردّة فعله فحسب، ولا يمتنع عن المطالبة بحقه فحسب، بل يتجاوز عن حقه ويصفّي قلبه. إنّ هذه ردّة فعل كريمة تجاه قبح الآخرين، وهي تأتي من باب الفضل والإحسان، حيث يتمّ التغاضي عن خطأ الطرف الآخر، وهو ما نسمّيه بـ«المقابلة بالأفضل»، وهذا النموذج هو الذي ينصح به الإمام عليّ عليه السلام في الردّ على أخطاء الآخرين؛ ومن ذلك قوله: «إِذَا أُسِيءَ إِلَيْكُمْ فَاعْفُوا وَاصْفَحُوا»^١. إنّ هذا النموذج الذي يرد الحديث عنه في أدبيّات الدين تحت مسمّى «العفو» أو الصّفح يُعدّ من أفضل أنواع ردود الأفعال. وعلى الرغم من أنّ الدين الإسلاميّ أقرّ المقابلة المتساوية والمتكافئة واعتبره من حقّ المظلوم، ولكنّه مع ذلك يؤكّد على المقابلة الأفضل من باب الكرامة والفضيلة، قال الإمام عليّ عليه السلام: «الْفَضْلُ أَنْتَ إِذَا

١. ابن شعبة الحرّانيّ، تحف العقول، ١٥١.

قَدَرْتَ عَفْوَتِ... مَنْ عَفَا عَنْ الْجَرَائِمِ فَقَدْ أَخَذَ بِجَوَامِعِ الْفَضْلِ... الْعَفْوُ أَعْظَمُ الْفَضِيلَتَيْنِ^١،
كما عدّ الشخص الذي لا يعفو، مفتقرًا إلى الفضيلة؛ حيث قال عليه السلام: «مَنْ عَاقَبَ
بِالدَّنْبِ فَلَا فَضْلَ لَهُ»^٢. يرى القرآن الكريم أنّ مقابلة القبيح بقبيح ينطوي على قبح
مائل، ولكن لو تمت مقابلة القبح بالعفو والصفح والإصلاح، فسوف يكون أجر
ذلك على الله سبحانه وتعالى، قال الله تعالى: ﴿وَجَزَاءُ سَيِّئَةٍ سَيِّئَةٌ مِثْلُهَا فَمَنْ عَفَا
وَأَصْلَحَ فَأَجْرُهُ عَلَى اللَّهِ إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الظَّالِمِينَ﴾ (الشورى: ٤٠)؛ ولذلك فإنّ الله
سبحانه وتعالى يؤكّد على أن يكون الردّ على الإساءة بالردّ الأفضل؛ إذ يقول تعالى:
﴿ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ السَّيِّئَةِ﴾ (المؤمنون: ٩٦). وقد عدّ النبي الأكرم صلّى الله عليه وآله وسلّم
الصفح بوصفه من أفضل الفضائل؛ إذ يقول: «أَفْضَلُ الْفَضَائِلِ أَنْ تَصِلَ مَنْ قَطَعَكَ،
وَتُعْطِيَ مَنْ حَرَمَكَ، وَتَصْفَحَ عَمَّنْ ظَلَمَكَ»^٣. وقال الإمام عليه السلام: «الْعُدْلُ أَنْكَ إِذَا
ظَلِمْتَ أَنْصَفْتَ وَالْفَضْلُ أَنْكَ إِذَا قَدَرْتَ عَفْوَتِ». وقال أيضًا: «أَحْسَنُ مِنْ اسْتِيفَاءِ حَقِّكَ
الْعَفْوُ عَنْهُ»^٤.

ب. الآثار الاجتماعية

الصفح والتجاوز ضد «التوقّف»، فهو يعني العبور وتجاوز الموضوع مورد البحث.

١. م. ن، ح ٢١٣١، و ٨٤٩٩، و ١٦٤٠.

٢. م. ن، ح ٩٠٧١.

٣. القضاعي، مسند الشهاب، ١: ٣٠.

٤. الأمدّي التميمي، غرر الحكم ودرر الكلم، ح ٢١٣١، و ٣١٢٠.

والشخص الذي لا يتجاوز عن خطأ الطرف المقابل، إنّما هو في الحقيقة يصرّ على التركيز والتوقّف عند ذلك الواقع المرير، وربما كان هذا التوقّف من حقّه؛ ولكن عليه أن يعلم بأنّ التوقّف عند هذا الموضوع وعدم تجاوزه يشبه الوقوف عند مزبلة تنته وعدم الابتعاد عنها. إنّ العقل البشريّ يحكم بأنّ على الإنسان أن لا يقف عند نفايات العلاقات الاجتماعيّة؛ إذ رائحتها متنته ومنظرها قبيح، كما أنّ الوقوف عندها يجرمه من رؤية المناظر الجميلة الأخرى الماثلة أمامه. قد يمكن لشخص أن يعيش مرارة أخطاء الآخرين لمرة واحدة، ولكنّه لو توقّف عندها ولم يجد عنها فإنّه سوف يتجرّع مرارتها مرّة بعد مرّة، وعندها سوف يكون هو المسؤول عن تجرّع هذه المرات دون سواه! وأمّا في المقابل فإنّ الصفح والعفو والتجاوز يُجلي القلوب ويزيل الأحقاد والإحزن (المدّمة) ويعيد الصفاء والودّ إلى الحياة. يقول الله سبحانه وتعالى في محكم كتابه الكريم: ﴿وَلَا تَسْتَوِي الْحَسَنَةُ وَلَا السَّيِّئَةُ ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ فَإِذَا الَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَدَاوَةٌ كَأَنَّهُ وَلِيٌّ حَمِيمٌ﴾ (فصلت: ٣٤). وعن النبي الأكرم ﷺ أنّه قال: «تَعَاَفُوا تَسْقُطِ الصَّغَائِرُ بَيْنَكُمْ»^١. لو صار بناء كلّ واحد منّا على الإصرار على حقّه وعدم التجاوز عنه، فما الذي سوف يحدث؟ هل سنكون قد حصلنا على شيء؟ وهل سنكون قد دافعنا عن الشيء الذي كنّا نمتلكه؟ أم الأمر سيكون على العكس من ذلك تمامًا، وسوف نفقد الكثير من الأمور؟ وهل يمكن لنا أن نتوقّع حياة اجتماعيّة مقرونة بالمحبّة والمودّة من خلال عدم الصفح والتجاوز؟

١. المتقي الهندي، كنز العمال، ٣: ٣٧٣، ح ٧٠٠٤.

١٦. التواضع الاجتماعي

يعمل الإنسان على مقارنة نفسه بالآخرين في كثير من الموارد، ولهذا النوع من التقويم نموذجين، وهما: نموذج تضخيم الذات ورؤية الشخص نفسه أفضل من غيره، ونموذج التواضع. والنموذج الأول يؤدي إلى التكبر. وعلى المتكبر أن لا يتوقع الثناء من أحد، فقد ورد في المأثور عن الإمام الصادق عليه السلام أنه قال: «لَا يَطْمَعَنَّ ذُو الْكِبَرِ فِي الثَّنَاءِ الْحَسَنِ»^١. بل عليه أن يتوقع الشتم أيضًا؛ فقد ورد عن الإمام علي عليه السلام أنه قال: «ثَمَرَةُ الْكِبَرِ الْمَسَبَّةُ»^٢. والتكبر - على خلاف ما يتوقعه الشخص المتكبر - يؤدي إلى انخفاض أسهم قيمته الاجتماعية^٣. إن هذا الأمر لا يؤدي إلى إيجاد الارتباط الحسن الذي يطيب للإنسان، بل يستوجب الشعور بالإخفاق والفشل الاجتماعي، الأمر الذي يدخل الفرد المتكبر في دوامة من الألم والعذاب. ومن هنا فقد ورد النهي عن التكبر في المصادر الإسلامية^٤. وأما النموذج الثاني فهو يؤدي إلى التواضع، والتواضع يؤدي من جهة إلى أن لا يتفاخر الأشخاص على بعضهم ولا يظلم بعضهم بعضًا، فقد ورد عن النبي الأكرم صلوات الله عليه وآله أنه قال: «تَوَاضَعُوا حَتَّى لَا يَبْغِيَ أَحَدٌ عَلَى أَحَدٍ»^٥. ويعمل من ناحية أخرى إلى زيادة المحبة، فقد ورد

١. الصدوق، الخصال، ٤٣٤، ح ٢٠.

٢. الأمدّي التميمي، غرر الحكم ودرر الكلم، ح ٤٦١.

٣. الطوسي، الأمالي، ٥٧٧، ح ٧٨٨.

٤. محمدي ري شهري، ميزان الحكمة، ١٠: ٧.

٥. ورام بن أبي فراس، تنبيه الخواطر ونزهة الناظر المعروف بـ (مجموعة ورام)، ٢: ١٢٠.

عن الإمام علي عليه السلام أنه قال: «ثمرة التواضع المحبة»^١، ومن هنا فقد تمّ التأكيد في النصوص الإسلامية على التواضع إلى حدّ كبير^٢.

ومن الأمور التي تستوجب السلامة الاجتماعية أن ينظر الشخص إلى الآخرين بوصفهم أفضل منه، فقد ورد عن النبي الأكرم صلى الله عليه وآله وسلم أنه قال: «لَمْ يُعْبِدَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ بِشَيْءٍ أَفْضَلَ مِنَ الْعَقْلِ، وَلَا يَكُونُ الْمُؤْمِنُ عَاقِلًا حَتَّى تَجْتَمِعَ فِيهِ عَشْرُ خِصَالٍ: الْخَيْرُ مِنْهُ مَأْمُولٌ، وَالشَّرُّ مِنْهُ مَأْمُونٌ، يَسْتَكْثِرُ قَلِيلَ الْخَيْرِ مِنْ غَيْرِهِ، وَيَسْتَقِلُّ كَثِيرَ الْخَيْرِ مِنْ نَفْسِهِ، وَلَا يَسْأَلُ مَنْ طَلَبَ الْعِلْمَ طَوْلَ عُمْرِهِ، وَلَا يَتَبَرَّمُ بِطَلَبِ الْخَوَائِجِ قِبَالَهُ، أَلْذَلُّ أَحَبُّ إِلَيْهِ مِنَ الْعِزِّ، وَالْفَقْرُ أَحَبُّ إِلَيْهِ مِنَ الْغِنَى، نَصِيبُهُ مِنَ الدُّنْيَا الْقَوْتُ، وَالْعَاشِرَةُ وَمَا الْعَاشِرَةُ: لَا يَرَى أَحَدًا إِلَّا قَالَ: هُوَ خَيْرٌ مِنِّي وَأَتَقَى، إِنَّمَا النَّاسُ رَجُلَانِ؛ فَرَجُلٌ هُوَ خَيْرٌ مِنْهُ وَأَتَقَى، وَآخَرُ هُوَ شَرٌّ مِنْهُ وَأَدْنَى، فَإِذَا رَأَى مَنْ هُوَ خَيْرٌ مِنْهُ وَأَتَقَى تَوَاضَعَ لَهُ لِيَلْحَقَ بِهِ، فَإِذَا لَقِيَ الَّذِي هُوَ شَرٌّ مِنْهُ وَأَدْنَى، قَالَ عَسَى خَيْرٌ هَذَا بَاطِنٌ وَشَرٌّ ظَاهِرٌ، وَعَسَى أَنْ يُخْتَمَ لَهُ بِخَيْرٍ، فَإِذَا فَعَلَ ذَلِكَ فَقَدْ عَلَا مَجْدُهُ وَسَادَ أَهْلُ زَمَانِهِ»^٣. وأمّا الخصلة العاشرة وهي «المقارنة بين القيم» في العلاقات الاجتماعية؛ فإنّ لهذه المقارنة طريقتين؛ الطريقة الأولى تقول: «أنا أفضل منه»، والطريقة الثانية تقول: «هو أفضل مني». والطريقة الأولى إنّما هي استراتيجية «الشيطان»، فعندما سُئل الشيطان: لماذا لم تسجد لآدم، قال: ﴿أَنَا خَيْرٌ

١. الأمدّي التميمي، غرر الحكم ودرر الكلم، ح ٤٦١٣.

٢. محمدي شهري، ميزان الحكمة، ١٠: ٧.

٣. الصدوق، الخصال، ٤٣٣، ح ١٧؛ الأملّي، ١٥٣؛ ابن شعبة الحرّاني، تحف العقول، ٤٤٣.

مِنْهُ^١. وأما الطريقة الثانية فهي استراتيجية إلهية. فقد ورد في الحديث أعلاه عن رسول الله ﷺ قال: «لَا يَرَى أَحَدًا إِلَّا قَالَ: هُوَ خَيْرٌ مِنِّي وَأَتَقَى». وعن أنس بن مالك خادم النبي الأكرم ﷺ قال: «يَا بُنَيَّ إِذَا خَرَجْتَ مِنْ أَهْلِكَ فَلَا يَقَعَنَّ بَصْرُكَ أَحَدًا مِنْ أَهْلِ الْقَبِيلَةِ إِلَّا ظَنَنْتَ أَنْ لَهُ الْفَضْلَ عَلَيْكَ»^٢. وهذا الأمر دليل على الأدب الإسلامي. وقد سُئِلَ الإمام الحسين عليه السلام، عن الأدب، فقال: «هُوَ أَنْ تَخْرُجَ مِنْ بَيْتِكَ فَلَا تَلْقَى أَحَدًا إِلَّا رَأَيْتَ لَهُ الْفَضْلَ»^٣.

ثم عمّد النبي الأكرم ﷺ في هذا الحديث مورد البحث إلى بيان هذا العامل، وقال إِنَّ النَّاسَ يَنْقَسِمُونَ مِنَ النَّاحِيَةِ الْأَخْلَاقِيَّةِ إِلَى طَائِفَتَيْنِ، وَهُمَا: طَائِفَةُ «الْأَخْيَارِ»، وَطَائِفَةُ «الْأَشْرَارِ».

إِنَّ الشَّخْصَ الَّذِي تَتَمَّ مَقَارَنَتُهُ، يَكُونُ بِالنِّسْبَةِ إِلَى الشَّخْصِ الَّذِي يَقُومُ بِعَمَلِيَّةِ الْمَقَارَنَةِ، إمَّا أَفْضَلَ أَوْ أَسْوَأَ. وفي هذا القسم يعمل على بيان التطبيق الاستراتيجي لـ«هو أفضل مني» في هذا التبويب. إِنَّ تَطْبِيقَ هَذِهِ الْإِسْتِرَاطِيغِيَّةِ ضَمَّنَ طَائِفَةَ الْأَخْيَارِ تَقُومُ عَلَى أَسَاسِ إِيْمَانِهِ بِأَفْضَلِيَّتِهِمْ عَلَيْهِ، وَتَتَوَاضَعُ أَمَامَهُمْ

: «إِنَّمَا النَّاسُ رِجَالَانِ؛ فَرَجُلٌ هُوَ خَيْرٌ مِنْهُ وَأَتَقَى، وَآخَرُ هُوَ شَرٌّ مِنْهُ وَأَدْنَى، فَإِذَا رَأَى مِنْ هُوَ خَيْرٌ مِنْهُ وَأَتَقَى تَوَاضَعُ لَهُ لِيَلْحَقَ بِهِ». إِنَّ أَفْضَلِيَّةَ الْآخَرِينَ لَا يَتِمُّ الْقَبُولُ بِهَا عَلَى الدَّوَامِ. فَرُبَّمَا نَرَى أَفْضَلِيَّةَ الْآخَرِينَ فِي الْكَثِيرِ مِنَ الْمَوَارِدِ، وَلَكِنَّا نُنْكِرُهَا.

١. سورة ص: ٧٥-٧٦.

٢. الطبراني، المعجم الصغير، ٢: ٣٣؛ ابن عساکر، تاريخ مدينة دمشق.

٣. پسندیده، رضایت از زندگی.

والخطوة الأولى هي القبول بأفضليّة الآخرين، والخطوة الثانية هي التواضع أمامهم. وأما تطبيق استراتيجيّة «هو أفضل منّي» في الطائفة الثانية (الأشرار)، فهي بأن يقول عسى أن يكون شرّه ظاهرًا وخيره باطنًا، ولربما تكون عاقبته خيرًا.

إنّ هذه الاستراتيجية لا تجعل حتّى الأشرار أسوأ من الشخص الذي يقوم بعملية المقارنة؛ وذلك لأنّه ينسب سوء الأشرار إلى ظاهريهم من جهة، ويحتمل أن يكونوا أحيانًا في بواطنهم، ومن ناحية أخرى فإنّه يرى سوءهم في اللحظة الراهنة، ويحتمل أن تكون عاقبتهم في المستقبل إلى خير؛ في حين أنّ الإنسان لا علم له بما يجري في بواطنهم، ولا يعلم بما سوف تكون عاقبتهم: «وإذا رأى الذي هو شرٌّ منه وأدنى قال: عسى خيرٌ هذا باطنٌ وشرُّه ظاهرٌ، وعسى أن يُختمَ له بخيرٍ»^١.

عن حفص بن غياث، عن أبي عبد الله عليه السلام، قال: «... وَمَنْ ذَهَبَ يَرَى أَنَّ لَهُ عَلَى الْآخِرِ فَضْلًا، فَهُوَ مِنَ الْمُسْتَكْبِرِينَ».

فقلت له: إنّما يرى أنّ له عليه فضلًا بالعافية إذ رآه مرتكبًا للمعاصي؟ فقال: «هَيْهَاتَ، هَيْهَاتَ، فَلَعَلَّهُ أَنْ يَكُونَ قَدْ غُفِرَ لَهُ مَا أَتَى، وَأَنْتَ مُوقِفٌ مُحَاسِبٌ؛ أَمَا تَلَوْتَ قِصَّةَ سَحْرَةِ مُوسَى عليه السلام؟»^٢.

إنّ السحرة في عصر النبيّ موسى قد اصطفوا مع فرعون في مواجهة النبيّ؛ ولكنهم بعد أن رأوا معجزة النبيّ موسى عليه السلام آمنوا به، وماتوا على ذلك. وعليه لا يمكن للشخص أن يعتبر نفسه أفضل من أهل المعاصي.

١. المجلسي، بحار الأنوار، ١: ١٠٩، ح ٥.

٢. الكليني، الكافي، ٧: ١٢٨.

يمكن لكم تصوّر هذا النموذج الارتباطيّ والتواصليّ (سواء مع الخيار أو الأشرار)، وما يتركه من الفضاء الرحب والممتع في ساحة العلاقات الاجتماعية! وأيّ لذّة يمكن أن يجدها في هذه العلاقات!

قال النبيّ الأكرم ﷺ في ختام كلامه بشأن استراتيجيّة «هو أفضل منّي»: «فإذا فعلَ ذلكَ فقدَ علّا مجدّه وسادَ أهلَ زمانِه»^١.

١٧. إرادة الخير الاجتماعيّ

أ. أَرْضِيَّةُ إِرَادَةِ الْخَيْرِ

ومن الأمور المهمّة في السلامة الاجتماعية إرادة الخير. وكلّ شخص في أيّ موقف كان، قد يكون عرضة للخطأ ويسلك طريقاً خاطئاً، أو يمكن أن يقع في حيرة وضياح، حتّى إنّه قد لا يعلم ما الذي يجب عليه فعله.

والأشخاص الطبيعيّون لا يمكنهم أن يلتزموا موقف الحياد تجاه مسائل الآخرين ومصائرهم؛ ولذلك فإنّهم من خلال العمل على هداية الآخرين وتوجيههم يسعون إلى وضع الجميع في المسار الصحيح. وفي الحقيقة، فإنّ إرادة الخير منظومة للهداية الاجتماعية تؤدّي إلى هداية الآخرين وإصلاح مسيرتهم.

وهذه المنظومة الاجتماعية الداخليّة تساعد كثيرًا على نجاح الجميع وسعادتهم. في هذا الموقف لا يفكر الشخص بمجرد إنقاذ نفسه والوصول إلى طوق النجاة، وإنّما يسعى إلى تحرير الجميع، ولا تطيب له السعادة إلّا بتحقيق السعادة للآخرين.

«لقد أقرّ الإسلام بدوره هذا الأصل الجوهريّ، وعمد إلى تنظيم هذا الأمر القيم في إطار إرادة الخير والهداية والإرشاد. الأنبياء، بوصفهم مرسلين من قبل الله سبحانه وتعالى، إنّما جاؤوا لهداية البشر، وكانوا بأجمعهم يريدون الخير لمختلف الأمم الإنسانية.

وقد كان النبيّ نوح^١ عليه السلام، والنبيّ صالح^٢ عليه السلام، والنبيّ شعيب^٣ عليه السلام، من النماذج المذكورة في القرآن الكريم بوصفهم من الناصحين الذين صرّحوا لقومهم بنصحهم وإرادة الخير لهم. كما صرّح أنبياء آخرون بهدايتهم وإرشادهم، بيد أن هذا المجال لا يتسع لذكرهم بأجمعهم. فالأنبياء الذين هم من الأشخاص المطلعين على المصير وطريق وكيفية الوصول إلى الغاية ومواجهة الموانع والعقبات والمشاكل، يعملون بشكل مسبق على وضع المعارف والعلوم التي حصلوا عليها من قبل خالق الوجود والإنسان تحت تصرّف الطالبين لها والذين يحتاجون إليها بشكل حقيقي، ولكنهم لا يعلمون بها. إنّهم بوصفهم نماذج للقدوة والتأسي قد وضعوا إرادة الخير والارتباط الواسع للهداية والإرشاد بوصفه ارتباطاً عميقاً وإنسانياً نصب أعيننا، وأظهروا لنا الآثار العظيمة والمباركة له. كما ورد التصريح من قبل نبيّنا الأعظم

١. قال تعالى: ﴿لَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِ فَقَالَ... يَا قَوْمِ لَيْسَ بِي ضَالَّةٌ وَلَكِنِّي رَسُولٌ مِنْ رَبِّ الْعَالَمِينَ أَبْلُغْتُكُمْ رِسَالَاتِ رَبِّي وَأَنْصَحُ لَكُمْ وَأَعْلَمُ مِنَ اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾ (الأعراف: ٥٩-٦٢).
٢. قال تعالى: ﴿قَالُوا يَا صَالِحُ إِنِّنَا بِمَا تَعِدُنَا إِنْ كُنْتَ مِنَ الْمُرْسَلِينَ *... فَتَوَلَّى عَنْهُمْ وَقَالَ يَا قَوْمِ لَقَدْ أَبْلَغْتُكُمْ رِسَالَاتِ رَبِّي وَنَصَحْتُ لَكُمْ وَلَكِنْ لَا تُحِبُّونَ النَّاصِحِينَ﴾ (الأعراف: ٧٧-٧٩).
٣. قال تعالى: ﴿الَّذِينَ كَذَّبُوا شُعْبًا كَانُوا هُمُ الْخَاسِرِينَ فَتَوَلَّى عَنْهُمْ وَقَالَ يَا قَوْمِ لَقَدْ أَبْلَغْتُكُمْ رِسَالَاتِ رَبِّي وَنَصَحْتُ لَكُمْ فَكَيْفَ آسَىٰ عَلَىٰ قَوْمٍ كَافِرِينَ﴾ (الأعراف: ٩٢-٩٣).

محمد المصطفى ﷺ أيضًا أن إرادة الخير هو الدين وهو مصدر امتياز المسلمين من غير المسلمين، وأنّ المنزلة الأعظم يوم القيامة سوف تكون من نصيب الذي يسبق الآخرين في مسيره إلى إرادة الخير للخلق^١.

ب. مساحة إرادة الخير

لا تنحصر إرادة الخير في الأمور المعنوية والدينية والأخروية فقط، وإنّما تشمل جميع شؤون الحياة أيضًا. وأفراد المجتمع يسلكون طرقًا مختلفة، ويكتنون تجارب متنوعة، كما أنّهم يدّخرون معطيات ونتائج متنوعة، ومن هنا يمكن أن يأخذوا على عواتقهم أدوارًا متعدّدة ومتميزة. فهناك شخص سلك مسار الإدارة حتّى أصبح مديرًا ناجحًا، وشخص آخر أقام مزرعة نموذجية، وشخص خاض غمار التعليم والتدريس وحصل على تجارب في التربية والتعليم، وهناك سائق جاب بسيارته عشرات الطرق الصحيحة والخاطئة، وهناك والد يحمل على ظهره سنوات طويلة من التجارب التربوية، وهناك رياضيّ شهد العشرات من مضامير السباق وخرج منها منتصرًا، وهناك عارف ومرشد رصد عشرات المتحّلين وقطّاع الطرق في منعطفات أودية السلوك والعرافان.

وهذه الأمور بأجمعها عبارة عن ثروات وكنوز قيّمة في وجودنا وكيونتنا؛ بمعنى أنّنا قد أنفقنا أعمارنا وفرصتنا المحدودة في الحياة من أجل الحصول عليها. ولا ينبغي

١. محمّدي ري شهري، منتخب ميزان الحكمة، ح ٢٠١٨، و ٢٠١٨١، و ٢٠١٨٥، نقلًا عن: مسعودي،

روابط اجتماعي از نگاه قرآن، ١١٢.

كتمان هذه المعطيات والنتائج القيّمة واحتكارها ودفنها مع أصحابها، بل يجب وضعها تحت تصرّف جميع الأشخاص الذين يستطيعون الاستفادة منها ويحتاجون إليها، وأن تكون مشاعة لجميع الناس أحياناً. لو تمّ إنتاج هذه التجارب والنتائج والمعطيات المعرفيّة والعملية في مجتمع ما وتم العمل بعد ذلك على نشرها، فإن ذلك المجتمع سوف يتقدّم في كلّ يوم خطوة إلى الأمام، ويتخلّص من تكرار الفشل وإعادة تجربة الإخفاقات، ويصل إلى التعالي والازدهار المطلوب دون أن يستهلك المزيد من الوقت والطاقة بشأنها أو أن ينفق الأموال الطائلة عليها^١.

ج. قبول النصيحة

إنّ إرادة الخير والنصح تمثّل أحد وجهي العملة. والوجه الآخر لها هو «قبول النصيحة». فلو أردنا لغاية إرادة الخير أن تتحقّق السعادة العامّة، وأن يحصل النجاح، فيجب العمل على تكميل ذلك من خلال دوران عجلتها بقبول النصيحة. إنّ منفعة إرادة الخير إنّما يكتب لها التحقّق فيما لو حظيت النصيحة بحبّ الآخرين وأدّت إلى الانصياع والتبعية. ومن هنا نجد أنّ النبيّ نوح عليه السلام يشكو من عدم قبول قومه للنصيحة، ويقول على ما حكاه عنه القرآن الكريم: ﴿وَلَا يَنْفَعُكُمْ نُصْحِي إِنْ أَرَدْتُ أَنْ أَنْصَحَ لَكُمْ إِنْ كَانَ اللَّهُ يُرِيدُ أَنْ يُغْوِيَكُمْ هُوَ رَبُّكُمْ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾ (هود: ٣٤). وقد تحدّث الله سبحانه وتعالى عن قصة النبيّ صالح عليه السلام، وما قاله لقومه بعد نزول البلاء عليهم، بقوله: ﴿فَقَرَأُوا النَّافَةَ وَغَتَوْا عَنْ أَمْرِ رَبِّهِمْ وَقَالُوا يَا صَالِحُ آتِنَا

١. مسعودي، روابط اجتماعي از نگاه قرآن، ١١١.

بِمَا تَعِدُّنَا إِنْ كُنْتِ مِنَ الْمُرْسَلِينَ فَأَخَذْتَهُمُ الرَّجْفَةَ فَأَصْبَحُوا فِي دَارِهِمْ جَاثِمِينَ فَتَوَلَّى عَنْهُمْ وَقَالَ يَا قَوْمِ لَقَدْ أَبْلَغْتُكُمْ رَسُولَ رَبِّي وَنَصَحْتُ لَكُمْ وَلَكِنْ لَا تُحِبُّونَ النَّاصِحِينَ ﴿٧٧-٧٩﴾ (الأعراف: ٧٧-٧٩).

إنَّ عاقبة عدم قبول النصيحة هي الزوال والفشل، ومن هنا فقد ورد الأمر في الكثير من الروايات بضرورة الاستماع إلى النصيحة؛ والذي يتقبل النصيحة من الهداة سوف ينال السعادة والفلاح. وقد ذهب هذه الروايات إلى اعتبار النصيحة سبباً في البصيرة وزيادة رؤية الشخص، وأمرت بالعمل على طبقها^١. وقال الإمام زين العابدين (عليه السلام) -على ما ورد في رسالة الحقوق- في هذا الشأن: «وَحَقُّ النَّاصِحِ: أَنْ تُؤَيِّدَ لَهُ جَنَاحَكَ، وَتُصْنِعِي إِلَيْهِ بِسْمِعَكَ، فَإِنْ أَتَى بِالصَّوَابِ حَمَدَتِ اللَّهُ عِزَّ وَجَلَّ، وَإِنْ لَمْ يُوَافِقْ رَحْمَتَهُ، وَلَمْ تَنْهَمْهُ وَعَلِمْتَ أَنَّهُ أَخْطَأَ، وَلَمْ تُؤَاخِذْهُ بِذَلِكَ إِلَّا أَنْ يَكُونَ مُسْتَحَقًّا لِلتَّهْمَةِ، فَلَا تَعْبَأْ بِشَيْءٍ مِنْ أَمْرِهِ عَلَى حَالٍ»^٢. بل وحتى لو بدا كلام الشخص الذي يريد الخير لنا مرّاً وكان يبكي، يبقى جديراً بالطاعة حقاً، وهو بلا شك أفضل من الشخص الذي يتظاهر بمودتنا ويضحكنا، ولكنه يضحك علينا في سرّه بسبب خداعه لنا، وفي هذا الشأن ورد عن الإمام الباقر (عليه السلام)، أنّه قال: «اتَّبِعْ مَنْ يُبْكِيكَ وَهُوَ لَكَ نَاصِحٌ، وَلَا تَتَّبِعْ مَنْ يُضْحِكُكَ وَهُوَ لَكَ غَاشٌّ»^٣. وهناك رواية جميلة في نهج البلاغة تعتبر النصيحة بمنزلة الهدية التي يقدمها الناصح لأخيه؛ تقول: «إِسْمَعُوا النَّصِيحَةَ

١. محمدي ري شهري، ميزان الحكمة، ١٠: ٧.

٢. م. ٢، ن، ح ٢٠٢٠٣.

٣. البرقي، المحاسن، ٢: ٦٠٤، ح ٣٢.

وَمَنْ أَهْدَاهَا إِلَيْكُمْ وَإِعْقِلُوهَا عَلَى أَنْفُسِكُمْ»^١.

١٨. الإصلاح الاجتماعي

أ. الأرضية والمنشأ

يُعدّ الإصلاح واحدًا من بين المسائل المهمّة في السلامة الاجتماعيّة. ويمكن بيان الإصلاح في سياقين، وكلاهما يندرج ضمن السلامة الاجتماعيّة، أحدهما: على مستوى العلاقات بين الأشخاص، والآخر: على مستوى المجتمع والبنى الاجتماعيّة. والذي يرتبط منهما بهذه الدراسة هو الإصلاح على مستوى الأفراد؛ حيث إنّ الإصلاح إنّما يكتسب معناه في حالة ظهور الاختلافات والمشاكل بين الأفراد. وتارة تتعرّض العلاقات بين الأفراد للتعارض والتضاد، حتّى يؤدّي الأمر إلى الاستياء والبغضاء والعداوة وقطع الارتباط وسوء السلوك. وهذا الخلل يحتاج إلى إصلاح، وهذه العلاقة تحتاج إلى ترميم. ومن العوامل والأسباب التي يمكنها تحقيق هذا الأمر المهمّ هو التدخل من قبل الآخرين من أجل إصلاح العلاقات المتضرّرة. وعلى الأقارب والمحيطين بالشخص أن لا يقفوا موقف المتفرّج وعدم المبالاة؛ إذ تقع على عاتقهم مسؤوليّة إصلاح هذا الوضع. وعلى الرغم من أنّ العلاقة المنهارة والمتضرّرة تخالف السلامة الاجتماعيّة، بيد أنّ الإصلاح يُعدّ شاخصًا مهمًّا في السلامة الاجتماعيّة، ويمكنه القضاء على هذا الضرر. كما يُعرف

١. وردت في نهج البلاغة، بصيغة: «وَأَقْبِلُوا النَّصِيحَةَ...». نهج البلاغة، الخطبة رقم: ١٢١. (المعرب).

الإصلاح الاجتماعيّ في الأدبيّات الدينيّة تحت عنوان «إصلاح ذات البين».

«إنّ مصطلح ذات البين المقتبس من الآية الأولى من سورة الأنفال يعني إيجاد الارتباط والوئام والصلح بين الأفراد وتوثيق العلاقات الاجتماعيّة والفرديّة والابتعاد عن النزاعات والخصومات. كما تمّ التعبير عن إصلاح ذات البين بالإصلاح بين الناس أيضًا، وجاءت الإشارة في توضيحه إلى التقريب بين الناس بالمحبّة والحنان. يتمّ وضع مصطلح إصلاح ذات البين في قبال مصطلح إفساد ذات البين؛ بمعنى إيجاد الفرقة والعداء والنفاق بين الناس، والغاية من ذلك هي العمل على إزالة الاختلافات والتقريب بين القلوب والسعي في الحفاظ على هذا الصلح والسلام والقضاء على أسباب التفرقة. وقد ذهب العلّامة الطباطبائيّ في تفسير الميزان إلى أنّ إصلاح ذات البين يعني تحسين الحالة الفاسدة والعلاقة السيئة الحاصلة بين الأشخاص أو الجماعات، والقضاء على سوء العلاقات الحاصلة بينهم. كما تمّ عدّ إصلاح ذات البين من جملة الفضائل الأخلاقيّة؛ حيث تقع في قبال رذيلة الوشاية والنميمة. وقد تمّ التعرّض في الكثير من آيات القرآن الكريم من خلال مفردات، من قبيل: «الإصلاح»، وتأليف القلوب، والسلم، و«الصلح»، والتوفيق (بمعنى تقريب الأفكار وإيجاد الصلح والوفاق بين شخصين)، و«الشفع» إلى موضوع إصلاح ذات البين، وإقامة الصلح والسلام بين الأشخاص. وقد تمّ رصد أكثر الموارد لاستعمال مصطلح «الإصلاح» في القرآن الكريم فيما يتعلّق بعلاقة الإنسان مع الآخرين، وتحسين وتطوير هذه العلاقات المتبادلة. ومن مجموع هذه الآيات تتضح أهميّة الصلح والوفاق بين الناس. وقد عرّف الله سبحانه وتعالى

عن نفسه في الآية رقم (١٠٣) من سورة آل عمران بوصفه المعدّ لأرضية التأليف بين المسلمين وجعلهم إخوة، وعدّ هذا التأليف بين القلوب من النعم الإلهية التي يجب على الإنسان أن يتذكّرها على الدوام. لقد خاطب الله تعالى المؤمنين وغيرهم في أكثر هذه الآيات من خلال الاستفادة من صيغة الأمر؛ الأمر الذي يدلّ على وجوب إقامة الصلح والوئام بين الناس، والابتعاد عن الحروب والنزاعات والخصومات^١.

ب. أهمية الإصلاح

قال الله تعالى في بيان أهمية الإصلاح إنّ كلّ من يقوم بوساطة حسنة، فسوف نعطيه نصيباً منها، وإن كلّ من يقوم بوساطة سيئة سوف نؤتيه نصيباً منها أيضاً: ﴿مَنْ يَشْفَعْ شَفَاعَةً حَسَنَةً يَكُنْ لَهُ نَصِيبٌ مِنْهَا وَمَنْ يَشْفَعْ شَفَاعَةً سَيِّئَةً يَكُنْ لَهُ كِفْلٌ مِنْهَا وَكَانَ اللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ مُّقِيتًا﴾ (النساء: ٨٥). وقال أيضاً: ﴿فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَصْلِحُوا ذَاتَ بَيْنِكُمْ﴾ (الأنفال: ١). وقال أيضاً: ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلِحُوا بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾ (الحجرات: ١٠). وقد ورد التأكيد عن الإمام الصادق عليه السلام على ذلك، حيث قال: «إِذَا دُعِيتَ لِصُلْحٍ بَيْنَ اثْنَيْنِ فَلَا تَقُلْ عَلَيَّ يَمِينٌ أَنْ لَا أَفْعَلَ»^٢. وعن رسول الله ﷺ أنّه قال: «أَلَا أَخْبِرُكُمْ بِأَفْضَلِ مَنْ دَرَجَةِ الصَّيَامِ وَالصَّلَاةِ وَالصَّدَقَةِ؟ إِصْلَاحُ ذَاتِ الْبَيْنِ، فَإِنَّ فُسَادَ ذَاتِ الْبَيْنِ هِيَ الْحَالِقَةُ...»^٣.

1. <https://fa.wikishia.net/view/>.

٢. الكليني، الكافي، ٢: ٢١٠، ح ٦.

٣. المتقي الهندي، كنز العمال، ح ٥٤٨٠.

كما عبّر عن ذلك بوصفه صدقة؛ إذ قال لأبي أيوب الأنصاري: «يا أبا أيوب، ألا خير لك وأدُّلك على صدقةٍ يُحبُّها الله ورسوله؟ تُصلحُ بينَ الناسِ إذا تَفاسَدُوا وتَباعدُوا»^١. إنَّ الإصلاح بين الناس إذا تخاصموا، والتقريب بينهم إذا انفصلوا عن بعضهم، يُعدُّ صدقة يُحبُّها الله سبحانه وتعالى، فقد ورد في الأثر عن الإمام الصادق عليه السلام أنَّه قال: «صدقةٌ يُحبُّها الله: إصلاحُ بينِ النَّاسِ إذا تَفاسَدُوا، وَتَقَارُبُ بَيْنِهِمْ إذا تَباعدُوا»^٢. وقد ورد عن الإمام الصادق عليه السلام أيضًا أنَّه قال للمفضَّل بن عمرو: «إذا رَأَيْتَ بَيْنَ اثْنَيْنِ مِنْ شِيعَتِنَا مُنَازَعَةً، فَافْتَدِهَا مِنْ مَالِي»^٣. يُضاف إلى ذلك أنَّ الكذب في الإصلاح بين الناس جائز أيضًا، فقد ورد في الحديث المأثور عن الإمام الصادق عليه السلام أنَّه قال: «المُصلِحُ لَيْسَ بِكَاذِبٍ»^٤. وعنه عليه السلام أيضًا أنَّه قال: «الْكَلَامُ ثَلَاثَةٌ: صِدْقٌ، وَكَذِبٌ، وَإِصْلَاحٌ بَيْنَ النَّاسِ... تَسْمَعُ مِنَ الرَّجُلِ كَلَامًا يَبْلُغُهُ، فَتُخَبِّثُ نَفْسَهُ، فَتَلْقَاهُ، فَتَقُولُ: سَمِعْتُ مِنْ فُلَانٍ قَالَ فِيكَ مِنَ الْخَيْرِ كَذَا وَكَذَا، خِلَافَ مَا سَمِعْتُ مِنْهُ»^٥. ولا شكَّ -بطبيعة الحال- في أنَّ الإصلاح إنَّما يكون في حدود الأحكام الإلهية، فإن أدَّى الإصلاح إلى تحليل حرام أو تحريم حلال، لم يكن جائزًا، فقد ورد في الأثر عن رسول الله ﷺ أنَّه

١. ورام بن أبي فراس، تنبيه الخواطر ونزهة الناظر المعروف بـ(مجموعة ورام)، ٦: ١.

٢. الكليني، الكافي، ٢: ٢٠٩، ح ١.

٣. م. ن، ٣، ٤.

٤. م. ن، ٢١٠، ح ٥.

٥. م. ن، ٣٤١، ح ١٦.

قال: «الْصُّلْحُ جَائِزٌ بَيْنَ الْمُسْلِمِينَ إِلَّا صُلْحًا أَحَلَّ حَرَامًا أَوْ حَرَّمَ حَلَالًا»^١.

ج. مسؤول الإصلاح

يتولّى النظام الإسلاميّ مهمّة عظيمة في إقامة الصلح والوثام بين الناس، والقضاء على النزاعات والخلافات بينهم، فالدولة الإسلامية مسؤولة -سواء في النزاعات والخلافات الأسريّة أم في الصراعات الكبرى بين الجماعات والطوائف- عن التدخّل والمبادرة إلى توظيف إمكانياتها لتحويل هذه النزاعات والخلافات إلى صلح وسلام. وقد كان من بين الأعمال المهمّة للنبيّ الأكرم ﷺ حلّ الخلافات ورفع النزاعات بين المؤمنين، وكان يعمل على تحويل التشرذم والتفرّق إلى اتحاد، والعداوات إلى صداقات، والبغضاء والشحناء إلى مودّة ورحمة. وقد عمد النبيّ الأكرم ﷺ في المدينة المنوّرة إلى إقامة الصلح بين قبيلتي الأوس والخزرج بعد سنوات طويلة من الاختلاف والعداء. وعلاوة على ذلك فإنّ النبيّ الأكرم كان يذهب بين القبائل، فإن وجد بينهم حرباً ونزاعاً عمد إلى إصلاح الأمور وتسوية الخلافات بينهم:

«كانت هناك عداوة دائمة ومتجدّرة وضاربة في القِدَم بين أبناء عمرو بن عوف وبين أهالي مدينة قباء، وقد توجه النبيّ الأكرم ﷺ إلى مدينة قباء لإحلال الصلح بينهم، حتّى أن النبيّ لم يتمكّن في حينها من أداء الصلاة في أوّل وقتها». كما كان النبيّ ملاذاً للناس حتّى في الخلافات الأسريّة أيضاً، وكان الناس يطلبون منه المساعدة لإقامة الصلح والوفاق بين أفراد الأسرة الواحدة، وكان النبيّ الأكرم ﷺ يصلح

١. الصدوق، من لا يحضره الفقيه، ٣: ٣٢، ح ٣٢٦٧.

ذات بينهم. وفي عصر الإمام عليّ عليه السلام أخذت حاجة المجتمع إلى إصلاح ذات البين ورفع الاختلافات والنزاعات بين الناس تتجلى على نحو أكبر مما كان عليه الوضع على عهد النبي ﷺ ففي الكوفة، حيث مركز الخلافة، تحوّلت هذه العاصمة إلى مدينة لتجمّع مختلف قبائل العرب وغير العرب من الموالي؛ حيث أدّت هذه الظاهرة إلى إحداث أنواع من النزاعات والصراعات الجديدة وتصاعدت حدّة المواجهات والمناوشات، فكان الإمام عليّ عليه السلام يذهب بين الناس ويطلع على مشاكلهم عن كثب. وكان كثيرًا ما يُشاهد الناس عليًّا عليه السلام وهو يتواجد بين الناس حتّى في أشدّ الأوقات حرًّا من الصيف وهو يسعى إلى حلّ أمور الناس وفتقها، ويمنع الجماعات والطوائف والقبائل التي كانت متنازعة، من العودة إلى النزاع مجدّدًا، وكان يجدّ في هذا الشأن بحيث يأخذ على عاتقه تحمّل الكثير من المتاعب والأذى. وكان يسعى - حتّى في خروج طلحة والزبير عليه، وكذلك في الحرب التي شنها عليه معاوية بن أبي سفيان - إلى الحيلولة دون وقوع النزاع، ويستند في ذلك إلى قوله تعالى: ﴿وَإِنْ طَائِفَتَانِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ اقْتَتَلُوا فَأَصْلَحُوا بَيْنَهُمَا﴾ (الحجرات: ٩).

وكان يرى أنّ على الحكومة والدولة أن تضع حدًّا للفتن التي تؤدّي إلى خروج المؤمنين على بعضهم وتفاقم العداوات فيما بينهم، وأن تحوّل دون أن تلقى الاختلافات بظلالها المشؤومة عليهم، وأن تعمل هذه الحكومة على إعادة الهدوء إلى المجتمع، وقد بيّن الإمام عليّ عليه السلام بوضوح أنّ حربه مع معاوية بن أبي سفيان إنّما كانت في إطار القضاء على النفاق وردم الهوّة والشرخ في المجتمع الإسلاميّ. كما أنّ الأئمة الآخرين عليه السلام، وإن تمّ إقصاؤهم عن الموقع الرسميّ في الحكم والدولة،

ولكنهم كانوا في حدود قدرتهم ودائرة نفوذهم يسعون إلى حلّ الاختلافات بين المسلمين، ولا سيما بين أتباع أهل البيت عليه السلام، وكان سعيهم في هذا الإطار منصباً على وضع حدّ للخلافات والنزاعات بين الشيعة، كي لا يضطروا للرجوع إلى حكام الجور. وكان الإمام الصادق عليه السلام قد أمر عدداً من أصحابه بالعمل خصيصاً على رفع النزاعات والاختلافات بين الشيعة^١.

وكان كبار الشخصيات وعلماء الدين يتمتعون بمكانة خاصة بين الناس. وكان الناس ينظرون إليهم بإجلال وإكبار واحترام، وبسبب طهرهم وورعهم واستقامتهم كانوا يحكمون القلوب، وكان لكلامهم ومواعظهم أثر عميق على الناس، حيث كان بمقدورهم العمل بشكل جيّد من أجل بناء مجتمع سليم وإزالة غبار الأحقاد عنه. ومن هنا فإنهم يحملون على عاتقهم مسؤولية ثقيلة، ولا يمكنهم التنصّل من التدخّل في الاختلافات. فقد كان عليهم التدخّل للعثور على جذور الاختلافات، والعمل على معالجتها، وإلا فإنهم سيرتكبون خطيئة لا تغتفر. ففي المرحلة التي لا يكون هناك من وجود للنظام الإسلامي في المجتمع، أو تكون الدولة الإسلامية واقعة بوصفها إحدى طرفي النزاع، ومجموعة من الناس يقفون في الطرف الآخر من هذا النزاع بوصفهم أعداء للدولة الإسلامية، فيجب على الشخصيات الكبيرة أن تتدخّل من أجل إنهاء هذا النزاع، ومن هنا فإنّ الخطاب في قوله تعالى: ﴿وَإِنْ طَائِفَتَانِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ اقْتَتَلُوا فَأَصْلَحُوا بَيْنَهُمَا﴾ (الحجرات: ٩) إنّما يتّجه إلى النخب والشخصيات الكبيرة في المجتمع. ومن هنا نجد أنّ الإمام علي عليه السلام في قضية الناكثين

1. https://jh.isca.ac.ir/artical_1518.html

في البصرة يعاتب كبار الشخصيات من أمثال سعد بن مالك وعبد الله بن عمر، بسبب عدم توظيفهم لمكانتهم الاجتماعية المؤثرة، واختيارهم العزلة والوقوف على الحياد بدلاً من التدخل في الأحداث والحيلولة دون استفحال العدوات ووصول المحادثات إلى طرق مسدودة. وقد ندم سعد بن أبي وقاص لاحقاً بسبب إهماله وعدم تقديره لحجم مسؤوليته في حرب الجمل وصفين، وقال في جواب معاوية إنه نادم على عدم مقاتلة الناكثين والقاسطين [طلحة والزبير وأهل الشام]. كما لام الإمام عليّ عليه السلام الحسن البصريّ بسبب اعتزاله وعدم قيامه بمسؤوليته في قبال هذه الحرب الفظيعة، فاستولى الحياء والخجل على الحسن البصريّ وأخذ يبكي بكاء مرّاً بسبب عدم مقاتلته لدعاة الحرب من المخالفين للإمام عليّ عليه السلام. لقد كان العلماء بوصفهم من خواصّ المجتمع مورداً لثقة الناس منذ البداية، وكان لهم دور ممتاز في إزالة الاختلافات وإحلال الصلح والوفاق بين الناس. والكثير من الاختلافات والنزاعات والمناوشات اللفظية والحروب زالت بفضل الكرامة والموقع الاجتماعيّ للعلماء، وفي الكثير من المراحل التاريخية كان وجود عالم ذي شعبية وتأثير إقليمي قد أغنى بلداً عن وجود محكمة ومدّع عام أو عسس أو شرطة، وحال بنفسه دون وقوع الهرج والمرج. لم يقيم العلماء بهذا الدور الأساسي والجوهريّ بين الناس فقط، وإنما استفادوا من مكانتهم بين الناس والحكام في عصرهم أيضاً، وحالوا دون وقوع الظلم والتشديد على الناس، وأقاموا الصلح والسلام في المجتمع بشكل وآخر. وقد قاموا بهذا الدور على أفضل وجه في الحكومات القرية من الشيعة عندما كان يحتدم الخلاف بينهم وبين جماعات من الناس. وقد كان لأبي أحمد والد السيّد المرتضى مثل

هذه المنزلة في الدولة البويهية، فقد كان في الغالب يؤدي دور السفير بين البويهيين والحمدانيين ويعمل على حل الخلافات بين هاتين الدولتين. وقد كان لأسرة كاشف الغطاء في العراق منزلة كبيرة، وكان يتم حل الخلافات بين الدول الإسلامية على أيدي كبار الشخصيات من هذه الأسرة. وقد كان للشيخ جعفر كاشف الغطاء دور مؤثر في تحسين العلاقات بين الدولة العثمانية وبين الدولة الإيرانية، وكان هو الذي وضع بجهوده المتواصلة حدًا للحرب بين العثمانيين وفتح علي شاه القاجاري. فقد كان العثمانيون ينظرون إليه بإجلال واحترام، ولم يكونوا يرفضون له طلبًا. وكان للميرزا الشيرازي جهود واسعة في الإصلاح بين الشيعة والسنة، وحال بتدبيره ودرايته دون الكثير من الفتن العمياء والنزاعات الماحقة^١. وفي تلك المرحلة كان العلامة الشيخ علي ونجله الشيخ باقر حيدر من علماء النجف قد عملا بنجاح كبير في إصلاح ذات البين وإزالة الأحقاد بين الناس، وكان نشاطهما في إحلال الصلح والسلام بين الجماعات والقضاء على جذور الفتن بين أتباع أهل البيت عليه السلام مشهودًا للقاضي والداني^٢.

١. حدثت في عام ١٣١١ للهجرة فتنة بين أهالي سامراء وجوارها، وإثر تلك الحادثة أخذت كل واحدة من الطوائف من داخل المدينة تستمدّ العون من الخارج، حتى أوشكت دائرة الفتنة على الاتساع شيئًا فشيئًا، بيد أن السيد قد عمل بحنكته ودرايته على وأد هذه الفتنة في مهدها، وأقام الصلح بين مختلف الطوائف المتنازعة.

2. https://jh.isca.ac.ir/artical_1518.html

١٩. الدفع والردع الاجتماعي

أ. الأرضية والمنشأ

لا شكّ في أنّ جميع الأفراد في الحياة الاجتماعيّة مسؤولون عن مصائر الآخرين. والتقدّم والازدهار حقّ يتساوى فيه الجميع، والمصير الإيجابي للفرد والمجتمع رهن بالفعل الحسن والعمل الصالح. كما إنّ الحصول على المجتمع المتقدّم والمتطوّر والأشخاص الكاملين والمتسامين يتوقّف على الأصول والقواعد الإنسانيّة. ولكن توقع التكامل والازدهار من دون السعي إلى تحسين الحياة والحصول على الفضائل الأخلاقيّة والمعنويّة يُعدّ توقّعاً جزافياً واعتباطياً، فقد لا يعثر بعض الأشخاص على الطريق الصحيح أحياناً، أو يكونون مهملين في سلوكهم للقيام بعمل مناسب وصائب. كما أنّ السلوك الخاطئ والفعل الناشز، يؤدّي بالفرد والمجتمع إلى مصير مشؤوم. إنّ ارتكاب هذا النوع من الأمور يؤدّي بالفرد والمجتمع إلى السقوط. وفي هذا الفضاء لن يكون هناك ما يستوجب النجاة والتعالى للفرد والمجتمع سوى قوة رادعة تبعد الفرد والمجتمع عن اقتراف القبائح والسيئات، وتمسّ الحاجة إلى قوّة دافعة كي تعمل على دفع الفرد والمجتمع إلى القيام بأسباب التكامل والتسامي وأصوله. وهذه هي المسؤوليّة الاجتماعيّة للآخرين تجاه الفرد والمجتمع.

ب. الأهميّة والأداء

إن دور كلّ إنسان مسلم في تحديد مصير المجتمع والمسؤوليّة التي يجب أن يحملها تجاه المجتمع تحتمّ عليه أن يكون ناظراً وشاهداً على جميع الأمور التي تحدث من

حوله. وقد تمّ بيان هذا الأمر في الفقه الإسلاميّ تحت عنوان الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، ويُعدّ هذا المفهوم من أهمّ مباني الفكر السياسيّ للإنسان المسلم، كما أنّه من أهمّ الفرائض التي تجب على نحو الكفاية لضمان الإسلام وبقائه. وقد تحدّث الله تعالى في القرآن الكريم في معرض بيان الصفات الممتازة للمؤمنين والمؤمنات، بقوله: ﴿الْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَيُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَيُطِيعُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ﴾ (التوبة: ٧١). بموجب هذه الآية يكون المؤمنون حريصين على مصائر بعضهم، فهم بمنزلة الجسد الواحد. وارتباط المصائر ببعضها يستوجب أن يترك التخلف والانحراف لدى فرد واحد تأثيره على المجتمع بأسره؛ كما أنّ المرض المعدي إذا لم تتمّ معالجته فإنّه سوف ينتقل من الفرد إلى المجتمع ويشكّل خطراً على الصّحة في عموم المجتمع. وقد اعتبر النبيّ الأكرم ﷺ في هذا الشأن أنّ الشخص المنحرف بين الناس مثل ذلك الشخص الجاهل الذي يسافر مع جماعة في سفينة، وعندما تبلغ بهم السفينة عرض البحر، يُخرج إزميلاً ويبدأ بخرق السفينة عند موضع جلوسه، حتّى إذا اعترض عليه شخص، قال له: إنّما أخرج موضععي! لا شكّ في أنّ هذا كلام طائش لا يصدر إلّا عن أحمق. وإذا لم يبادر الآخرون إلى منعه من ذلك، فلن يطول بهم المقام حتّى يغرقون مع السفينة بأجمعهم. إنّ المعروف والمنكر مفهومان متقابلان لغة، وهما في المصطلح عبارة عن الأعمال الصالحة أو القبيحة المعروفة بالنسبة إلى العقل والشرع، ويُسمّيان على التوالي بالمعروف والمنكر. إنّ استعمال لفظي المعروف والمنكر في الأمور الخاصّة بواجبات الدين ومحظوراته، إنّما هو بلحاظ أنّ الفطرة الإنسانيّة الطاهرة تأنّس

بالأمور والأعمال المعروفة، وتنفر من الأمور القبيحة والمنكرة. وعلى هذا الأساس يكون للمعروف والمنكر مساحة واسعة، ولا تقتصر على العبادات ومجموعة من الذنوب الكبيرة فقط. فإن المعروف يشمل الأمور الاعتقادية والأخلاقية والعبادية والحقوقية والاقتصادية والعسكرية والسياسية والثقافية، كما أن المنكر بدوره يشمل المنكر الاعتقادي والعبادي والأخلاقي والاقتصادي والسياسي والعسكري وما إلى ذلك أيضًا، وفي المجموع يمكن التعبير عن المعروف والمنكر بالقيم وأضدادها^١.

٢٠. رعاية الأمانة

أ. المفهوم والمنشأ

من المفاهيم المهمة في السلامة الاجتماعية، مفهوم رعاية الأمانة، فقد يحدث في مسار الحياة أن يتعين على شخص في بعض الموارد أن يحتفظ لشخص بشيء لمدة من الزمن، وهذا الأمر يحتاج إلى الشعور بالأمن. وهنا تتجلى مسألة الأمانة ورعايتها والمحافظة عليها. ومفردة «الأمانة» ضدّ «الخيانة»، وهي مأخوذة من مصدر «الأمن» بمعنى السكينة والطمأنينة القلبية. ووصف الأمين يطلق على الشخص الذي يشعر القلب بالطمأنينة عند إيداع شيء لديه. كما يطلق على الشيء المستأمن عليه مصطلح «الأمانة» أيضًا^٢.

1. <http://daneshnameh.roshd.ir/mavara/>

٢. ابن فارس، معجم مقاييس اللغة، ١: ١٣٣، مادة (أمن)، ١٤٥.

ب. أهمية رعاية الأمانة وضورتها

إن التأمل في النصوص الدينية، يثبت الأهمية الفائقة والكبيرة لحفظ الأمانة ورعايتها في الإسلام؛ بحيث إن هذا الدين المبين يسعى -من خلال الاستناد إلى المشاعر الفطرية والدينية ومن خلال توظيف مختلف الأساليب الإعلامية والدعائية- إلى حث أتباعه وتشجيعهم على رعاية الأمانة. والشخص المسلم مكلف من وجهة نظر الإسلام بمراعاة مختلف أنواع الأمانات -جليها وحقيرها- على كل حال، وأن يحفظ بها ويؤديها إلى أصحابها، ولا يختلف الأمر في ذلك بين أن يكون الذي استأمنه خير أهل الأرض أو أكثرهم سوءاً وشرّاً، بمن فيهم حتى الذي سبق له أن خانها^١.

وقد صرح القرآن الكريم بوجوب إعادة الأمانة إلى أصحابها؛ كما في قوله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تُؤَدُّوا الْأَمَانَاتِ إِلَىٰ أَهْلِهَا وَإِذَا حَكَمْتُمْ بَيْنَ النَّاسِ أَنْ تَحْكُمُوا بِالْعَدْلِ إِنَّ اللَّهَ نِعِمَّا يَعِظُكُمْ بِهِ إِنَّ اللَّهَ كَانَ سَمِيعًا بَصِيرًا﴾ (النساء: ٥٨)، وقوله تعالى: ﴿وَإِنْ كُنْتُمْ عَلَىٰ سَفَرٍ وَلَمْ تَجِدُوا كَاتِبًا فَرِهَانٌ مَّقْبُوضَةٌ فَإِنْ أَمِنَ بَعْضُكُم بَعْضًا فَلْيُؤَدِّ الَّذِي أُؤْتِمِنَ أَمَانَتَهُ وَلْيَتَّقِ اللَّهَ رَبَّهُ﴾ (البقرة: ٢٨٣). كان رسول الله يؤدي مناسك منى في حجة الوداع؛ فتوقف هناك وقال: «... أَلَا وَمَنْ كَانَتْ عِنْدَهُ أَمَانَةٌ فَلْيُؤَدِّهَا إِلَىٰ مَنْ أُئْتِمِنَتْ عَلَيْهَا»^٢. وعندما نزل قوله تعالى: ﴿وَجِيءَ يَوْمَئِذٍ بِجَهَنَّمَ﴾ (الفجر: ٢٣) سئل رسول الله ﷺ عن ذلك؛ فقال:

«أَخْبَرَنِي الرُّوحُ الْأَمِينُ أَنَّ اللَّهَ لَا إِلَهَ غَيْرُهُ، إِذَا وَقَفَ الْخَلَائِقُ وَجَمَعَ الْأَوَّلِينَ وَالْآخِرِينَ،

١. محمدي ري شهري وآخرون، دانش نامه قرآن وحديث، ٧: ٣٢٣ فما بعد.

٢. الكليني، الكافي، ٧: ٢٧٣، ح ١٢؛ الصدوق، من لا يحضره الفقيه، ٤: ٩٢، ح ٥١٥١.

أَتَى بِجَهَنَّمَ... ثُمَّ يُوَضَّعُ عَلَيْهَا صِرَاطٌ أَدْقُ مِنَ الشَّعْرِ، وَأَقْطَعُ مِنَ السَّيْفِ، عَلَيْهِ ثَلَاثُ فَنَاطِرَ: الْأُولَى عَلَيْهَا الْأَمَانَةُ وَالرَّحْمُ، وَالثَّانِيَةُ عَلَيْهَا الصَّلَاةُ، وَالثَّالِثَةُ عَلَيْهَا رَبُّ الْعَالَمِينَ لَا إِلَهَ غَيْرُهُ، فَيُكَلِّفُونَ الْمَمَرَ عَلَيْهَا، فَتَحْبِسُهُمُ الْأَمَانَةُ وَالرَّحْمُ، فَإِنْ نَجَوْا مِنْهَا حَبَسَتْهُمْ الصَّلَاةُ، فَإِنْ نَجَوْا مِنْهَا كَانَ الْمُنْتَهَى إِلَى رَبِّ الْعَالَمِينَ جَلَّ ذِكْرُهُ^١.

كما أن المصادر الدينية تعتبر رعاية الأمانة ضرورة اجتماعية، فمن دون رعاية الأمانة تنهار أسس المجتمع وتفكك أو اصره. إن رعاية الأمانة تؤدي إلى تماسك المجتمع وتناغمه وانسجامه، وتجعل الحياة الاجتماعية أمراً ممكناً. يقول محمد بن علي الحلبي: «اسْتَوْدَعَنِي رَجُلٌ مِنْ مَوَالِي بَنِي مَرْوَانَ أَلْفَ دِينَارٍ، فَغَابَ وَلَمْ أَدْرِ مَا أَصْنَعُ بِالْذَّنَائِرِ، فَأَتَيْتُ أَبَا عَبْدِ اللَّهِ عليه السلام فَذَكَرْتُ ذَلِكَ لَهُ وَقُلْتُ: أَنْتَ أَحَقُّ بِهَا فَقَالَ: لَا إِنْ أَبِي عليه السلام كَانَ يَقُولُ: إِنَّمَا نَحْنُ فِيهِمْ بِمَنْزِلَةِ هُدْنَةٍ؛ نُؤَدِّي أَمَانَاتِهِمْ وَنُرُدُّ ضَالَّتَهُمْ وَنُقِيمُ الشَّهَادَةَ لَهُمْ وَعَلَيْهِمْ، فَإِذَا تَفَرَّقَتِ الْأَهْوَاءُ لَمْ يَسَعِ أَحَدٌ الْمَقَامَ»^٢.

إن النقطة الأخرى التي تبين ضرورة رعاية الأمانة، هي «أمان الله»، والاستئمان يعني وضع الشيء في أمان الله وحفظه عند الآخرين. وفي الحقيقة فإن الثقافة الإسلامية تعتبر أن صاحب الأمانة هو الله، وبذلك فإن خيانة الأمانة تعني الخيانة في حق الله سبحانه وتعالى. يقول محمد بن القاسم: «سَأَلْتُ أَبَا الْحَسَنِ مُوسَى عليه السلام عَنْ رَجُلٍ اسْتَوْدَعَ رَجُلًا مَالًا لَهُ قِيَمَةٌ وَالرَّجُلُ الَّذِي عَلَيْهِ الْمَالُ رَجُلٌ مِنَ الْعَرَبِ يَقْدِرُ عَلَى

١. الصدوق، الأمالي، ٢٤١، ح ٢٥٦؛ الكليني، الكافي، ٣١٢، ح ٤٨٦.

٢. الطوسي، تهذيب الأحكام، ٦: ٣٥٠، ح ٩٨٩.

أَنْ لَا يُعْطِيَهُ شَيْئًا وَلَا يَقْدِرُ لَهُ عَلَى شَيْءٍ وَالرَّجُلُ الَّذِي اسْتَوْدَعَهُ حَيْثُ خَارِجِي فَلَمْ أَدَعْ شَيْئًا فَقَالَ لِي ﷺ : قُلْ لَهُ يَزِدُّ مَالَهُ عَلَيْهِ فَإِنَّهُ اسْتَمَنَ عَلَيْهِ بِأَمَانَةِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ^١. وعلى هذا الأساس هناك شيئان يستوجبان رعاية الأمانة، وهما: الضرورة الاجتماعية، والضرورة الإلهية.

ج. مساحة رعاية الأمانة

تحتاج رعاية الأمانة إلى بحث من حيث مساحتها، وهذه المساحة قابلة للبحث من ناحية المستأمن، ومن ناحية المال المستأمن عليه. والسؤال هو: هل يختلف أمر الأمانة فيما إذا كانت ملكًا لشخص طالح أو صالح، أو إذا كان شخصًا أسود أو أبيض، أو كان شخصًا خائنًا أو أمينًا؟ وهل يختلف الأمر فيما لو كان المال المستأمن عليه قليلًا أو كثيرًا أو كان وسيلة قتل؟ لا نجد في النصوص الدينية أي حدٍّ للأمانة أبدًا. فقد ورد عن سعيد بن جبير، أنه قال: «لَمَّا نَزَلَتْ ﴿وَمِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ مَنْ إِنْ تَأْمَنَهُ بِقِنطَارٍ يُؤَدِّهِ إِلَيْكَ وَمِنْهُمْ مَنْ إِنْ تَأْمَنَهُ بِدِينَارٍ لَا يُؤَدِّهِ إِلَيْكَ إِلَّا مَا دُمْتَ عَلَيْهِ قَائِمًا﴾ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوا لَيْسَ عَلَيْنَا فِي الْأُمِّيِّينَ سَبِيلٌ» (آل عمران: ٧٥)، قَالَ النَّبِيُّ ﷺ : «كَذَبَ أَعْدَاءُ اللَّهِ مَا مِنْ شَيْءٍ كَانَ فِي الْجَاهِلِيَّةِ إِلَّا وَهُوَ تَحْتَ قَدَمِي، إِلَّا الْأَمَانَةَ فَإِنَّهَا مُؤَدَّاةٌ إِلَيَّ الْبَرِّ وَالْفَاجِرِ»^٢.

وقال الإمام عليّ ﷺ في جملة وصاياه ونصائحه لكميل بن زياد: «يَا كَمِيلُ إِفْهَمْ

١. الكليني، الكافي، ٥: ١٣٣، ح ٨؛ الطوسي، تهذيب الأحكام، ٦: ٣٥١، ح ٩٩٦، وص ١٨١، ح ٧٩٥.

٢. الطبري، جامع البيان في تفسير القرآن، ٣: ٣١٨.

وَأَعْلَمَ أَنَّا لَا نُرْخِّصُ فِي تَرْكِ أَدَاءِ الْأَمَانَاتِ لِأَحَدٍ مِنَ الْخَلْقِ، فَمَنْ رَوَى عَنِّي فِي ذَلِكَ رُخْصَةً فَقَدْ أَبْطَلَ وَأَثِمَ وَجَزَاؤُهُ النَّارُ بِمَا كَذَّبَ، أَقْسِمُ لَسَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ يَقُولُ لِي قَبْلَ وَفَاتِهِ بِسَاعَةٍ مَرَارًا ثَلَاثًا: يَا أَبَا الْحَسَنِ أَدِّ الْأَمَانَةَ إِلَى الْبَرِّ وَالْفَاجِرِ فِيمَا قَلَّ وَجَلَّ حَتَّى فِي الْخَيْطِ وَالْمَخِيطِ^١. وقال الإمام الصادق عليه السلام: «أَدُّوا الْأَمَانَةَ إِلَى مَنْ أَنْتَمَنْكُمْ عَلَيْهَا، بَرًّا أَوْ فَاجِرًا، فَإِنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ كَانَ يَأْمُرُ بِأَدَاءِ الْخَيْطِ، وَالْمَخِيطِ»^٢. وعن ابن أخي الفضيل بن يسار، قال: «كُنْتُ عِنْدَ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ عليه السلام، وَدَخَلَتْ امْرَأَةٌ وَكُنْتُ أَقْرَبَ الْقَوْمِ إِلَيْهَا فَقَالَتْ لِي إِسْأَلُهُ فَقُلْتُ عَمَّا ذَا فَقَالَتْ إِنَّ ابْنِي مَاتَ وَتَرَكَ مَالًا كَانَ فِي يَدِ أَخِي فَأَتْلَفَهُ ثُمَّ أَفَادَ مَالًا فَأَوْدَعَنِيهِ فَلِي أَنْ أَخْذُهُ مِنْهُ بِقَدْرِ مَا أَتْلَفَ مِنْ شَيْءٍ فَأَخْبَرْتُهُ بِذَلِكَ فَقَالَ عليه السلام: لَا، قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: أَدِّ الْأَمَانَةَ إِلَى مَنْ إِنْتَمَنَكَ وَلَا تَخُنْ مَنْ خَانَكَ»^٣. وعن الإمام الباقر عليه السلام قال: «ثَلَاثٌ لَمْ يَجْعَلِ اللَّهُ لِأَحَدٍ فِيهِنَّ رُخْصَةً: أَدَاءُ الْأَمَانَةِ إِلَى الْبَرِّ وَالْفَاجِرِ، وَالْوَفَاءُ بِالْعَهْدِ لِلْبَرِّ وَالْفَاجِرِ، وَبِرُّ الْوَالِدَيْنِ بَرَّيْنِ كَانَا أَوْ فَاجِرَيْنِ»^٤. وعن الإمام الصادق عليه السلام أَنَّهُ قَالَ: «إِنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ لَمْ يَبْعَثْ نَبِيًّا إِلَّا بِصِدْقِ الْحَدِيثِ وَأَدَاءِ الْأَمَانَةِ إِلَى الْبَرِّ وَالْفَاجِرِ»^٥. وعن الإمام الصادق عليه السلام، أَنَّهُ قَالَ: «فَاتَّقُوا

١. ابن شعبة الحَرَّاقِي، تحف العقول، ١٧٥؛ الطبري الأملِي، بشارة المصطفى لشيعته المرتضى، ٢٩.

٢. الكليني، الكافي، ٢: ٦٣٦، ح ٥.

٣. الطوسي، تهذيب الأحكام، ٦: ٣٤٨، ح ٩٨١.

٤. الكليني، الكافي، ٢: ١٦٢، ح ١٥.

٥. م. ٥، ن. ٢: ١٠٤، ح ١.

الله، وَأَدُّوا الْأَمَانَاتِ إِلَى الْأَسْوَدِ وَالْأَبْيَضِ، وَإِنْ كَانَ حَرُورِيًّا، وَإِنْ كَانَ شَامِيًّا»^١.
وقد أكد الإمام علي عليه السلام على ردّ الأمانة إلى قاتل الأنبياء، وأبناء الأنبياء، فقد ورد في الحديث عنه عليه السلام أنه قال: «أَدُّوا الْأَمَانَاتِ وَلَوْ إِلَى قَتْلَةِ الْأَنْبِيَاءِ»^٢، وقال عليه السلام: «أَدُّوا الْأَمَانَاتِ وَلَوْ إِلَى قَاتِلِ وَلَدِ الْأَنْبِيَاءِ»^٣. وقد صرح الإمام الصادق عليه السلام قائلاً: «لَوْ أَنَّ قَاتِلَ عَلِيٍّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ عَلَيْهِ السَّلَامُ ائْتَمَنَنِي عَلَى أَمَانَةٍ لَأَدَّيْتُهَا إِلَيْهِ»^٤. وعن عبد الله بن سنان قال: «دَخَلْتُ عَلَى أَبِي عَبْدِ اللَّهِ عَلَيْهِ السَّلَامُ وَقَدْ صَلَّى الْعَصْرَ - وَهُوَ جَالِسٌ مُسْتَقْبِلَ الْقِبْلَةِ فِي الْمَسْجِدِ - فَقُلْتُ: يَا ابْنَ رَسُولِ اللَّهِ، إِنَّ بَعْضَ السَّلَاطِينِ يَأْمِنُنَا عَلَى الْأَمْوَالِ يَسْتَوْدِعُونَاهَا وَلَيْسَ يَذْفَعُ إِلَيْكُمْ خُمْسَكُمْ أَفَنُؤَدِّيهِمَا إِلَيْهِمْ؟ فَقَالَ: وَرَبِّ هَذِهِ الْقِبْلَةِ (ثَلَاثَ مَرَّاتٍ) لَوْ أَنَّ ابْنَ مُلْجَمٍ قَاتِلَ أَبِي فَنَانِي أَطْلُبُهُ يَتَسَتَّرُ لِأَنَّهُ قَتَلَ أَبِي ائْتَمَنَنِي عَلَى أَمَانَةٍ لَأَدَّيْتُهَا إِلَيْهِ»^٥. وقال الإمام زين العابدين عليه السلام، في وصيته لشييعته: «عَلَيْكُمْ بِأَدَاءِ الْأَمَانَةِ فَوَ الَّذِي بَعَثَ مُحَمَّدًا بِالْحَقِّ نَبِيًّا لَوْ أَنَّ قَاتِلَ أَبِي الْحُسَيْنِ بْنِ عَلِيٍّ عَلَيْهِ السَّلَامُ ائْتَمَنَنِي عَلَى السَّيْفِ الَّذِي قَتَلَهُ بِهِ لَأَدَّيْتُهُ إِلَيْهِ»^٦.

يتّضح من مجموع ما سبق أنّه لا شيء على الإطلاق - بما في ذلك لون البشرة

١. م. ن، ٧: ٢٣٦، ح ٣١٦.

٢. ابن شعبة الحرّاني، تحف العقول، ١٠٤.

٣. الكليني، الكافي، ٥: ١٣٣، ح ٣.

٤. م. ن، ٥: ١٣٣، ح ٤؛ الطوسي، تهذيب الأحكام، ٦: ٣٥١، ح ٩٩٥.

٥. الطبرسي، مشكاة الأنوار في غرر الأخبار، ١٠٧، ح ٢٤٣، وص ١٧٤، ح ٤٤٧.

٦. الصدوق، الأمالي، ٣١٩، ح ٣٧٤.

والعرق والدين والإيمان والكفر، وقلة المال أو كثرته، أو كان الذي يأتمنك برًا أو فاجرًا - يحول دون رعاية الأمانة وأدائها إلى أصحابها.

د. المجالس بالأمانات

ومن المصاديق المهمة لأداء الأمانة ما يحدث في المجالس، وهي التي يتم الحديث عنها في المصطلح المعروف في الروايات الإسلامية بـ«المجالس بالأمانة». ففي ضوء هذه القاعدة لو ضمّ مجلس شخصين وأخذوا يتجادبان أطراف الحديث، كان ما يدور بينهما من الكلام أمانة بينهما، ويكون إفشاؤه خيانة.

فقد ورد في الحديث المأثور عن رسول الله ﷺ أنّه قال: «الْمَجَالِسُ بِالْأَمَانَةِ وَإِنَّمَا يَتَجَالَسُ الرَّجُلَانِ بِأَمَانَةِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ فَإِذَا افْتَرَقَا فَلْيَسْتَرْكُلْ وَاحِدٌ مِنْهُمَا حَدِيثَ صَاحِبِهِ»^١. وعنه ﷺ أيضًا، أنّه قال: «الْمَجَالِسُ بِالْأَمَانَةِ، وَلَا يَحِلُّ لِمُؤْمِنٍ أَنْ يَأْثُرَ عَنْ مُؤْمِنٍ - أَوْ قَالَ: عَنْ أَخِيهِ الْمُؤْمِنِ - قِيحًا»^٢.

وفي رواية أخرى عن رسول الله ﷺ في معرض الحديث عن أنّ المجالس أمانات، قال لأبي ذر: «يَا أَبَا ذَرٍّ، الْمَجَالِسُ بِالْأَمَانَةِ، وَإِفْشَاءُ سِرِّ أَخِيكَ خِيَانَةٌ، فَاجْتَنِبْ ذَلِكَ»^٣. المجالس أنواع كثيرة، وكلّ شخص يحضر طوال حياته في مجالس متنوعة وكثيرة. والسؤال هو: أيّ أنواع هذه المجالس أمانة؟ من الواضح بدهاه أن هذا الحديث لا يشمل جميع هذه المجالس، وقد اشتملت هذه الأخبار بنفسها على قيود يمكن

١. ابن عبد البر، أدب المجالسة، ٣٠.

٢. الطوسي، الأمالي، ٥٧٢.

٣. الطبرسي، مكارم الأخلاق، ٤٧٠.

اعتبارها معايير وملاكات لتحديد المجالس التي تعدّ أمانة. فقد ورد في بعض الروايات التعبير بـ«الكتان»، وجاء فيها لو أنّ شخصاً تكلم بكلام يكتمه، فلا يجوز نقله إلى الآخرين من دون إذنه: عَنْ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ عليه السلام، قَالَ «الْمَجَالِسُ بِالأَمَانَةِ، وَلَيْسَ لِأَحَدٍ أَنْ يُحَدِّثَ بِحَدِيثٍ يَكْتُمُهُ صَاحِبُهُ إِلَّا بِإِذْنِهِ، إِلَّا أَنْ يَكُونَ فَقْهًا أَوْ ذِكْرًا لَهُ بِخَيْرٍ»^١. وَعَنْ رَسُولِ اللَّهِ صلى الله عليه وآله وسلم «أَلَا وَمِنَ الأَمَانَةِ، أَلَا وَمِنَ الْخِيَانَةِ، أَنْ يُحَدِّثَ الرَّجُلُ أَخَاهُ بِالحَدِيثِ فيَقُولُ: اكْتُم عَنِّي، فيُفْشِيهِ»^٢.

وقد ورد في بعض الروايات عبارة «ثم التفت»: «إِذَا حَدَّثَ الرَّجُلُ الحَدِيثَ ثُمَّ التَفَتَ فَهِيَ أَمَانَةٌ»^٣. وعليه فقد استفيد من ذلك كيفية معرفة كون الكلام أو الفعل في مجلس أمانة. فعندما يتحدث شخص في مجلس إلى شخص آخر، ويتلفت أثناء كلامه يميناً وشمالاً حذراً من أن يسمعه أحد، فإنّ هذا الأمر يدلّ على أنّه يعتبره سراً وأمانة. «إنّ الالتفات إلى اليمين والشمال» يعني «اكتم كلامي ولا تنقله لهذا أو ذاك»: «إِذَا حَدَّثَ الْإِنْسَانُ حَدِيثًا، وَالمُحَدِّثُ يَلْتَفِتُ حَوْلَهُ، فَهُوَ أَمَانَةٌ»^٤.

وجاء في رواية أخرى قيد «صاحبه ما يكره»: «إِنَّمَا يُجَالِسُ الْمُتَجَالِسُونَ بِأَمَانَةِ اللَّهِ، فَلَا يَجِلُّ لِأَحَدِهِمَا أَنْ يُفْشِيَ عَنْ صَاحِبِهِ مَا يَكْرَهُ»^٥، و«مَنْ سَمِعَ مِنْ رَجُلٍ حَدِيثًا،

١. الكليني، الكافي، ٤: ٧٣٨، ح ٣.

٢. موسوعة معارف الكتاب والسنة، ٥: ٦٣. دارالحديث، ١٤٣٢ ق.

٣. محمّدي ري شهري وآخرون، دانش نامه قرآن وحديث، ٤: ٤١٦، ح ١٦٦.

٤. م. ن، ح ١٦٧.

٥. الصنعاني، المصنف، ١١: ٢٢، ح ١٩٧٩١.

لَا يَشْتَهِي أَنْ يُذَكَّرَ عَنْهُ، فَهُوَ أَمَانَةٌ، وَإِنْ لَمْ يَسْتَكْتِمْهُ^١، الأمر الذي يثبت أن ذلك المجلس يُعدّ أمانة، وأنّ الحاضر فيه لا يرضى بإفشاء كلامه. وعلى كلّ حال ينبغي لسامع الكلام والذي يرى الفعل في مجلس أن يسأل صاحبه ما إذا كان يوافق على نقل كلامه أو فعله أم لا.

«يتّضح من مجموع الروايات والقيود المذكورة فيها أنّ المجلس إنّما يكون أمانة إذا اشتمل على قرائن تدلّ على كونه أمانة. فإنّ المجالس التي يتم فيها تجاذب أطراف الحديث حول عرض المسلم وسمعته أو الأخبار التي يتم تبادلها ويضّر نقلها بخصوصيّة الأشخاص أو تضرّ بالصالح العامّ، تعدّ مجالس أمانة ويجب كتمانها. ولا يخفى أن ملاك أمانة المجلس يشمل الكلام الذي يدور بين شخصين خارج المجلس أيضًا، كما قد ورد التصريح بأنّ أيّ نوع من الأخبار الشخصية التي يذكرها شخص ويقتصر في نقلها إلى شخص آخر ولم تظهر إلى العلن، تكون مشمولة لهذا الحكم أيضًا؛ من قبيل: المكالمات الهاتفية، والرسائل. وبالتالي فإنّه يمكن الوصول من مجموع القیود المذكورة في الروايات -والتي تشكّل دليلاً قبيّاً- إلى أنّ المراد من «المجالس» هي ذلك النوع من المجالس التي يتمّ فيها إثارة كلمات لا تقبل النشر لغير أهل ذلك المجلس، وتشتمل على قرائن. ولا موضوعيّة لاستعمال «المجلس» في هذه الروايات، وليس المراد هو خصوص الموضوع الذي تجلس فيه وتتجاذب أطراف الحديث مع الآخرين، كما روي عن رسول الله ﷺ: إنّ كلّ ما يسمعه

رجل من شخص ولا يرضى بنشره»^١.

يتّضح ممّا تقدّم أنّ بعض الأمور التي يتمّ تداولها في المجالس تتحوّل إلى «أسرار»، وكلّ ما يتحوّل إلى سرّ يُعدّ أمانة. وهنا يأتي طرح موضوع «الكتمان» وحفظ الأسرار. حيث إنّ حفظ السرّ يتحوّل إلى نوعين، وهما: السرّ الفرديّ، والسرّ الاجتماعيّ. فتارة يكون للإنسان سرّ شخصيّ فيجب كتمانها، وتارة يتحوّل شيء إلى سرّ اجتماعيّ، حيث يكون للآخرين تدخّل فيه أيضًا. إنّ السرّ من النوع الثاني يقع موضوعًا للسلامة الاجتماعية، وهو ما يتمّ التعرّض إلى بحثه وتناوله تحت عنوان «المجالس بالأمانة». وقد لحق بمذهب التشيع وأئمّته أضرار بالغة بسبب التقصير في رعاية هذا الأمر، فقد كانت بعض الأمور من أسرار التشيع، وكان هناك من قصّر في كتمان هذه الأسرار، وبالتالي فإنّهم قد تسبّبوا بخسائر وأضرار بالآخرين لا يمكن تداركها.

قال الإمام الصادق عليه السلام: «أُمِرَ النَّاسُ بِخَصْلَتَيْنِ، فَضَيَعُوهُمَا، فَصَارُوا مِنْهُمَا عَلَى غَيْرِ شَيْءٍ: الصَّبْرَ، وَالْكِتْمَانَ»^٢.

وعنه عليه السلام أيضًا أنه قال: «كِتْمَانُ سِرِّنا جِهَادٌ فِي سَبِيلِ اللَّهِ»^٣. وعنه عليه السلام أيضًا أنّه قال: «إِنَّ أَمْرَنَا مَسْتُورٌ مُقْتَعٌ بِالْمِيثَاقِ، فَمَنْ هَتَكَ عَلَيْنَا أَذْلَهُ اللَّهُ»^٤.

١. مرادي، «نگاهی به حدیث المجالس بالأمانة»، ٣-٢٧.

٢. الكليني، الكافي، ٢: ٢٢٢، ح ٢.

٣. المجلسي، بحار الأنوار، ٧٥: ٧٠، ح ٧.

٤. الكليني، الكافي، ٢: ٢٢٦، ح ١٥.

وعنه عليه السلام أيضاً أنه قال لسليمان بن خالد: «يَا سُلَيْمَانُ، إِنَّكُمْ عَلَى دِينٍ مَن كُتِمَهُ أَعَزَّهُ اللَّهُ، وَمَنْ أَذَاعَهُ أَذَلَّهُ اللَّهُ»^١.

وعنه عليه السلام أيضاً أنه قال: «لَيْسَ هَذَا الْأَمْرُ مَعْرِفَتُهُ وَلَا يَتُهُ فَقَطْ حَتَّى تَسْتُرَهُ عَمَّنْ لَيْسَ مِنْ أَهْلِهِ وَبِحَسْبِكُمْ أَنْ تَقُولُوا مَا قُلْنَا وَتَصْمُتُوا عَمَّا صَمَتْنَا»^٢. وعنه عليه السلام أيضاً أنه قال: «مَنْ أَذَاعَ عَلَيْنَا حَدِيثَنَا فَهُوَ بِمَنْزِلَةِ مَنْ جَحَدَنَا حَقًّا»^٣. وعنه عليه السلام أيضاً أنه قال: «مَنْ أَذَاعَ عَلَيْنَا حَدِيثَنَا سَلَبَهُ اللَّهُ الْإِيمَانَ»^٤. وعنه عليه السلام قال: «مَا قَتَلْنَا مَنْ أَذَاعَ حَدِيثَنَا قَتَلَ خَطِئًا وَلَكِنْ قَتَلْنَا عَمْدًا»^٥.

وقد ورد في الأثر عن الإمام محمد الباقر عليه السلام أنه قال: «يُحْشَرُ الْعَبْدُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَمَا نَدِي دَمًا فَيُذْفَعُ إِلَيْهِ شِبْهُ الْمَحْجَمَةِ أَوْ فَوْقَ ذَلِكَ فَيَقَالُ لَهُ هَذَا سَهْمُكَ مِنْ دَمِ فُلَانٍ فَيَقُولُ يَا رَبِّ إِنَّكَ لَتَعْلَمُ أَنَّكَ قَبَضْتَنِي وَمَا سَفَكْتُ دَمًا فَيَقُولُ بَلَى سَمِعْتَ مِنْ فُلَانٍ رِوَايَةَ كَذَا وَكَذَا فَرَوَيْتَهَا عَلَيْهِ فَنُقِلَتْ حَتَّى صَارَتْ إِلَى فُلَانٍ الْجَبَّارِ فَقَتَلَهُ عَلَيْهَا وَهَذَا سَهْمُكَ مِنْ دَمِهِ»^٦. وهذا كله يدل على أن من بين ضرورات السلامة الاجتماعية كتمان الأسرار التي يمكنها أن تلحق ضرراً وتشكل خطراً على الأرواح والأموال والدين. وعلى هذا

١. م. ن، ٢٢٢، ح. ٣.

٢. المجلسي، بحار الأنوار، ٢: ٧٧، ح. ٦٣.

٣. الكليني، الكافي، ٢: ٣٧٠، ح. ٢.

٤. م. ن، ح. ٣.

٥. م. ن، ح. ٤.

٦. م. ن، ٢: ٣٧٠، ح. ٥.

الأساس يمكن اعتبار هذا الأمر واحداً من مفاهيم السلامة الاجتماعية أيضاً.

٢١. الصدق الاجتماعي

أ. ماهية الصدق

الصدق في الأصل يعني الاستقامة والاستحكام، ويستعمل في الأمور الراسخة والمستحكمة، وقد ذهب كلٌّ من الخليل بن أحمد الفراهيدي^١، وابن دريد^٢، والصاحب بن عباد^٣، والجوهري^٤، إلى القول بأنَّ الصدق ضدُّ الكذب، واعتقدوا أنَّ الصدق يأتي بمعنى «الكامل من كلِّ شيء»، أو «المستقيم والثابت من كلِّ شيء»، واعتبروا الصديق من هذه المادّة. وقال بعضهم باستعمال هذه المفردة لبيان استقامة الرمح وصلابته واستحكامه أيضًا. وقد ذهب ابن فارس إلى القول إنَّ المعنى الأصليّ لهذه الكلمة في قوّة الشيء، ورأى أنَّ استعماله في «الشيء الصدق» بمعنى الأمر المحكم والراسخ، وفي «الرمح الصدق» بمعنى الرمح المحكم. وقال: «الصدق: خلاف الكذب، سُمِّيَ لقوّته في نفسه، ولأنَّ الكذبَ لا قوّة له، هو باطل. وأصل هذا من قولهم شيء صدق، أي صُلِب. ورُمح صدق. ويقال صدقوهم القتال، وفي خلاف ذلك كذبوهم. والصديق: الملازم للصدق. والصّدّاق: صدّاق المرأة، سُمِّيَ بذلك لقوّته وأَنَّهُ حقٌّ يلزم»^٥. وعلى هذا الأساس، فإنَّ الصدق الذي

١. الفراهيديّ، كتاب العين، ٥: ٥٦.

٢. ابن دريد، جوهرة اللغة، ٢: ٥٦٥.

٣. الصاحب، المحيط في اللغة، ٥: ٢٥٧.

٤. الجوهريّ، الصحاح، ٤: ١٥٠٦.

٥. ابن فارس، معجم مقاييس اللغة، ٣: ٣٣٩.

يعني القوة والاستحكام والرسوخ والكمال التام من خصائص الأمر الحق. وقد تمّ ذكر معان مختلفة له في التعريف الاصطلاحي. واشترط الراغب الإصفهاني شرطين في معنى الصدق، وهما: مطابقة الكلام مع الذات والداخل، وتطابقه مع الواقع^١. وقد أخذ الجرجاني تطابق الحكم مع الواقع بوصفه التعريف الأصلي والمقبول لمفردة الصدق^٢. وهناك من ذكر التساوي والتطابق في السر والعلن (بحيث لا تختلف أعماله وأحواله عن بعضها) بوصفه تعريفاً للصدق أيضاً^٣. وقد أشار القشيري إلى المصاديق وقال [ما معناه]: «الصدق يعني أن لا ترى في أحوال الفرد شائبة، ولا شكّ في عقيدته، ولا عيب في أعماله»^٤. وقد ذهب ابن قيم الجوزية بدوره إلى تقسيم الصدق إلى ثلاثة أنواع: الصدق في القول، والصدق في العمل، والصدق في الحال، وقال في تعريف كلّ واحد من هذه الأمور الثلاثة: إنّ الصدق في القول هو الصدق الذي يقوم على الكلام واللسان، والصدق في العمل هو الصدق الذي يقوم على الأمر الإلهي والتبعية له، والصدق الحاليّ يعني إخلاص القلب والجوارح، واستعمال جميع القوى. ثمّ قال إنّ جذور هذه الأمور كلّها هو الحقّ الثابت الذي يتّصل بالله ويربط الإنسان بخالقه^٥. وكما هو واضح، فإنّنا نرى في هذه

١. الراغب الإصفهاني، مفردات ألفاظ القرآن، ٢٧٧.

٢. الجرجاني، التعريفات، ١٣٢.

٣. البكري، دليل الفالحين لطرق رياض الصالحين، ١: ٢٠٢.

٤. الماوردي البصري، أدب الدنيا والدين.

٥. ابن قيم الجوزية، مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين، ٢: ٢٨١.

التعريفات نوعاً من التناغم والانسجام مع الواقعية في مختلف أقسامها. وعليه يمكن في ضوء ذلك تفسير الصدق الاجتماعي وبيان معناه، فالصدق الاجتماعي يعني أنّ يكون للمؤمن صبغة واحدة في تعامله مع أفراد المجتمع في الحضور والغياب، لا أن يكون في ظاهره حسن السمات والأخلاق، ويعمل في الخفاء باغتيالهم وأتھامهم. ومن هنا يرد في أدبيات الدين تسمية العلاقة الممزوجة بالصدق بـ«الصدّاقة»، وهذا يعني أن الدين يؤيد العلاقات القائمة على الصدق، فقد ورد في الحديث المأثور عن الإمام الصادق عليه السلام أنّه قال في هذا الشأن: «لَا تَكُونُ الصَّدَاقَةُ إِلَّا بِحُدُودِهَا؛ فَمَنْ كَانَتْ فِيهِ هَذِهِ الْحُدُودُ أَوْ شَيْءٌ مِنْهَا، فَانْسُبْهُ إِلَى الصَّدَاقَةِ؛ وَمَنْ لَمْ يَكُنْ فِيهِ شَيْءٌ مِنْهَا، فَلَا تَنْسُبْهُ إِلَى شَيْءٍ مِنَ الصَّدَاقَةِ؛ فَأُولَٰئِكَ: أَنْ تَكُونَ سَرِيرَتُهُ وَعَلَانِيَتُهُ لَكَ وَاحِدَةً؛ وَالثَّانِيَةُ: أَنْ يَرَى زَيْنَكَ زَيْنَهُ، وَشَيْنَكَ شَيْنَهُ؛ وَالثَّالِثَةُ: أَنْ لَا تَغْيِرَ عَلَيْكَ وَلَايَةً وَلَا مَالًا؛ وَالرَّابِعَةُ: أَنْ لَا يَمْنَعَكَ شَيْئاً تَنَالَهُ مَقْدَرَتُهُ؛ وَالْخَامِسَةُ - وَهِيَ تَجَمُّعُ هَذِهِ الْخِصَالِ -: أَنْ لَا يَسْلَمَكَ عِنْدَ النَّكَبَاتِ»^١.

وفي المقابل هناك النفاق والذي يتّصف صاحبه بأنّه ذو الوجهين. قال الله تبارك وتعالى لعيسى بن مريم عليه السلام: «يَا عِيسَى لِيَكُنْ لِسَانُكَ فِي السِّرِّ وَالْعَلَانِيَةِ لِسَانًا وَاحِدًا وَكَذَلِكَ قَلْبُكَ إِنِّي أَحْذَرُكَ نَفْسَكَ وَكَفَى بِي خَبِيرًا لَا يَصْلُحُ لِسَانَانِ فِي فَمٍ وَاحِدٍ وَلَا سَيْفَانِ فِي غَمْدٍ وَاحِدٍ وَلَا قَلْبَانِ فِي صَدْرٍ وَاحِدٍ»^٢. وعن الإمام الكاظم عليه السلام أيضاً أنّه قال: «بِئْسَ الْعَبْدُ عَبْدٌ يَكُونُ ذَا وَجْهَيْنِ وَذَا لِسَانَيْنِ يُطْرِي أَخَاهُ إِذَا شَاهَدَهُ وَيَأْكُلُهُ إِذَا غَابَ

١. الكليني، الكافي، ٤: ٦٨٧، ح ٦.

٢. م. ن، ١٥: ٣٢٣. الكافي ٨ جلدی، جلد ٢، ص ٣٤٣ ف دارالکتب الاسلامیة، ١٣٦٣ ش،

عَنْهُ إِنْ أُعْطِيَ حَسَدُهُ وَإِنْ أُبْتُلِيَ خَذَلَهُ»^١. وهناك في التعامل المزدوج رواية عن الإمام الصادق عليه السلام، عن ابن أبي يعفور، يقول فيها: «مَنْ لَقِيَ الْمُسْلِمِينَ بِوَجْهَيْنِ وَلِسَانَيْنِ، جَاءَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَلَهُ لِسَانَانِ مِنْ نَارٍ»^٢. وعلى هذا الأساس يكون الصدق الاجتماعي بمعنى التساوي والتناغم بين الداخل والخارج والسر والعلن وتطابق الخبر مع الواقع.

ب. الأرضية والمنشأ

توجد في الحياة سلسلة من الحقائق التي ترتبط إما بأفراد بعينهم (من قبيل ما يجري في قلوبهم وأذهانهم)، أو يرتبط بموضوعات وتيارات خاصة (من قبيل الحادثة التي وقعت). وجميع هذه الأمور ترتبط بحقائق الحياة، وهذا الموضوع إنما يتحوّل إلى مسألة اجتماعية؛ حيث يُصار إلى نقلها إلى الآخرين ويطلعون عليه، فتارة تكون الحقائق خافية عن بعض الأشخاص ويجب أن يطلعوا عليها، أو لا تكون هناك ضرورة إلى ذلك، ولكن يتم إعلامهم بها، وفي هذا البين تكسب مسألة نقل المعلومات موضوعية، حيث يسعى شخص أو عدد من الأشخاص إلى إيصال تلك الحقيقة إلى شخص أو أشخاص آخرين. في مسار الانتقال هناك إمكان للاختلاف والتفاوت بين الخطاب المنقول وبين الحقيقة الموجودة. إنّ التطابق والتماهي بين الخطاب والحقيقة يشكّل أرضية لبحث الصدق الاجتماعي. والسؤال هو: هل ما يتم

١. ابن شعبة الحرّاني، تحف العقول، ٣٩٥.

٢. الكليني، الكافي، ٤: ٥١، ح ١.

«نقله» هو «الموجود»؟ وهل هناك تطابق بين الحقيقة القائمة (الوجود) وإظهارها (الظهور) أم لا؟ فإنّ أبناء النبيّ يعقوب عليه السلام، قد ألقوا أخاهم يوسف عليه السلام في البئر (الوجود)، ولكنّهم من خلال إظهارهم للدم المزيّف، أعلنوا عن أنّ الذئب قد أكل أخاهم (الظهور). تشير هذه القصّة إلى الاختلاف بين الوجود والإظهار، والذي يُطلق عليه عنوان الكذب، وعندما يرفض المشركون والكفار دعوة الأنبياء عليهم السلام، فإنّهم في الحقيقة يعلنون في ضوء ما يدّعون أنّهم ليسوا مرسلين من قبل الله، وهو ما يُطلق عليه عنوان التكذيب. إنّ التنافي وعدم الانسجام بين الوجود والظهور يؤدّي إلى خداع الآخرين وإيقاعهم في الخطأ.

ج. المكانة والأهميّة

يبدو من دراسة النصوص أنّ الصدق في المعارف الإسلامية، لا يختلف في معناه عمّا تقدّم ذكره، وتمّ وضعه في منزلة عالية. من ذلك -على سبيل المثال- تمّ التصريح بأنّ الله مع الصادقين، فقد ورد في المأثور عن الإمام عليّ عليه السلام أنّه قال: «أَلَا فَاصْذُقُوا، فَإِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّادِقِينَ»^١.

فالصدق من جملة أمور أربعة إذا امتلكها الإنسان، فلن يخشى عليه من فقد شيء من أمور الدنيا، فقد ورد في الحديث المأثور عن النبيّ الأكرم صلى الله عليه وآله أنّه قال: «أَرْبَعٌ إِذَا كُنَّ فِيكَ فَلَا عَلَيْكَ مَا فَاتَكَ مِنَ الدُّنْيَا: حِفْظُ أَمَانَةٍ، وَصِدْقُ حَدِيثٍ، وَحُسْنُ خَلِيقَةٍ،

١. الصدوق، من لا يحضره الفقيه، ١: ٢٠٥، ح ٦١٣.

وَعَفَّةٌ فِي طُعْمَةٍ^١.

كما كان الصدق من جملة ما أوصى به النبي الأكرم ﷺ وصيه الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام؛ إذ قال له: «يَا عَلِيُّ أَوْصِيكَ فِي نَفْسِكَ بِخَصَالٍ فَاحْفَظْهَا عَنِّي ثُمَّ قَالَ اَللَّهُمَّ أَعِنِّهِ أَمَّا الْأُولَى فَالْصَّدْقُ وَلَا تَخْرُجَنَّ مِنْ فِيكَ كَذِبَةٌ أَبَدًا وَالثَّانِيَةُ الْوَرَعُ وَلَا تَجْتَرِي عَلَى خِيَانَةٍ أَبَدًا وَالثَّلَاثَةُ الْخَوْفُ مِنَ اللَّهِ عَزَّ ذِكْرُهُ كَأَنَّكَ تَرَاهُ وَالرَّابِعَةُ كَثْرَةُ الْبُكَاءِ مِنْ حَشْيَةِ اللَّهِ يُبْنَى لَكَ بِكُلِّ دَمْعَةٍ أَلْفُ يَتٍّ فِي الْجَنَّةِ^٢. وهو من علامات الإيثار؛

فعن الإمام علي عليه السلام أنه قال: «إِنَّ لِأَهْلِ الدِّينِ عِلَامَاتٍ يُعْرِفُونَ بِهَا صِدْقَ الْحَدِيثِ وَأَدَاءَ الْأَمَانَةِ وَوَفَاءَ بِالْعَهْدِ وَصِلَةَ الْأَرْحَامِ وَرَحْمَةَ الضُّعَفَاءِ وَقِلَّةَ الْمُرَاقَبَةِ لِلنِّسَاءِ أَوْ قَالَ قِلَّةَ الْمُوَاتَاةِ لِلنِّسَاءِ وَبَذْلَ الْمَعْرُوفِ وَحُسْنَ الْخُلُقِ وَسَعَةَ الْخُلُقِ وَاتِّبَاعَ الْعِلْمِ وَمَا يَقْرُبُ إِلَى اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ زُلْفَى «طُوبَى لَهُمْ وَحُسْنُ مَآبٍ»^٣. إلى الحد الذي يتفوق الصدق في الدلالة على حسن السمات، على أمور من قبيل الصلاة والصوم والحج؛

فقد ورد في المأثور عن الإمام الصادق عليه السلام أنه قال: «لَا تَغْتَرُّوا بِصَلَاتِهِمْ وَلَا بِصِيَامِهِمْ فَإِنَّ الرَّجُلَ رُبَّمَا لَهَجَ بِالصَّلَاةِ وَالصَّوْمِ حَتَّى لَوْ تَرَكَهُ اسْتَوْحَشَ وَلَكِنْ اخْتَبِرُوهُمْ عِنْدَ صِدْقِ الْحَدِيثِ وَأَدَاءِ الْأَمَانَةِ»^٤.

١. ابن حنبل، مسند أحمد بن حنبل، ٢: ٥٩٢، ح ٦٦٦٤؛ الحاكم النيسابوري، المستدرک علی الصحیحین،

٤: ٣٤٩، ح ٧٨٧٦.

٢. الكليني، الكافي، ٧: ٧٩، ح ٣٣.

٣. م. ن، ٢: ٢٣٩، ح ٣٠.

٤. م. ن، ١٠٤، ح ٢.

وعنه أيضًا: «لَا تَنْظُرُوا إِلَى طُولِ رُكُوعِ الرَّجُلِ وَشُجُودِهِ فَإِنَّ ذَلِكَ شَيْءٌ إِعْتَادَهُ فَلَوْ تَرَكَهُ اسْتَوْحَشَ لِذَلِكَ وَلَكِنْ أَنْظُرُوا إِلَى صِدْقِ حَدِيثِهِ وَأَدَاءِ أَمَانَتِهِ». وقد وردت التوصية بالصدق في جميع المواطن، فقد ورد عن الإمام الباقر عليه السلام أنه قال: «سُئِلَ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ عليه السلام عَنِ الْإِيمَانِ فَقَالَ إِنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ جَعَلَ الْإِيمَانَ عَلَى أَرْبَعِ دَعَائِمٍ عَلَى الصَّبْرِ وَالْيَقِينِ وَالْعَدْلِ وَالْجِهَادِ... وَالْجِهَادُ عَلَى أَرْبَعِ شُعَبٍ عَلَى الْأَمْرِ بِالْمَعْرُوفِ وَالنَّهْيِ عَنِ الْمُنْكَرِ وَالصَّدْقِ فِي الْمَوَاطِنِ وَشَتَائِنِ الْفَاسِقِينَ فَمَنْ أَمَرَ بِالْمَعْرُوفِ شَدَّ ظَهَرَ الْمُؤْمِنِ وَمَنْ نَهَى عَنِ الْمُنْكَرِ أَرْخَمَ أَنْفَ الْمُتَنَاقِزِ وَأَمَنْ كَيْدَهُ وَمَنْ صَدَّقَ فِي الْمَوَاطِنِ قَضَى الَّذِي عَلَيْهِ وَمَنْ شَتَّى الْفَاسِقِينَ غَضِبَ اللَّهُ وَمَنْ غَضِبَ لِلَّهِ غَضِبَ اللَّهُ لَهُ فَذَلِكَ الْإِيمَانُ وَدَعَائِمُهُ وَشُعْبُهُ»^٢.

ولا سيما الخوف، فقد ورد في المأثور عن طاووس اليماني أنه قال: «سَمِعْتُ عَلِيَّ بْنَ الْحُسَيْنِ عليه السلام يَقُولُ عَلَامَاتُ الْمُؤْمِنِ خَمْسٌ قُلْتُ وَمَا هُنَّ يَا ابْنَ رَسُولِ اللَّهِ قَالَ الْوَرَعُ فِي الْخُلُوةِ وَالصَّدَقَةُ فِي الْقِلَّةِ وَالصَّبْرُ عِنْدَ الْمُصِيبَةِ وَالْحِلْمُ عِنْدَ الْغَضَبِ وَالصَّدْقُ عِنْدَ الْخَوْفِ»^٣.

وبشكل عام الصبر يكون مطلوباً في كل موضع يكون فيه ضرر دنيوي، فقد ورد في الحديث المأثور عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أنه قال: «يا علي، اصدّق وإن صرّك في العاجل

١. م. ن، ١٠٥، ح ١٢.

٢. الكليني، الكافي، ٢: ٥٠، ح ١؛ نهج البلاغة، الحكمة رقم: ٣١.

٣. الصدوق، الخصال، ٢٦٩، ح ٤.

فإنه يَنْفَعُكَ فِي الْآجِلِ، وَلَا تَكْذِبْ وَإِنْ يَنْفَعُكَ فِي الْعَاجِلِ فَإِنَّهُ يَضُرُّكَ فِي الْآجِلِ^١.
وعن النبي الأكرم ﷺ قال: «يَا عَلِيُّ عَلَيْكَ بِالصَّدَقِ وَإِنْ ضَرَّكَ فِي الْعَاجِلِ كَانَ فَرْجًا
لَكَ فِي الْآجِلِ»^٢.

وقد ورد التصريح بأن حقيقة الإيمان عبارة عن ترجيح الصدق الذي يضرُّك على
الكذب الذي ينفَعُكَ.

فقد ورد في الأثر عن الإمام عليّ عليه السلام أنه قال: «الْإِيمَانُ أَنْ تُؤَثِّرَ الصَّدَقَ حَيْثُ يَضُرُّكَ
عَلَى الْكُذِبِ حَيْثُ يَنْفَعُكَ»^٣، وعنه أيضًا أنه قال: «إِنَّ مِنْ حَقِيقَةِ الْإِيمَانِ أَنْ يُؤَثِّرَ الْعَبْدُ
الصَّدَقَ حَتَّى نَفَرَ عَنِ الْكُذِبِ حَيْثُ يَنْفَعُ وَلَا يَعُدُّ [يَعْدُو] الْمَرْءُ بِمَقَالَتِهِ عِلْمَهُ»^٤.

ومن هنا فإن الإمام زين العابدين عليه السلام يطلب في دعائه الصدق من الله سبحانه
وتعالى؛ إذ يقول: «وَأَسْأَلُكَ الْمَخْرَجَ بِالْبَيَانِ مِنْ كُلِّ شُبْهَةٍ وَالْفَلَجَ بِالصَّوَابِ فِي كُلِّ حُجَّةٍ
وَالصَّدَقَ فِيهَا عَلَيَّ وَلِي وَذَلَّلْنِي بِإِعْطَاءِ النَّصَفِ مِنْ نَفْسِي فِي جَمِيعِ الْمَوَاطِنِ فِي الرِّضَا
وَالسَّخَطِ وَالتَّوَاضُعِ وَالْفَضْلِ وَتَرَكْ قَلِيلَ الْبَغْيِ وَكَثِيرَهُ فِي الْقَوْلِ مِنِّي وَالْفِعْلِ»^٥.

١. نسفي، عمر بن محمد، ضمن وصايا النبي ﷺ لعلي بن أبي طالب عليه السلام، ٢٧.

٢. ابن عساکر، تاريخ مدينة دمشق، ٦٣: ١٢٢.

٣. نهج البلاغة، الحكمة رقم: ٤٥٨.

٤. ابن شعبة الحراني، تحف العقول، ٢١٧؛ الطبرسي، مشكاة الأنوار في غرر الأخبار، ٣٠٠، ح ٩٢٣.

٥. ابن طاووس، فلاح السائل، ١: ٣٣٣-٣٣٩؛ الطوسي، مصباح المتهجد، ٥٥٠-٥٧٧؛ الطوسي، تهذيب

الأحكام، ٣: ١٠٠٧٧.

د. مساحة الصدق

الصدق في المصادر الدينية المعتبرة يشمل مساحة واسعة من الصدق في المعرفة^١، والصدق في النية^٢، والصدق في العمل^٣، والصدق في الخوف^٤، والصدق في اللسان^٥ والكلام^٦. هناك في الأدبيات الدينية مفاهيم من قبيل الإخلاص والرياء تكتسب معناها ضمن هذا المجال. فإنّ الشخص المرائي يظهر من نفسه مشهدًا لا يتطابق مع الواقع ليُظهر نفسه شخصًا صالحًا؛ من قبيل: العبادات والمناسك الدينية التي

١. لَمَّا سُئِلَ الصَّادِقُ (عليه السلام) عَنِ الصِّدْقِ فَقَالَ مَا مَعْنَاهُ «هُوَ أَنْ لَا تَخْتَارَ عَلَى اللَّهِ غَيْرَهُ فَإِنَّهُ تَعَالَى قَالَ هُوَ اجْتَبَاكُمْ فَإِذَا كَانَ اجْتِبَاكَ فَاجْتَبِهِ أَنْتَ وَلَا تَخْتَرْ عَلَيْهِ هَوَاكَ وَلَا ذُنْيَاكَ». (ابن طاووس، فلاح السائل، ٢٢٣، ح ١٢٥).

٢. قال الإمام الكاظم (عليه السلام): «كَمَا لَا يَقُومُ الْجَسَدُ إِلَّا بِالنَّفْسِ الْحَيَّةِ فَكَذَلِكَ لَا يَقُومُ الدِّينُ إِلَّا بِالنِّيَّةِ الصَّادِقَةِ وَلَا تَثْبُتُ النِّيَّةُ الصَّادِقَةُ إِلَّا بِالْعَقْلِ». (ابن شعبة الحرّاني، تحف العقول، ٣٩٦).

٣. قال الله تعالى: «لَيْسَ الْبِرُّ أَنْ تُولُوا وُجُوهَكُمْ قِبَلَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ وَلَكِنَّ الْبِرَّ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَالْمَلَائِكَةِ وَالْكِتَابِ وَالنَّبِيِّينَ وَآتَى الْمَالَ عَلَى حُبِّهِ ذَوِي الْقُرْبَى وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينَ وَابْنَ السَّبِيلِ وَالسَّائِلِينَ وَفِي الرِّقَابِ وَأَقَامَ الصَّلَاةَ وَآتَى الزَّكَاةَ وَالْمُوفُونَ بِعَهْدِهِمْ إِذَا عَاهَدُوا وَالصَّابِرِينَ فِي الْبَأْسَاءِ وَالضَّرَّاءِ وَحِينَ الْبَأْسِ أُولَئِكَ الَّذِينَ صَدَقُوا وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ» (البقرة: ١٧٧). وقال أيضًا: «وَلَقَدْ فَتَنَّا الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ فَلَيَعْلَمَنَّ اللَّهُ الَّذِينَ صَدَقُوا وَلَيَعْلَمَنَّ الْكَاذِبِينَ» (العنكبوت: ٣).

٤. قال الإمام الباقر (عليه السلام): «اسْتَجْلِبْ شِدَّةَ التَّيَقُّظِ بِصِدْقِ الْخَوْفِ». (ابن شعبة الحرّاني، تحف العقول، ٢٨٥).

٥. قال الله تعالى: «رَبِّ هَبْ لِي حُكْمًا وَأَلْحِقْنِي بِالصَّالِحِينَ وَاجْعَلْ لِي لِسَانَ صِدْقٍ فِي الْآخِرِينَ» (الشعراء: ٨٣).

٦. عبادي، وپسندیده، تحلیل وبررسی روایات مکارم الأخلاق، ١٠١.

يقوم بها الشخص رياءً، أو المساعدات التي يقدمها للفقراء على سبيل الرياء وما إلى ذلك. وأمّا الأشخاص المخلصون، فإنهم ينزهون أعمالهم عن هذه الأمور، وإذا قاموا بفعل حسن فلائهم يؤمنون به حقاً.

والمفهوم الآخر هو التملق والمداهنة؛ فإن الشخص المداهن والمتملق يعمل على توظيف لسانه وكلامه في الثناء على الآخرين، ولا يكون صادقاً في هذا المدح والثناء، فقد ورد في المأثور عن الإمام عليّ عليه السلام أنّه قال: «الثناءُ بِأَكْثَرِ مِنَ الْإِسْتِحْقَاقِ مَلَقٌ وَالتَّقْصِيرُ عَنِ الْإِسْتِحْقَاقِ عِيٌّ أَوْ حَسَدٌ»^١. وعنه عليه السلام أنّه قال أيضاً: «إِنَّمَا يُحِبُّكَ مَنْ لَا يَتَمَلَّقُكَ وَيُثْنِي عَلَيْكَ مَنْ لَا يُسْمِعُكَ»^٢. وعنه عليه السلام أيضاً أنّه قال: «إِيَّاكَ وَالْمَلَقَ فَإِنَّ الْمَلَقَ لَيْسَ مِنْ خَلَائِقِ الْإِيمَانِ»^٣، ولا هو من خُلُقِ الْأَنْبِيَاءِ، على ما ورد عن الإمام عليّ عليه السلام أيضاً؛ إذ قال: «لَيْسَ الْمَلَقُ مِنْ خُلُقِ الْأَنْبِيَاءِ»^٤. وعنه عليه السلام أيضاً أنّه قال: «مَنْ كَثُرَ مَلَفُهُ لَمْ يُعْرِفْ بِشْرُهُ»^٥. وعنه عليه السلام أيضاً أنّه قال: «كَثْرَةُ الثَّنَاءِ مَلَقٌ يُحْدِثُ الرَّهْوَ وَيُذْنِبِي مِنَ الْغُرَّةِ»^٦.

١. نهج البلاغة، الحكمة رقم: ٣٤.

٢. الأمدّي التميمي، غرر الحكم ودرر الكلم، ح ٣٨٧٥.

٣. م. ن، ح ٢٦٩٦.

٤. م. ن، ح ٤٧٥٣.

٥. م. ن، ح ٧٩٦٣.

٦. م. ن، ح ٧١١٩.

٢٢. الوفاء الاجتماعي

أ. الأرضية والمنشأ

الوفاء من مادة (وَفَّى)، بمعنى إكمال وإتمام الشيء، وكلمة الوفاء إنما تكتسب معناها في حقل العهود والمواثيق، وتعني العمل بالعهد والميثاق على النحو التام والكامل. والعهود والمواثيق من الأصول والقواعد الجوهرية في الحياة الاجتماعية. ومن ناحية أخرى فإن الحياة الاجتماعية تقتضي بأن يتولّى كلّ شخص القيام بعمل ما ويتحلّى بالمسؤوليّة تجاه القيام بذلك العمل وينشغل بمهمّة خاصّة، كي تنتظم شؤون الحياة الاجتماعية في ضوء توزيع الأعمال والمهام، ولا يبقى ثمة شغور أو فراغ في موضع ما. وهذا الأمر يحتاج إلى إبرام عقود ومواثيق بين الأشخاص. والأمور الاجتماعية إنما تنتظم في إطار العمل بهذه العقود والمواثيق. وهنا يتجلى موضوع الوفاء وتظهر أهميّته ومنزلته الاجتماعية؛ فمن دون الوفاء بالعهود والمواثيق يختلّ عقد النظام الاجتماعي، ومن هنا فقد ورد التصريح من الله سبحانه وتعالى في محكم كتابه بوجوب الوفاء بالعقود والعهود والمواثيق؛ كما في قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَوْفُوا بِالْعُقُودِ أُحْلَتْ لَكُمْ بِهِمَّةُ الْأَنْعَامِ إِلَّا مَا يُتْلَى عَلَيْكُمْ غَيْرَ مُحْلِي الصَّيْدِ وَأَنْتُمْ حُرْمٌ إِنَّ اللَّهَ يَحْكُمُ مَا يُرِيدُ﴾ (المائدة: ١).

وقال أيضاً: ﴿وَلَا تَقْرَبُوا مَالَ الْيَتِيمِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ حَتَّى يَبْلُغَ أَشُدَّهُ وَأَوْفُوا بِالْعَهْدِ إِنَّ الْعَهْدَ كَانَ مَسْئُولًا﴾ (الإسراء: ٣٤).

وامتدح الأوفياء بقوله: ﴿وَالْمُوفُونَ بِعَهْدِهِمْ إِذَا عَاهَدُوا﴾ (البقرة: ١٧٧). وكما

يتضح من ظاهر قوله تعالى: ﴿أَوْفُوا بِالْعُقُودِ﴾، فإن القرآن الكريم يدل على الأمر بالوفاء بالعقود، وظاهر هذا الأمر عام، ويشمل جميع الأمور التي يصدق عليها عنوان العقد عرفاً وتكون منسجمة مع الوفاء.

لقد أكد القرآن الكريم في الكثير من آياته الكريمة على الوفاء التام بالعهود والعقود وبجميع معانيه ومصاديقه، وتشدد في ذلك كثيراً، وذم الذين ينقضون العهود وينكثون المواثيق بشدة وهددهم بعقوبات قاسية، وفي المقابل أثني على الذين يوفون بالعهود والمواثيق^١.

ب. الأثر الاجتماعي للوفاء

لقد تحدث القرآن الكريم عن الوفاء المطلق وغير المشروط والمقيّد بالعهود والعقود، وهذا يدل على أن هذا الموضوع من جملة الأمور التي يصل إليها الناس بعقولهم الفطرية، وهذا هو الحق؛ والسبب في ذلك هو أن الوفاء بالعهد من الأمور التي لا يمكن للإنسان أن يستغني عنها في حياته، ويتساوى في ذلك الفرد والمجتمع. فلو تأمل الإنسان ودقق في حياته الاجتماعية سوف يدرك أن جميع المزايا التي نتمتع بها وجميع الحقوق التي نستند إليها في الحياة الاجتماعية إنما تقوم على أساس العقود الاجتماعية العامة والمواثيق والعهود الفرعية المترتبة عليها؛ إذ إننا لا نعمل على تمليك أي شخص في المجتمع شيئاً من ممتلكاتنا، ولا نملك شيئاً من ممتلكاتهم إلا على أساس عقد من العقود العملية وإن لم نلفظ به ونجريه على ألسنتنا؛ وذلك لأن

١. الطباطبائي، الميزان في تفسير القرآن، ١٥٨: ١٦١.

القول والتوثيق باللفظ إنما يكون حيث يكون الأمر مبهماً ويحتاج إلى توضيح وبيان. فلو جاز لشخص أن ينقض العقد أو العهد الذي أبرمه بسبب ما يمتلكه من القوة والسلطة أو لأي سبب آخر من الأسباب والأعذار، فإن الشيء الأول الذي سيتم نقضه هو العدالة الاجتماعية؛ بمعنى الركن الذي يستند إليه الإنسان من أجل التحرر والخلاص من قيود السخرة والاستغلال؛ ولهذا السبب يؤكد الله سبحانه وتعالى على وجوب الوفاء بالعهود والمواثيق.

يقول الله سبحانه وتعالى في القرآن الكريم: ﴿وَأَوْفُوا بِالْعَهْدِ إِنَّ الْعَهْدَ كَانَ مَسْئُولًا﴾ (الإسراء: ٣٤). تمدح هذه الآية - مثل غيرها من الآيات - الوفاء بالعهود وتذم نقض المواثيق، تشمل العهود والعقود الفردية التي يبرمها الأفراد فيما بينهم، كما تشمل العهود والمواثيق الاجتماعية التي يتم إبرامها بين الجماعات والشعوب والدول أيضاً، بل إن الوفاء بالعهود والمواثيق الاجتماعية يُعدّ من وجهة نظر الدين أهمّ من الوفاء بالمواثيق الفردية؛ وذلك لأنّ الوفاء بالعهود والمواثيق الاجتماعية يشتمل على عدالة أوسع، ونقضها يؤدي إلى أزمات ومشاكل أكبر.

والخلاصة هي أنّ الإسلام بعد إبرام العقد والميثاق يرى وجوب رعاية حرمة وضرورة التمسك به مطلقاً، سواء أكان يضرّ الذي أبرمه أو ينفعه؛ وذلك لأنّ رعاية العدالة الاجتماعية أهمّ وأوجب من رعاية جميع المصالح الخاصة أو الشخصية، إلّا إذا قام أحد الطرفين بنقض عهده وميثاقه، وعندها يجوز للطرف الآخر تجاهل العقد والميثاق من باب المقابلة بالمثل والردّ على عدوانه وانتهاكه للعهد والميثاق؛ وذلك لأنّ هذا الأمر يطلق يد الإنسان ويحرّره من قيود الاستعلاء والاستكبار

المذموم الذي جاء الدين في الأساس من أجل القضاء عليه^١.

ج. علاقة الوفاء بالصدق والأمانة

تذهب الروايات الإسلامية إلى إحالة جذور الوفاء إلى الأمانة؛ إذ تعتبر الوفاء رعاية قوية للأمانة^٢ وأنه توأم الأمانة^٣ وقرينها^٤، بل ومن أفضل أشكالها^٥. كما أنه قد تم تعريف الوفاء بوصفه قرين الصدق^٦، وتوأمه^٧، وأفضل أنواعه^٨. وجاء في الأثر عن الإمام علي عليه السلام أنه خاطب الناس، فقال: «أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّ الْوَفَاءَ تَوْأَمُ الصِّدْقِ وَلَا أَعْلَمُ جُنَّةً أَوْقَى مِنْهُ وَمَا يَعْدُرُ مَنْ عِلْمٍ كَيْفَ الْمَرْجِعُ وَلَقَدْ أَصْبَحْنَا فِي زَمَانٍ قَدْ اتَّخَذَ أَكْثَرُ أَهْلِهِ الْعُدْرَ كَيْسًا وَنَسَبَهُمْ أَهْلُ الْجَهْلِ فِيهِ إِلَى حُسْنِ الْحِيلَةِ». وفي الأثر عن الإمام الصادق عليه السلام أنه قال: «ثَلَاثَةٌ لَا عُذْرَ لِأَحَدٍ فِيهَا، أَدَاءُ الْأَمَانَةِ إِلَى الْبَرِّ وَالْفَاجِرِ وَالْوَفَاءُ بِالْعَهْدِ لِلْبَرِّ وَالْفَاجِرِ وَبِرُّ الْأَبْوِينَ بِرَبِّينِ كَانَا أَوْ فَاجِرِينَ»^٩.

١. م. ن، ١٥٨-١٦١.

٢. قال الإمام علي عليه السلام: «الْوَفَاءُ عُنْوَانُ وَفُورِ الدِّينِ وَقُوَّةُ الْأَمَانَةِ». الأمدّي التميمي، غرر الحكم ودرر الكلم، ح ١٤٣٠.

٣. قال الإمام علي عليه السلام: «الْوَفَاءُ تَوْأَمُ الْأَمَانَةِ وَزَيْنُ الْأُخُوَّةِ». م. ن، ح ١٨٦٥.

٤. قال الإمام علي عليه السلام: «نِعَمَ قَرِينُ الْأَمَانَةِ الْوَفَاءُ». م. ن، ح ٩٩٣٣.

٥. قال الإمام علي عليه السلام: «أَفْضَلُ الْأَمَانَةِ الْوَفَاءُ بِالْعَهْدِ». م. ن، ح ٣٠١٨.

٦. قال الإمام علي عليه السلام: «نِعَمَ قَرِينُ الصِّدْقِ الْوَفَاءُ». م. ن، ح ٩٩٣١.

٧. قال الإمام علي عليه السلام: «الْوَفَاءُ تَوْأَمُ الصِّدْقِ». م. ن، ح ٢٧١.

٨. قال الإمام علي عليه السلام: «أَفْضَلُ الصِّدْقِ الْوَفَاءُ بِالْعَهْدِ». م. ن، ح ٣٠٢٠.

٩. الصدوق، الخصال، ١٢٣، ح ١١٨.

٢٣. السرور الاجتماعي

أ. مفهوم السرور

يقع الفرح في مقابل الحزن، بمعنى خفة الروح وانسراح الصدر وانسباط النفس الذي ينعكس على الإنسان بسبب اللذات الثابتة وغير الثابتة. والسرور بدوره عبارة عن الانسباط الذي يزول الغم والحزن بسببه. وأمّا الفرح فهو في المقياس الاجتماعي عبارة عن التعاطي والتعامل المقرون بالفرح والسرور والنشاط الإيجابي. والمراد من السرور الاجتماعي في هذه الدراسة عبارة عن وجود الفرح والسرور بين طرفي العلاقة والارتباط، بحيث تتبلور التعاملات بين الأفراد في أجواء مقرونة بالنشاط والإثارة الإيجابية.

ب. الأسباب والعناصر

المزاح من عناصر الفرح والسرور. وقد عدّ النبي الأكرم ﷺ المزاح من خصائص المؤمنين، فقد روي عنه أنه قال: «الْمُؤْمِنُ دَعِبٌ لَعِبٌ وَالْمُتَأَفِّقُ قَطِبٌ غَضِبٌ»^١. وعن الفضل بن أبي قرّة عن الإمام الصادق عليه السلام أنه قال: «مَا مِنْ مُؤْمِنٍ إِلَّا وَفِيهِ دُعَابَةٌ قُلْتُ وَمَا الدُّعَابَةُ قَالَ الْمِزَاحُ»^٢. وقد ورد في الأثر أنّ رسول الله كان يأتيه الأعرابي، فيهدي له الهدية، ثم يقول مكانه: «أَعْطَيْنَا ثَمَنَ هَدِيَّتِنَا فَيُضْحِكُ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ وَكَانَ

١. ابن شعبة الحَرَائِيّ، تحف العقول، ٤٩.

٢. الكليني، الكافي، ٢: ٦٦٣، ح ٢.

إِذَا عِثْتُمْ يَقُولُ مَا فَعَلَ الْأَعْرَابِيُّ لَيْتَهُ أَتَانَا^١. مع ظهور الإسلام في الحجاز بوصفه ديناً ومنهجاً للحياة، كان بعض المؤمنين يمتنع عن أمور مثل الضحك والمزاح، واختصروا حياتهم بالصلاة والصوم والتضرع إلى الله والتهجد. وقد واجه النبي الأكرم ﷺ هذه الرؤية الخاطئة، وكان يدعو على الدوام إلى رعاية الاعتدال في كل شيء، والمسلمون يعتبرون النبي الأكرم ﷺ قدوة لهم، وقد كان يقول: «إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ أَمَارِحُكُمْ»^٢. وقد ورد في المصادر التاريخية عن كثيرين وصفهم النبي الأكرم ﷺ بأنه كان مزوحاً، ومن ذلك قولهم: «كَانَ النَّبِيُّ ﷺ مِنْ أَفْكِهِ النَّاسِ»^٣، وعن ابن عباس أنه قال: «كَانَ فِي النَّبِيِّ ﷺ دُعَابَةٌ»^٤.

إنَّ الضحك من بين الأمور التي توجب السرور والمرح، وكما سبق أن أشرنا، فإنَّ بعض الأشخاص كانوا يرون وجود التضاد بين اللذات الدنيوية وبين الإيمان والتدين، وكانوا يفضلون العبادة فقط؛ ولذلك فإنهم كانوا يحجمون عن الضحك ويرون أنَّ البكاء وحده هو المشروع. في حين أنَّ النبي الأكرم ﷺ وقف في وجه هذا التيار، وقال إنَّ الضحك من سنَّته، فقد ورد عن رسول الله ﷺ أنه قال: «أَلَا إِنَّ لِكُلِّ عِبَادَةٍ شِرَّةً ثُمَّ تَصِيرُ إِلَى فِتْرَةٍ فَمَنْ صَارَتْ شِرَّةُ عِبَادَتِهِ إِلَى سُنَّتِي فَقَدْ اهْتَدَى وَمَنْ خَالَفَ سُنَّتِي فَقَدْ ضَلَّ وَكَانَ عَمَلُهُ فِي تَبَابٍ أَمَا إِنِّي أَصْلِي وَأَنَا وَأَصُومُ وَأُفْطِرُ وَأَضْحَكُ

١. م. ن، ٢: ٦٦٣، ح ١.

٢. السيوطي، الجامع الصغير، ١: ٣٩٤، ح ٢٥٧٩؛ المتقي الهندي، كنز العمال، ٣: ٦٤٨.

٣. ابن عساکر، تاريخ مدينة دمشق، ٤: ٣٧.

٤. الخطيب البغدادي، تاريخ بغداد أو مدينة السلام، ٧: ٣٠٨، ح ١٢١٤.

وَأَبْكِي فَمَنْ رَغِبَ عَنْ مَنِهَاجِي وَسُتِّي فَلَيْسَ مِنِّي»^١. وعندما كان النبي الأكرم ﷺ يجلس مع أصحابه كان يضحك لضحكهم، ومن ذلك ما ذكره الإمام علي عليه السلام في بيان سيرة النبي الأكرم ﷺ أنه قال: «يُضْحَكُ مِمَّا يَضْحَكُونَ مِنْهُ»^٢. ولم يُشاهد أحد من الناس أكثر تبسُّمًا من رسول الله ﷺ فقد ورد عن عبد الله بن الحرث بن جزء، أنه قال: «مَا رَأَيْتُ أَحَدًا أَكْثَرَ تَبَسُّمًا مِنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ»^٣. وعن أبي أمامة، قال: «كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ مِنْ أَضْحَكِ النَّاسِ، وَأَطْيَبِهِمْ نَفْسًا»^٤. وكان يحضر الشعراء عنده وينشدون الشعر وينقلون طرفًا من ذكريات الجاهلية ويضحكون، وكان النبي الأكرم ﷺ يتبسّم. قال سهاك بن حرب: «قُلْتُ لِحَابِرِ بْنِ سَمُرَةَ: أَكُنْتُ تُجَالِسُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ؟ قَالَ: نَعَمْ. فَكَانَ طَوِيلَ الصَّمْتِ وَكَانَ أَصْحَابُهُ يَتَنَاشَدُونَ الْأَشْعَارَ وَيَذْكُرُونَ أَشْيَاءَ مِنْ أَمْرِ الْجَاهِلِيَّةِ فَيَضْحَكُونَ وَيَتَبَسَّمُ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ إِذَا ضَحِكُوا»^٥. وجاء في وصف الإمام الصادق عليه السلام عن مالك، قال: «لَقَدْ كُنْتُ أَرَى جَعْفَرَ بْنَ مُحَمَّدٍ عليه السلام، وَكَانَ كَثِيرَ الدُّعَابَةِ وَالتَّبَسُّمِ»^٦. وعن الإمام الكاظم عليه السلام، قال: «كَانَ يَحْيَى بْنُ زَكْرِيَّا عليه السلام يَبْكِي وَلَا يَضْحَكُ وَكَانَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ عليه السلام يَضْحَكُ وَيَبْكِي

١. الكليني، الكافي، ٢: ٨٥، ح ١.

٢. الصدوق، عيون أخبار الرضا عليه السلام، ١: ٣١٩.

٣. ابن حنبل، مسند أحمد بن حنبل، ٤: ١٩٠.

٤. الترمذي، سنن الترمذي، ٥: ٦٠١، ح ٣٦٤١.

٥. ابن سعد، الطبقات الكبرى، ١: ٣٧٢.

٦. المجلسي، بحار الأنوار، ١٧: ٣٣، ح ١٤.

وَكَانَ الَّذِي يَصْنَعُ عِيسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ أَفْضَلَ مِنَ الَّذِي كَانَ يَصْنَعُ يَحْيَى عَلَيْهِ السَّلَامُ^١. يرى الإسلام أنّ أفاضل المسلمين هم الذين يظهرون فرحهم لسعة الرحمة الإلهية، ولكنهم في السرّ يكونون من خشية الله؛ فقد ورد في المأثور عن رسول الله ﷺ أنّه قال: «خَيْرُ أُمَّتِي فِيمَا أَنْبَأَنِي الْمَلَأُ الْأَعْلَى، قَوْمٌ يَضْحَكُونَ جَهْرًا فِي سَعَةِ رَحْمَةِ رَبِّهِمْ عَزَّ وَجَلَّ، وَيَبْكُونَ سِرًّا مِنْ خَوْفِ شِدَّةِ عَذَابِ رَبِّهِمْ»^٢.

كما أنّ الطيب والرائحة الزكية من العوامل الأخرى المؤثرة في إشاعة السرور والفرح؛ فقد ورد في الأثر عن النبي الأكرم ﷺ أنّه قال: «الطَّيْبُ يُسَرُّ»، وعن الإمام عليّ عليه السلام، أنّه قال: «الطيب نُسْرَة»^٣. إنّ اتخاذ الطيب وتنظيف الجسم وإزالة الروائح الكريهة عنه يُعدّ من الأمور التي ورد الاهتمام بها في التعاليم الدينية إلى حدّ كبير، حتّى بلغت أهميّتها لتصبح جزءاً من أخلاق الأنبياء عليهم السلام وسننهم؛ فقد ورد عن النبي الأكرم ﷺ أنّه قال: «أَرْبَعٌ مِنْ سُنَنِ الْمُرْسَلِينَ: الْحَيَاءُ وَالْحِلْمُ وَالسَّوَاكُ وَالتَّعَطُّرُ»^٤. كما ورد الحثّ للمؤمنين على اتخاذ الطيب؛ فقد ورد في المأثور عن الإمام الصادق عليه السلام أنّه قال: «يَنْبَغِي لِلرَّجُلِ أَنْ يُدَخِّنَ ثِيَابَهُ إِذَا كَانَ يَقْدِرُ»^٥. وقد ورد الذمّ بحقّ الذين لا يتخذون الطيب؛ فعن إبراهيم النخعي، في قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا

١. الكليني، الكافي، ٢: ٦٦٥، ح ٢٠.

٢. الحاكم النيسابوري، المستدرک على الصحيحين، ٣: ١٩، ح ٤٢٩٤.

٣. علي بن موسى الرضا عليه السلام، صحيفة الإمام الرضا عليه السلام، ٢٣٩، ح ١٤٤.

٤. الصدوق، من لا يحضره الفقيه، ١: ١٣١.

٥. الكليني، الكافي، ٦: ٥١٨.

الَّذِينَ آمَنُوا لَا تُحَرِّمُوا طَيِّبَاتِ مَا أَحَلَّ اللَّهُ لَكُمْ ﴿٨٧﴾ (المائدة: ٨٧): «كانوا حرّموا الطيب واللحم؛ فأنزل الله هذا فيهم»^١. ومن بين الأمور التي كان يواظب عليها النبي الأكرم ﷺ اتخاذ الطيب. فقد ورد في المأثور عن الإمام علي عليه السلام أنه قال: «كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يُنْفِقُ فِي الطَّيِّبِ أَكْثَرَ مِمَّا يُنْفِقُ فِي الطَّعَامِ»^٢.

وأما المسألة الأخرى فهي اتّخاذ الزينة. فإنّ النظر والمشاهدة من الأبعاد الأخرى لنشاط الإنسان، حيث ينطوي اتّخاذ الزينة على لذّة الخاصّة، ويمكن له أن يؤثّر في خلق حالة السرور والفرح. وهنا يرد الكلام عن الجمال، وله أقسام؛ أمور الجمال التي تطيب للعين، وتستوجب متعة البصر، ومن هذا الطريق يساعد على سرور الإنسان. إنّ اتّخاذ الزينة وحسن المظهر إنّما يعني في الحقيقة إنتاج صورة جميلة للناظرين. نحن نحبّ أن نرى أصحابنا على ظاهر حسن وأخلاق جميلة، وطبقاً لهذا الأصل يجب أن نكون بالنسبة إليهم كذلك أيضاً. ومن هنا فإنّ الله يحب للمؤمنين أن يتّخذوا زينتهم عند ذهابهم إلى المساجد^٣. وأن نكون عند الذهاب إلى رؤية الصديق على نظافة وظاهر حسن^٤. وقد ورد في المأثور عن الإمام علي عليه السلام أنه قال: «لِيَتَزَيَّنَ أَحَدُكُمْ لِأَخِيهِ الْمُسْلِمِ إِذَا آتَاهُ كَمَا يَتَزَيَّنُ لِلْغَرِيبِ الَّذِي يُحِبُّ أَنْ يَرَاهُ فِي أَحْسَنِ الْهَيْئَةِ»^٥.

١. سيوطي، تفسير الدرّ المنثور في التفسير بالمأثور، ٢: ٣٠٧.

٢. محمدي ري شهري، ميزان الحكمة، ٧: ٣٣٣٨، ح ١١٣٢١.

٣. الأعراف: ٣١.

٤. محمدي ري شهري، منتخب ميزان الحكمة، ح ٢٨٦٥ ش.

٥. الكليني، الكافي، ١٣: ١١.

تُشير هذه الأمور كلّها إلى أنّ وجود الفضاء العام بالفرح والسرور والنشاط في العلاقات الاجتماعية، يُعدّ واحدًا من أسباب السلامة الاجتماعية. إنّ اتخاذ الزينة وحُسن البشر والجمال الذي يَسرّ الناظرين، واتخاذ العطر والرائحة الزكيّة، والمزاح المفرح، من الأمور التي تودّي إلى خلق أجواء النشاط والفرح في العلاقات الاجتماعية.

٢٤. الآداب الاجتماعية

أ. المعنى والمراد

إنّ مفردة «الآداب» جمع الأدب، والأدب يعني «المعرفة، والفن»^١، والسلوك الحسن المتطابق مع المعايير الاجتماعية وحُسن الخلق والأسلوب المناسب لكلّ فعل^٢. كما أنّ الأدب اصطلاحاً يعني التعامل مع الآخرين بلطف ومحبة وبشر وصدق مع رعاية الاحترام بما يتناسب مع المنزلة والمكانة. والأدب صفة باطنية ومملكة إذا تحلّى بها الإنسان أمكن له بواسطتها أن ينزّه نفسه عن الأمور التي تجلب له العار والشنار؛ وفي مثل هذه الحالة لا يتّصف بقبيح القول وسوء الفعل. كما يجتنب الكلمات والتلميحات التي تضرّ بعواطف الآخرين ومشاعرهم^٣. وبعبارة أخرى: إنّ الأدب هيئة جميلة ومحبوبة؛ حيث يقع كلّ عمل مشروع على طبق تلك الهيئة^٤.

١. دهخدا، لغت نامه دهخدا، مدخل: أدب.

٢. عميد، فرهنگ لغت عميد.

٣. وجداني فخر، راهنای انس ومودت یا آداب معاشرت، ٤٩-٥٠.

٤. الطباطبائي، الميزان في تفسير القرآن، ٢: ٢٥٥-٢٥٦.

ب. الأرضية والمنشأ

بالنظر إلى أنّ الإنسان كائن مدني واجتماعي، والحياة الفردية بالنسبة إليه مستحيلة أو في غاية الصعوبة والتعقيد؛ حيث ورد عن الإمام الصادق عليه السلام قال: «إنَّه لا بد لكم من النَّاسِ، إنَّ أحدًا لا يستغني عن النَّاسِ حَيَاتُهُ، وَالنَّاسُ لا بد لبعضهم من بعض»^١، يجب أن تقوم هناك قوانين وضوابط لتنظيم العلاقات بين أفراد المجتمع، حيث تسمى هذه المجموعة من الضوابط والأصول الشرعية والعرفية بالآداب الاجتماعية، ويحصل الأفراد من خلال العمل على رعايتها على قيمة وشخصية، بالإضافة إلى أن ذلك يؤدي إلى تسهيل الأمور وتسريعها والتقليل من المشاكل الاجتماعية أيضًا، ويمهّدون الأرضية للحياة الهانئة والعيش الرغيد لأنفسهم وأبناء جلدتهم.

والأدب عبارة عن حفظ المقادير وعدم تجاوز الحدود. وعلى هذا الأساس، فإنّ الذي يتلفّظ بالشتائم وفاحش القول، حيث يتجاوز الحدود، يكون خارجاً عن حدود الأدب في القول، ويمكن نعتة بـ«غير المؤدّب»، وقد ورد في التعاليم الدينية أنّ «حفظ المقادير وحدود الاعتدال» من أفضل أنواع الأدب، فكلّ شخص يعرف حدوده ولا يتجاوزها، يكون متأدّباً. ويُمثّل عدم الأدب نوعاً من التسلل إلى المنطقة المحظورة وانتهاك الحدود والحرّمات في التعاملات. فقد ورد في الأثر عن الإمام علي عليه السلام أنّه قال: «أَفْضَلُ الْأَدَبِ أَنْ يَفْقَ الْإِنْسَانُ عِنْدَ حَدِّهِ وَلَا يَتَعَدَّى قُدْرَهُ»^٢. إنّ أدنى مراتب الأدب في التعامل مع الناس هو أن يتجنّب الإنسان فعل كلّ شيء يستقبح

١. الكليني، الكافي، ٢: ٦٣٥.

٢. الأمدي التميمي، غرر الحكم ودرر الكلم، ٢٤٧، ح ٥٠٧٨.

صدوره من الآخرين. وعلى حدّ قول الإمام عليّ عليه السلام فإنّ هذا المقدار يكفي للإنسان لكي يتّصف بالأدب؛ فقد ورد عنه عليه السلام أنّه قال: «كَفَى بِكَ أَدْباً لِنَفْسِكَ تَرْكُكَ مَا كَرِهْتَهُ مِنْ غَيْرِكَ»^١. لا شكّ في أنّ هذا المقدار يمثل الحدّ الأدنى من رعاية الأدب، وكلّما كانت رعاية القيم العقلية والشرعية في الأقوال والأفعال من قبل الإنسان أقوى، فإنّ مستوى أدبه سوف يكون أكبر وأعلى^٢.

تنشأ العلاقات الاجتماعية على مختلف العناوين بما يتناسب وموقعيّة وشرائط الأفراد. فتارة تكون على شكل «صلة الرحم» والارتباط بالأهل والأقرباء، وتارة على شكل «عيادة المرضى»، وتارة على شكل احترام الجار ومساعدة الفقراء والمساكين، وتارة أخرى على شكل المشاركة في الأفراح والأعراس، أو الحضور في التعازي والمشاركة في مواساة المصابين في أحزانهم وأتراحهم. وعلى كلّ حال، فإنّ جميع هذه الأمور تمثّل نوعاً من «الارتباط» و«المعاشرة» التي تدلّ على الخصائص الإنسانية والثقافة الأخلاقية لكلّ شخص في المجتمع^٣.

ج. أثر الآداب الاجتماعية

يؤدّي التأدّب بالآداب الاجتماعية إلى قيام العلاقات الأكثر دواماً وعمقاً وجمالاً وتأثيراً ورسوخاً بين الأفراد. ومن ثمار التأدّب بالآداب، زيادة القيمة الوجودية والشأنية للإنسان، فقد روي عن أمير المؤمنين عليّ عليه السلام أنّه قال: «يَا مُؤْمِنُ إِنَّ هَذَا

١. المفيد، الأمل، ٣٣٦، ح ٧، (أ)؛ الطوسي، الأمل، ١١٥، ح ١٧٥.

٢. محمّدي ري شهري، ومسعودي، فرهنگ نامه ادب، ١٢.

٣. محدّثي، اخلاق معاشرت، ١٦.

الْعِلْمُ وَالْأَدَبُ ثَمَنُ نَفْسِكَ - فَاجْتَهِدْ فِي تَعْلُمِهِمَا فَمَا يَزِيدُ مِنْ عِلْمِكَ وَأَدَبِكَ يَزِيدُ فِي ثَمَنِكَ وَقَدْ رَكَ فَإِنَّ بِالْعِلْمِ تَهْتَدِي إِلَى رَبِّكَ وَبِالْأَدَبِ تُحَسِّنُ خِدْمَةَ رَبِّكَ...^١. والتأدب بكل واحد من الآداب يعمل على تجميل المرء بنوع من الأنواع في نظر الآخرين. وكأن كل مشهد من مشاهد حياة الإنسان محفل، ومن خلال تأدب الإنسان بكل أدب جديد يكون كمن يرتدي ثوباً جديداً وقشيباً ليحضر به في ذلك المحفل، ومن خلال ظهوره المناسب والأنيق والنظيف يثير استحسان الآخرين وثناءهم. قال أمير المؤمنين عليّ عليه السلام: «الآداب حُللٌ مُجَدَّدَةٌ»^٢.

للآداب مساحة بسعة الحياة. وكل حقل أو بُعد من الحياة يشتمل على آداب خاصة به تضيفي عليه جمالاً وهيبة وكرامة خاصة. لقد عمدت المصادر الإسلامية إلى التعريف بآداب مختلف أبعاد الحياة، من قبيل: آداب المجالسة، وآداب المصاحبة، وآداب اللقاء، وآداب عيادة المريض، وآداب حسن الجوار، وقد تمّ تجنب الخوض في بحث هذه الأبعاد في هذه الدراسة؛ وذلك لأنّ البحث في هذه الأبعاد متشعب ويحتاج إلى دراسة مستقلة، وبناءً عليه فلا مجال لبحثها في هذه الدراسة. يُضاف إلى ذلك أنّ الكثير من المؤلفين قد تعرّضوا إلى هذا البحث في آثارهم المتعددة. إنّ المهم بالنسبة إلى هذا التحقيق هو أن الأداء الأصلي للآداب عبارة عن تجميل العلاقات الاجتماعية. «إنّ لكل شيء أدب، لو تمت رعايته سوف يكتسب شكلاً جميلاً للغاية.

١. الطبرسي، مشكاة الأنوار في غرر الأخبار، ١٣٥.

٢. الآمدي التميمي، غرر الحكم ودرر الكلم، ٢٤٧.

وفي الحقيقة فإنّ الآداب عبارة عن جماليّات تتزيّن بها الأعمال فتكتسب جمالاً وكمالاً^١. وعلى هذا الأساس، فإنّ الآداب الاجتماعيّة تستوجب زينة الارتباط بين الناس، وتعمل على خلق مشهد بديع وخلاب. وأحد أبعاد السلامة الاجتماعيّة هو شكل وإطار من الارتباط والتعامل الجميل والعذب والمحترم مع الآخرين، وهذا الأمر هو الآخر يُعدّ واحداً من المفاهيم المهمّة في السلامة الاجتماعيّة.

١. رباني، «ضرورت آداب اجتماعي از منظر اسلام».

الفصل الثالث:

النموذج الإسلامي للسلامة الاجتماعية

بعد استخراج العناوين والمفاهيم وتجميع النصوص وبيانها وتوصيفها، يتمّ في الخطوة الخامسة إدخال المفاهيم الإسلامية للسلامة الاجتماعية ضمن التحليل من المستوى الثاني، ويتمّ العمل على دراسة تلك المفاهيم على شكل مجموعة بشكل أعمق، ليتّمّ اكتشاف العلاقات القائمة فيما بينها. إنّ هذا المستوى من التحليل يستطيع تحديد نماذج السلامة الاجتماعية. في تحليل المستوى الثاني، يجب أخذ بعض المسائل بنظر الاعتبار، وهي أولاً: تحديد موقع كلّ مفهوم، وثانياً: تحديد مراتب المفاهيم بالنسبة إلى بعضها، وثالثاً: إمكان دمج المفاهيم في مفاهيم أوسع للحصول على كليات مفاهيم السلامة الاجتماعية في العلاقات القائمة بين الأفراد. وسوف نواصل هذا البحث فيما يلي:

أولاً: نموذج الموقع المحوري للسلامة الاجتماعية

بعد استخراج العناوين والمفاهيم وتجميع النصوص وبيانها وتوصيفها، يتمّ في

الخطوة الخامسة إدخال المفاهيم الإسلامية للسلامة الاجتماعية ضمن التحليل من المستوى الثاني، ويتمّ العمل على دراسة تلك المفاهيم على شكل مجموعة بشكل أعمق، ليتّم اكتشاف العلاقات القائمة فيما بينها. إنّ لتحليل المستوى الثاني عدّة اتجاهات؛ الاتجاه الأوّل لهذا التحليل عبارة عن «بيان الموقع وإيجاد النسبة». وفي هذا الاتجاه يتمّ التوصل إلى موقع كلّ واحد من المفاهيم، ثمّ يتمّ العمل بعد ذلك على بيان العلاقات القائمة بينها. ومن خلال هذا التحليل نحصل على الموقعيّات العشرة للسلامة الاجتماعية. وقد تمّ بيان موقع كلّ واحد من مفاهيم السلامة الاجتماعية في الجدول رقم (٤) أدناه:

الجدول رقم (٤): جدول معرفة الموقع

الموقع	المفاهيم	
	الفرعيّة	الأصليّة
قيمة ومنزلة الفرد بين الآخرين / منزلة الفرد في المجتمع ما هي منزلة وقيمة الفرد عند الآخرين؟ وما هي المنزلة التي يراها الآخرون له؟ وما هو موقفهم من شخصيّته؟	التغافل	١. العزّة والكرامة الاجتماعية
	الحمل على الصّحّة	
	الاعتذار	
	تقبّل الإنكار	
	الحماية والدفاع	
	الاحتقار (-)	
	التعير والطعن / اللوم (-)	
	تسقط العيوب (-)	
	الغيبة (-)	
	التهمة (-)	
	الشتّم / السباب (-)	

الفصل الثالث: النموذج الإسلامي للسلامة الاجتماعية ❖ ٢٢٥

العواطف والمشاعر بين الأفراد ما هي كَيْفِيَّةُ العواطف بين الأفراد؟ وما هو الشعور القائم فيما بينهم؟ هل هناك شعور بالموَدَّة والصدقة بينهم	الأنس	٢. الألفة والمحبة الاجتماعية
	الصديق	
	الأخ/ الأخوة	
	العداوة (-)	
	البغض (-)	
النسبة بين الأفراد ما هي النسبة القائمة بين الأفراد؟	_____	٣. الأخوة الاجتماعية
النسبة بين الأفراد ما هي النسبة القائمة بين الأفراد؟	_____	٤. الأسرة الاجتماعية
ممتلكات ومعطيات الأفراد ما هو موقف الآخرين تجاه أمن ممتلكات ومعطيات الفرد؟ وهل هناك شعور بالأمن من قبل الآخرين من هذه الناحية؟	المال/ الاقتصاد	٥. الحرمه/ الحرم الاجتماعي
	الدم/ النفس/ الروح	
	العرض/ السمعة/ الاعتبار	
	الدين والإيمان	
احتياجات الآخرين	_____	٦. التعاون الاجتماعي
احتياجات الآخرين	_____	٧. المواسة الاجتماعية
إيثار النفس أم الآخرين في أي شيء يتمّ الترجيح والتقديم؟	_____	٨. الإيثار الاجتماعي

نقاط الضعف والحاجة ما هي ردّة فعل الفرد تجاه ضعف الآخرين ونقصهم؟	_____	٩. التراحم الاجتماعي
الفوارق والاختلافات كيف تتمّ مواجهة الاختلافات بين الأفراد	الرفق	١٠. المداراة الاجتماعية
الكلام والتحاوّر بين الأفراد (التكلّم والاستماع)	حُسن الكلام	١١. حُسن الأخلاق
تجسيد صورة الوجه في الارتباط (الشاهد والمشهود)	حُسن البشر	
طريقة التماس النفسي كيف هو تعامله مع الآخرين؛ فظ أو لين؟	اللين والمرونة	
أجواء الإثارة بين الأفراد	الضحك والمزاح	
مزاج الفرد في مواجهة الآخرين عند الرضى كيف يتصرّف الفرد عند الرضى بسبب الظروف المؤاتية؟	الرضى في الأفراح	

الفصل الثالث: النموذج الإسلامي للسلامة الاجتماعية ❖ ٢٢٧

مزاج الفرد في مواجهة الآخرين عند الرضى كيف يتصرّف الفرد عند الغضب بسبب الظروف السيئة؟	عدم الرضى في الأتراح	
الغضب بين الأفراد كيف يتصرّف الفرد مع الآخرين عند الغضب	كظم الغضب	
المطالب للآخرين ما هي مطالبه بالنسبة إلى الآخرين؟ ما الذي يحبه للآخرين وما الذي لا يحبه لهم؟	_____	١٢ . الإنصاف الاجتماعي
الإحسان الحاصل ما هي ردة فعله تجاه ما يحصل عليه من الإحسان؟	_____	١٣ . التقويم الاجتماعي
السلوك الجاهل للآخرين ما هي ردة فعله تجاه السلوك الجاهل للآخرين؟ هل يغضب أم يحلم ويضبط نفسه؟	_____	١٤ . الصبر الاجتماعي
التعرّض للسوء والظلم ما هي ردة فعله تجاه الظلم الذي يتعرّض له؟ هل يتنازل عن حقّه ويعفو عن المسيء أم لا؟	الحقد (-)	١٥ . الصفح الاجتماعي
	الانتقام (-)	

١٦ . التواضع الاجتماعي	التكبر (ـ)	تبويب القيم بين الشخص والآخرين هل يُفضّل الآخرين على نفسه؟ هل يشعر بالاستعلاء على الآخرين أم بالتواضع
١٧ . حبّ الخير الاجتماعي	_____	مصير الآخرين ما هو مدى تفكيره بالآخرين واهتمامه بمصيرهم؟
١٨ . الإصلاح الاجتماعي	_____	الاختلافات الاجتماعية ما هو مدى أهميّة الارتباط السليم مع الآخرين بالنسبة إليه، وسعيه من أجل إصلاح هذا الارتباط؟
١٩ . الدفع والردع الاجتماعي	_____	مصير الآخرين ما هو مدى تفكيره بالآخرين واهتمامه بمصيرهم؟
٢٠ . الأمانة الاجتماعية	_____	الودعة والأمانة بين الناس كيف يتعامل مع أمانة الآخرين؟ وما هو مدى سعيه في الحفاظ عليها وإعادتها إلى أصحابها
٢١ . الصدق الاجتماعي	_____	واقعيّات الحياة ما هو مدى تطابق القول والفعل مع الحقائق؟ وهل «وجوده» و«ظهوره» واحد أم لا؟

العهد والميثاق ما هو مدى تمسّكه بالعهود والمواثيق الاجتماعية والعمل على رعايتها	_____	٢٢ . الوفاء الاجتماعي
حماس الارتباط / بين الأفراد ما هو مدى الحماس الإيجابي في أجواء الارتباط بين الأفراد	إدخال السرور	٢٣ . النشاط الاجتماعي
شكل الارتباط والتعامل ما هو مدى اقتران السلوكيات الاجتماعية برعاية الآداب والجماليات الارتباطية	_____	٢٤ . الآداب الاجتماعية

إن القراءة المتجددة للمواقع أثبتت أنّ بعضها يشترك مع بعضها الآخر؛ ومن هنا تمت إعادة بحث ودراسة هذه المجموعة مرّة أخرى بواسطة اتجاه التشابه/ الاختلاف.

لقد أثبتت الدراسات أنّ بعضها كان متداخلاً في بعضها، ونتيجة لذلك كانت تعمل على إيجاد موقعيات أكبر. لقد تمّ تبويب الموقعيات العامة للسلامة الاجتماعية ضمن عشرة طبقات، نشاهدها ضمن الجدول أدناه:

الجدول رقم (٥): تبويب الموقعيات

الموقعية	مفاهيم هامش الموقعية
ممتلكات الآخرين	الحرمة (الحريم) الاجتماعية، العزة والمنزلة الاجتماعية
ضعف الآخرين وحرمانهم	التعاون الاجتماعي، المواساة الاجتماعية، الإنصاف الاجتماعي، الإيثار الاجتماعي، التراحم (الرحمة) الاجتماعي
مصير الآخرين	الخير الاجتماعي (النصيحة)، الدافع والرداع الاجتماعي
الإحسان المتحصّل (المُدرّك)	التقويم الاجتماعي
الإساءة المتحصّلة (المُدرّكة)	الصفح الاجتماعي، الحلم الاجتماعي
المنزلة المُدرّكة	التواضع الاجتماعي
العواطف بين الأفراد في العلاقة	المحبة الاجتماعية، الألفة الاجتماعية، الرحمة الاجتماعية، الأخوة الاجتماعية، الأسرة الاجتماعية
العهود والمواثيق الاجتماعية	الوفاء الاجتماعي، الصدق ورعاية الأمانة
شكل الارتباط وإطاره	الآداب الاجتماعية، حُسن الخلق
الحماس الارتباطي	النشاط الاجتماعي

الفصل الثالث: النموذج الإسلامي للسلامة الاجتماعية ❖ ٢٣١

لقد تمّ بيان هذا التبويب في لجنة الخبراء. وقد ورد تقرير لجتتين للخبراء في الجدول رقم (٦)، على النحو أدناه:

الجدول رقم (٦): معرفة موقع المفاهيم / لجتتي الخبراء

مفاهيم السلامة الاجتماعية	الموقعيّة في الحياة الاجتماعية	حجم الارتباط		ميزان الارتباط	
		الدرجة (من ٤)	المئوية	الدرجة	المئوية
الحرمة (الحريم) الاجتماعية	ممتلكات الآخرين (المال، الروح، الإيمان، السّمة)	٣ / ٦٥	٥٢ / ١٩٪	٦٥ / ٣	٥٢ / ١٩٪
التعاون الاجتماعيّ، المواساة الاجتماعية، الإنصاف الاجتماعيّ، الإيثار الاجتماعيّ، التراحم (الرحمة) الاجتماعيّ	الحاجة، ضعف وحرمان الآخرين	٦ / ٣	٩٠٪	٧ / ٣	٥ / ٢٩٪
حبّ الخير الاجتماعيّ (النصيحة)، الدافع والرداع الاجتماعيّ	مصير الآخرين	٣	٧٥٪	٣ / ٥	٢٥ / ٧٦

٢٣٢ ❖ النموذج الإسلامي للسلامة الاجتماعية

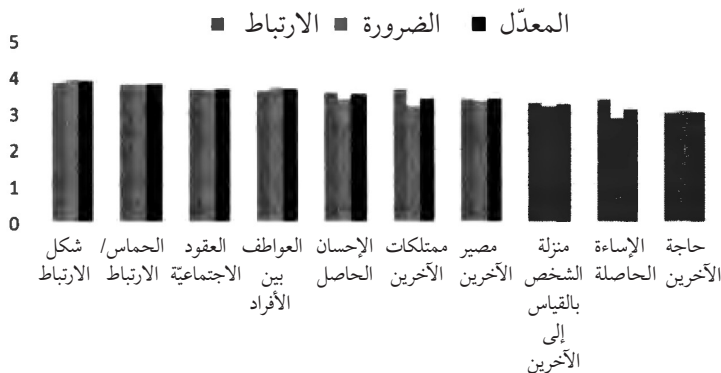
التقييم الاجتماعيّ	الإحسان الحاصل من الآخرين	٦٥ / ٣	٢٥ / ٩١٪	٢ / ٣	٨٠٪
الصفح الاجتماعيّ، الحِلْم الاجتماعيّ	الإساءة الحاصلة من الآخرين	٥٥ / ٣	٧٥ / ٨٨٪	٤ / ٣	٨٥٪
التواضع الاجتماعيّ	منزلة الشخص بالقياس إلى الآخرين	٤ / ٣	٥٨٪	٨٥ / ٢	٢٥ / ٧١
المحبّة الاجتماعيّة، الألفة الاجتماعيّة، الرحمة الاجتماعيّة، الأخوّة الاجتماعيّة، الأسرة الاجتماعيّة	العواطف بين الأفراد في الارتباط مع الآخرين	٨ / ٣	٩٥٪	٨ / ٣	٩٥٪
الوفاء الاجتماعيّ، الصدق ورعاية الأمانة	العهود والمواثيق الاجتماعيّة	٨٥ / ٣	٢٥ / ٦٩٪	٩٥ / ٣	٧٥ / ٨٩٪
الآداب الاجتماعيّة، حُسن الخلق	شكل وإطار الارتباط مع الآخرين	٤ . ٣	٨٥٪	٢٣ / ٣	٧٥ / ٣٨٪

الفصل الثالث: النموذج الإسلامي للسلامة الاجتماعية ❖ ٢٣٣

٨٠٪	٢ / ٣	٥ / ٢٨ ٪	٣ . ٣	الحماس في الارتباط مع الآخرين	السرور والفرح الاجتماعي
-----	-------	----------	-------	----------------------------------	----------------------------

ثم تمّ أخذ المعدّل بين شاخصين، وتبيّن أنّ قالب الارتباط بدرجة ٣ / ٥ / ٩٧٪) يحظى بالامتياز الأكبر، ويحظى احتياج الآخرين بدرجة ٣ (٧٥٪) بامتياز أقلّ. وفي المجموع فإنّ هذا التحليل قد حصل بدوره على امتياز كبير من لجنة الخبراء (النموذج رقم: ٢). والملفت أنّ موقعية قالب وشكل الارتباط الذي يُشكّل حُسن الخلق جزءاً منه، قد حصل في هذا القسم على الامتياز الأكبر!

النموذج رقم (٢): موقعية معرفة المفهوم



الجدول رقم (٩): تبويب الموقعيّات العشرة

الموقعيّة	المفاهيم في هامش الموقعيّة	التبويب
ممتلكات الآخرين	الحرمة (الحريم) الاجتماعية، العزّة والمنزلة الاجتماعيّة	الموقعيّات الناطرة إلى الآخرين
ضعف ومحرومية الآخرين	التعاون الاجتماعيّ، المواساة الاجتماعيّة، الإنصاف الاجتماعيّ، الإيثار الاجتماعيّ، التراحم (الرحمة) الاجتماعيّ	
مصير الآخرين	حبّ الخير الاجتماعيّ (النصيحة)، الدافع والرادع الاجتماعيّ	
الإحسان الحاصل (المُدرك)	التقويم الاجتماعيّ	الموقعيّات الناطرة إلى الذات
الإساءة الحاصلة (المُدركة)	الصفح الاجتماعيّ، الحلم الاجتماعيّ	
المنزلة المُدركة	التواضع الاجتماعيّ	

الموقعيات النافذة إلى العلاقة	المحبة الاجتماعية، الألفة الاجتماعية، الرحمة الاجتماعية، الأخوة الاجتماعية، الأسرة الاجتماعية	العواطف بين الأفراد في العلاقة
	الوفاء الاجتماعي، الصدق ورعاية الأمانة	العهود والمواثيق الاجتماعية
	الآداب الاجتماعية، حسن الخلق	شكل وقالب الارتباط
	النشاط الاجتماعي	الحماس الارتباطي

نحصل من هذا التحليل على نموذج موقعية محور السلامة الاجتماعية. وهذا النموذج يُساعد المخططين على التعرف إلى خلفيات تبلور السلامة الاجتماعية، ويضعون خططهم ومشاريعهم على هذا الأساس. اتضح في هذا التحليل أنّ ثمة في المجموع عشر موقعيات في الحياة الاجتماعية، حيث تبلور ضمنها مفاهيم السلامة والآفات الاجتماعية. إنّ التخطيط الصحيح لهذه الموقعيات العشرة يؤدي إلى خفض الآفات الاجتماعية وزيادة السلامة الاجتماعية على مستوى الأفراد.

إنّ المطالعات الاكتشافية المجددة لهذه الموقعيات العشرة قد أثبتت أنّنا عندما ندرسها ضمن العلاقة والتعامل، سوف نحصل على تبلور تبويبات جديدة؛ ومن هنا يتم إخضاع هذه الموقعيات مرة أخرى إلى بحثها ودراستها من زاوية النسبة

الحاصلة لها من خلال التواصل والتعامل. وكانت نتيجة هذه الدراسة هي أنّ هذه الموقعيّات العشرة قد تمّ تبويبها ضمن ثلاث موقعيّات «ناظرة إلى الآخرين»، و«ناظرة إلى الذات»، و«ناظرة إلى العلاقة». وفيما يلي سوف نعمل على توصيف وبيان هذه النتيجة:

١. الموقعيّات النازرة إلى الآخرين

بعض مفاهيم السلامة الاجتماعية ناظر إلى موقعيّة الآخرين وأوضاعهم. وتوجد سلسلة من الأمور تعمل بمجموعها على تكوين الحالة الخاصّة بكلّ فرد، من قبيل: الحرمان، والغنى، والشخصيّة، والمصير. وفي هذه الأمور تكون السلامة الاجتماعية رهناً بالموقف الذي يجب أن يتّخذه الشخص الآخر، بحيث يضمن الحفاظ على مصالح الطرف الأوّل. إنّ المفاهيم الخاصّة بهذه المجموعة عبارة عن: الحرمة (الحريم) الاجتماعية، والتعاون الاجتماعيّ، والإنصاف الاجتماعيّ، والعزّة والكرامة الاجتماعية، وحبّ الخير الاجتماعيّ، والدافع والرداع الاجتماعيّ. وفيما يلي سوف نعمل على تحليل هذه المجموعة من المفاهيم:

أ. ممتلكات الآخرين

لكلّ شخص في حياته ممتلكات تحظى بالاحترام من وجهة نظره، وهذه الممتلكات تشمل: المال والنفس والكرامة والدين والعقائد التي يعتنقها كلّ شخص. والسلامة الاجتماعية تعني أن تبقى حرمة هذه الأمور الأربعة مصانة ولا يلحق بها أيّ ضرر من قبل الآخرين. والإضرار بالنفس والروح يستوجب دفع الدية أو

القصاص، كما أنّ للضرر الماليّ عقوباته الخاصّة في الشرع والقانون أيضًا، وكذلك فإنّ الضرر الماليّ يشمل الحسد أيضًا، وهو أمر يتنافى مع الأخلاق، حيث إنّ السلامة الاجتماعية تقتضي أن تكون أموال الآخرين في مأمن من الظلم والغصب والإتلاف والحسد وما إلى ذلك، ولا سيّما حرمة العرض، حيث يحظى بحرمة أكبر، فالحرمة والشخصيّة الاجتماعية للأفراد تعدّ من أهمّ الأشياء بالنسبة إليهم. ومن الخصائص المهمة في السلامة الاجتماعية الحفاظ على حرمة الآخرين وشخصيّتهم. والحفاظ على الحرمة والشخصيّة الاجتماعية للأفراد نموذج متعدّد الأوجه، وأحد هذه الأوجه يتمثّل بذات الفرد الذي يتعيّن عليه أولاً: أن يُبعد نفسه عن دائرة الشبهة ومواضع التهمة، وأن يعمل ثانيًا: على زيادة منزلته الاجتماعية من خلال رعاية الأصول والآداب، والوجه الآخر لهذا النموذج يتمثّل في الآخرين، حيث يتعيّن على الآخرين من جهة أن يجتنبوا بعض الأمور الهاتكة للحرّمات من قبيل: تسقط العيوب، واللوم، وفضح العيوب والكشف عن الأخطاء واتهام الآخرين، ومن ناحية أخرى يجب أن يتحلّى بالسلوك القائم على أساس الكرامة ويعمل على تكريم الآخرين؛ حيث يكون لمصاديق ذلك تجلّيات متعدّدة بما يتناسب مع الموقعيّات والأفراد والأزمنة والأمكنة وحتىّ الثقافات وسائر المتغيّرات الأخرى. وإنّنا المهمّ في البين هو أن يكون سلوك الآخرين بحيث يشعر الشخص المقابل بالكرامة والاحترام والقيمة. والوجه الثالث لهذا النموذج هو الدفاع عن الشخص الذي يتعرّض للهجوم وتشويه السمعة والنيل من شخصيّته. وتقع على عاتق الآخرين مسؤوليّة اجتماعية تقتضي منهم الدفاع عن الشخص المتضرّر أو الذي يتعرّض

للهجوم، ويحولون دون تضرّر منزلته وحرمة الاجتماعية للضرر، سواء أكان هذا الهجوم على شكل اتهام أو غيبة.

ب. ضعف وحرمان الآخرين

توجد نقاط ضعف وحرمان في حياة كلّ شخص، وحرمان الآخرين واحتياجهم يُشكل أرضية لتشخيص السلامة أو الضرر الاجتماعيّ، فجميع الأشخاص يحتاجون إلى مساعدة الآخرين في حياتهم. ومن خصائص السلامة الاجتماعية أن يشعر الآخرون بالمسؤوليّة تجاه حاجة الآخرين وضعفهم، وأن لا يمرّوا على ذلك مرور الكرام. ومن المفاهيم المهمّة في هذا الشأن هو التعاون الاجتماعيّ الذي يستوجب التعاضد والمشاركة في القيام بالأمر المناسبة. ويمكن بيان مفهوم المساواة في هذا الإطار؛ حيث يُعدّ الآخرون على هذا الأساس مشاركين ومساهين للفرد في أمواله وممتلكاته ويستفيدون منها أيضًا. ومن زاوية أخرى تندرج الرحمة والتراحم الاجتماعيّ بدورها ضمن هذه المجموعة أيضًا. عندما تُستثار العواطف الإنسانية من أجل ضعف وعجز الآخرين، يُسمّى ذلك رحمة.

كما يمكن طرح مفاهيم الإنصاف والإيثار أيضًا وإن على نحو غير مباشر، ولكن بوصفها أسسًا لتلبية احتياجات الآخرين. فإنّ تبلور الإنصاف يؤدّي بالمنصف إلى اعتبار الآخرين نظراءه في الخلق، ويشعر بالمسؤوليّة تجاههم، والإيثار يدعوه حتّى إلى ترجيح كفّة الآخرين على نفسه أيضًا، وعلى هذا الأساس يمكن للتعاون والمواساة في ضوء الإنصاف والإيثار أن يعمل على رفع ضعف الآخرين وحاجتهم؛ ولذلك فإنّه يُعدّ من الخصائص المهمّة في السلامة الاجتماعية.

ج. مصير الآخرين

إنّ مصائر الآخرين هي الأخرى من خلفيات تبلور السلامة الاجتماعية أيضًا، حيث إنّ حياة الإنسان هادفة، ويجب أن تنطوي على عاقبة ومصير حافل بالنجاح والسؤدد ليبلغ الإنسان مرحلة الفلاح والسعادة. والحياة ليست عبارة عن تصرّم الزمن وانتهاء اللحظات، وإنّما لحظات الحياة بمنزلة العقد والدرزات في حياة السجاد، حيث تشكّل كلّ واحدة منها بالإضافة إلى الأخريات نقشًا وصورة متكاملة. وكذلك فإنّ سلوك الإنسان بمثابة البنات التي يتمّ رصفها واحدة فوق أخرى لتشكّل جدارًا وصرحًا قائمًا ومتكاملًا. وفي هذا البين بالإضافة إلى الجهود الفردية، يكون ثمة دور مهمّ للآخرين أيضًا، فمن المفاهيم المهمة في السلامة الاجتماعية الشعور بالمسؤولية تجاه مصير الآخرين. في المجتمع السليم تكون هناك حساسية تجاه مصائر الآخرين، ولا يمكن للأفراد أن يلتزموا الحياد وعدم المبالاة تجاه سقوط بعضهم، ومفهوم النصيحة وحبّ الخير الاجتماعيّ يختصّ بهذا الأمر. والنصيحة تعني أن يضع الناصح أفضل ما لديه من الآراء في إطار سعادة وفلاح الشخص الطالب للنصيحة.

والمفهوم الآخر هو مفهوم الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، والمعروف هو عنصر الوصول إلى السعادة والنجاح، والمنكر سبب الإخفاق والفشل. في المجتمع السالم يعمل الأفراد بتشجيع وحثّ بعضهم على القيام بالأفعال الصالحة والنافعة التي تضمن السعادة للإنسان، ويدعون بعضهم عن القيام بالأعمال القبيحة التي تؤدّي إلى البؤس والهوان. إن مجموع حبّ الخير والدفع والردع الاجتماعيّ هي

بمثابة المنظومة الوقائية وجهاز تقوية المناعة لدى الإنسان؛ حيث يحافظ عليه من الإصابة بالمرض أو التعرّض للموت، ويعزّز قدراته من أجل الوصول إلى الكمال والسعادة.

٢. الموقعيّات الناضرة إلى الذات

توجد سلسلة من الأمور في الحياة الاجتماعية يحصل عليها الإنسان من الآخرين. والمراد من هذه الأمور عبارة عن أفعال الآخرين، بحيث تصل آثارها إلى الشخص الآخر، وتترك تأثيرها (الإيجابي أو السلبي) عليه. إنّ طريقة التعامل معها يمكن أن تحدّد ملاك ومعيّار السلامة الاجتماعية، حيث نعمل على بيانها تباعاً:

أ. الخير الحاصل

تارة يصل الخير والصالح إلى الشخص من الآخرين. وفي قبال اللطف والإحسان يمكن إظهار ردود أفعال مختلفة: ومن بينها «المقابلة المتكافئة»؛ بمعنى الردّ على الإحسان بإحسان مثله، وهذا واحد من ملاكات السلامة الاجتماعية. وفوق ذلك تأتي «المعاملة بالتي هي أحسن»؛ بمعنى أن تردّ على إحسان الناس بما هو أفضل من إحسانهم، وهذا هو الذي يتمّ التعبير عنه في الأدبيّات الدينيّة بمفهوم «الشكر». وهذا بدوره يعدّ واحداً من ملاكات السلامة الاجتماعية. إنّ شكر المحسن إنّما هو في الحقيقة شكر الله، فالله سبحانه وتعالى يحبّ أن يتمّ تقديم واجب الشكر لواسطته في النعمة أيضاً؛ ولذلك إذا لم يتمّ شكر المحسن، فلن يتحقّق شكر الله في الواقع. إنّ تأثير شكر الشخص المقابل، أكثر ثباتاً ودواماً من فعل الخير نفسه. والشكر

يؤدّي إلى استقرار العاطفة الإيجابية على نحو أعمق وأكبر بين الأشخاص، ونتيجة لذلك سوف يبقى هذا التأثير لمدة زمنية أطول. إنّ الشكر يترك تأثيره على السواء في الشخص الموافق وفي الشخص الممتنع؛ وبطبيعة الحال سوف يكون تأثيره في كلتا الحالتين مختلفاً. إذا كانت بين الأشخاص علاقات وصلات إيجابية، فسوف تترتب على الشكر المتبادل نتيجتان وهما: زيادة الرضى، وزيادة الوفاء. وأما إذا ساد بينهم الاستياء والكدر، فإنّ الشكر سوف يعمل على إصلاح العلاقات، وعودة العواطف.

ب. الإساءة الحاصلة

ومن الأمور التي تعرّض السلامة الاجتماعية إلى الخطر هي الأخطاء المحتملة من الأشخاص عند التعامل فيما بينهم، وعلى الرغم من أنّه لا يمكن القبول بالخطأ، ولكنّه حقيقة واقعة. ولا شكّ في أنّ كلّ واحد من الأشخاص سوف يواجه حدوث خطأ أو زلل من الآخر. وعليه لا ينبغي بنا توقّع «السلوك الخالي من الخطأ»، أو «التعامل من دون خطأ». وإنّنا المهم هو ردّة فعلنا تجاه هذا السلوك الخاطئ. إنّ السلامة الاجتماعية في هذه الحالة رهن بقدرتنا ومهارتنا في مواجهة هذه الحقيقة. ومن بين النماذج «ردّ الفعل المتكافئ»، حيث يقوم الشخص باستيفاء حقّه ويطالب بال مكافأة، ويمكن لهذا النموذج أن يتمّ تقويمه من الناحية الشرعية والعقلية على أنّه أمر صائب، يمكن لهذا النموذج أن يكون معياراً وملاكاً للسلامة الاجتماعية؛ حيث يرضى الشخص بالمقابلة المتساوية، ولا يطالب بما هو أكثر من حقّه. وقد سمح الله

سبحانه وتعالى في بعض الموارد بـ«المقابلة بالمثل»، وذلك من خلال تأكيده على أصل «المماثلة» بين الإجابة السلبيّة وبين السلوك السلبيّ. والنموذج الآخر هو «ردّ الفعل الأفضل»، حيث لا يقوم الشخص في ردّة فعله بالظلم، ولا يمتنع عن المطالبة بحقه فحسب، بل يصفح عن ذلك، ويصفّي قلبه أيضًا، وهذه تمثل ردّة فعل كريمة تجاه إساءة الآخرين، حيث يقوم الشخص بالصفح عن الآخر من باب التفضّل والترفع. يرى القرآن الكريم أنّ جزاء السيئة سيئة مثلها، وأمّا لو أثر الشخص الصّفيح والإصلاح في قبال الإساءة، فإنّ أجر الذي يؤثّر الصّفيح سوف يكون على الله، فالصفح معيار أسمى للسلامة الاجتماعيّة.

إنّ السلوك الجاهل وغير الحكيم من قبل الآخرين يستدعي ردًّا سيئًا من جنسه أيضًا. وردّة الفعل المناسبة تجاه هذا النوع من الأفعال هو الحلم، والحلم عبارة عن ردّة فعل واعية وحكيمة من نوع ضبط النفس تجاه جهل الآخرين الذي يستوجب الغضب، فالحلم يعني عدم التعجّل، أو التعاطي المتين وعدم التسرّع في الردّ أثناء الغضب. والشخص الحليم يتصرّف بحبّ وثبات ومن دون تأثّر بالانفعالات، ردّة فعله لا تكون ناجمة عن الطيش والحرق والتزق. والتأثير الاجتماعيّ للحلم عبارة عن زيادة التعاطف والتراحم الاجتماعيّ، فعندما يرى الناس بوصفهم مراقبين اجتماعيين حلم المظلوم؛ فإنّهم ينجذبون إليه ويحدث لديهم نوع من التعاطف والدعم الاجتماعيّ لمصلحته، كما أنّ من نتائج الحلم هو الصلح والسلم الاجتماعيّ. وأمّا لو ضرب الشخص على طبل المقابلة بالمثل، فإنّه سوف يزيد من دائرة الاضطراب الاجتماعيّ، وقد تستمرّ هذه المقابلة على شكل سلسلة لا متناهية

من الأفعال وردود الأفعال. وأمّا الحلم فإنّه سوف يقطع سلسلة الخصومات؛ لأنّه يطفى نار الغضب. وعلى هذا الأساس، فإنّ الشاخص والمعيّار المهمّ الآخر الذي يضمن السلامة الاجتماعيّة هو «الحلم».

ج. المنزلة المدركة

ومن أبعاد الارتباط الاجتماعيّ قيمة الأفراد ومنزلتهم عند الآخرين. والمسألة في هذا البعد تكمن في المنزلة الاجتماعيّة والمكانة التي يحصل عليها الفرد، وكذلك في طريقة تقويم الشخص نفسه بالمقارنة مع الآخرين من الناحية القيّميّة ومن حيث المكانة والمنزلة؟ وفيما يتعلّق بمنزلته، هناك عدّة حالات، أحدها: منزلته عند نفسه؛ بمعنى القيمة والاعتبار الذي يراه الشخص لذاته ونفسه. إنّ هذه الحالة تعدّ مسألة فرديّة وخارجة عن موضوع السلامة الاجتماعيّة. وفي هذه الحالة يذكر الشعور بالكرامة وعزّة النفس بوصفها معياراً وشاخصاً فرديّاً مهمّاً. والحالة الأخرى هي المنزلة التي يراها الفرد لنفسه في قبال الآخرين، وفي هذه الحال حيث تردّ مسألة المقارنة مع الآخرين، فإنّها تصبح مسألة اجتماعيّة وارتباطيّة. وهنا تكمن مسألة «المقارنة في العلاقات الاجتماعيّة». ولهذه المقارنة بُعدان، وهما: بُعد «أنا خير منه»، وبُعد «هو خير مِنّي». إنّ تقويم الأشخاص يمكن أن يتمّ عبر واحد من هذين البُعدين؛ والبُعد الأوّل هو بُعد «الشیطان»، فعندما سُئل الشيطان: لماذا لم تسجد لآدم؟ قال في الجواب: «أنا خير منه». وأمّا البُعد الثاني فهو بُعد «الدين»، فقد روي في المأثور عن رسول الله ﷺ أنّه قال: «لا يرى أحداً إلّا قال: هُوَ خَيْرٌ مِنِّي وأتقى».

ثم يقوم النبي الأكرم ﷺ بشرح وبيان هذا العنصر، ويقول إن الذي يقوم بمقارنة نفسه بالقياس إلى الأشخاص يكون إما أفضل (الأخيار) أو أسوأ منهم (الأشرار). وقد عمد النبي في هذا المورد إلى تطبيق بُعد «هو خير مني» في هذا التبويب. إن تطبيق هذا البعد في طائفة الأخيار، يكون من خلال الإقرار بأفضلية الآخرين والتواضع أمامهم. وتطبيق بُعد «هو خير مني» في الطائفة الثانية (الأشرار)، بأن يقول: عسى أن يكون شره ظاهر وخيره باطن، وعسى أن تكون عاقبته إلى خير. وعلى هذا الأساس، فإن التواضع أمام الآخرين سواء أكانوا من الأخيار أو من الأشرار، يُعدّ من الملاكات والمعايير المهمة في السلامة الاجتماعية. حيث قال رسول الله ﷺ في ختام كلامه بشأن نتائج بُعد «هو خير مني»: «فَإِذَا فَعَلَ ذَلِكَ فَقَدْ عَلَا مَجْدُهُ وَسَادَ أَهْلَ زَمَانِهِ»^١.

وأما الحالة الأخرى، فهي منزلة الفرد عند الآخرين. فإن الآخرين ملزمون بتكريم الشخص واحترام منزلته الاجتماعية، وهذا شيء يرتبط بالآخرين، وقد تمّ التعرّض إليه في الفقرة (أ). بيد أن هذه الحالة صورتان أخريان أيضًا ناظرتين إلى الفرد نفسه، وهما أولًا: ردّة فعل الفرد تجاه تكريم الآخرين له، وثانيًا: ردّة فعل الفرد تجاه امتهان الآخرين وتجاهلهم لمنزلته، وهاتان الصورتان تعدّان بدورهما من حالات تبلور السلامة الاجتماعية أيضًا. فإن جانبًا من تعاملنا مع الآخرين يشمل مسألة الثناء والتكريم من جهة، ومسألة الامتهان وعدم الاهتمام من جهة أخرى. ومن هنا فإن جانبًا من مهارات الارتباط بالآخرين والتواصل معهم يعود إلى كيفة

١. الصدوق، الخصال، ٤٣٣، ح ١٧؛ الطوسي، الأمالي، ١٥٣؛ ابن شعبة الحزّاني، تحف العقول، ٤٤٣.

التعاطي مع هذه الحالات. علينا أن نعلم ما هي ردّة الفعل التي يجب أن نتخذها تجاه هذه الحالات والظواهر المتنوّعة. فقد ورد في الأثر أنّ الإمام زين العابدين عليه السلام قد أشار إلى مسألة الحصول على التكريم من قبل الآخرين، وبين الطريقة الصحيحة للتعامل مع هذا التكريم بحيث لا نكون من ذوي المنّ عليهم، ونعتبرهم أفضل ممّا نحن عليه. قال الإمام السجاد عليه السلام في الاحتفاء الاجتماعيّ وكيفية التعاطي معه: «وَإِنْ رَأَيْتَ الْمُسْلِمِينَ يُعْظَمُونَكَ وَيُوقَرُونَكَ وَيُبَجِّلُونَكَ فَقُلْ هَذَا فَضْلٌ أَخَذُوا بِهِ». فأنّ يعتبر الإنسان تكريم الآخرين له دليلاً على علوّ شأنهم، يُعدّ من خصائص السلامة الاجتماعيّة وملاكاتها. بيد أنّ تكريم الآخرين قد يفتح باب التكبر والاستعلاء لدى الشخص؛ فيرى نفسه أفضل من الآخرين، ولكن من خلال الاستفادة من الطريقة التي ذكرها الإمام زين العابدين عليه السلام يمكن للفرد أن يحول دون السقوط في هذه الآفة. ولكن ما الذي يمكن فعله حيال امتهان الآخرين لنا؟ يقول الإمام السجاد عليه السلام في تنمّة الحديث الأنف: «وَإِنْ رَأَيْتَ مِنْهُمْ جَفَاءً وَإِنْقِبَاضاً عَنْكَ فَقُلْ هَذَا لِدَنْبٍ أَحْدَثْتُهُ»^١. فأنّ يعمل الإنسان على إرجاع تكريم الآخرين إليهم، وأنّ يعتبر امتهانهم وتجاهلهم له نتيجة لسوء فعله، من المعايير الأخرى للسلامة الاجتماعيّة.

٣. الحالات النازرة إلى طرفي العلاقة

وبعض الأبعاد في العلاقات الاجتماعيّة لا تخصّ طرفاً بعينه، وإنّما تشمل كلا الطرفين، وهذه الأبعاد إنّما هي رهن بأصل الارتباط والتعامل، وليست طرفاً في

١. الصدوق، الخصال، ٢: ٤٣٣، ح ١٧.

العلاقة. وبعبارة أخرى: إنّ بعض الأمور ناظرة إلى «طرفي الارتباط»، وبعضها الآخر ناظر إلى «الارتباط». ويمكن تبويب هذه الأمور ضمن ثلاث مجموعات، وهي: المشاعر، والعهود، والآداب. وسوف نعمل على بيان هذه الأمور تباعاً على النحو الآتي:

أ. المشاعر المتبادلة بين الأفراد

١. إن المحبة والمودة الاجتماعية تعدّ من مفاهيم السلامة الاجتماعية. والمراد من المودة الاجتماعية هو وجود العاطفة الحميمة والصدقة المقرونة بالمحبة بين الناس؛ بحيث يحبّ بعضهم بعضاً. فمن دون الارتباط العاطفيّ وتبادل المشاعر بين الناس سوف تصبح الحياة الاجتماعية صعبة ومعقّدة. وعليه يمكن للمحبة والمودة القائمة بين الناس أن تشكّل معياراً لتشخيص السلامة الاجتماعية. ومن بين المطالب المهمة التي ورد التأكيد عليها بالإضافة إلى إقامة الارتباط والتواصل كثرة الارتباط والتواصل الودّي، فقد ورد التصريح في النصوص الدينية بالحثّ والتشجيع على زيادة عدد الأصدقاء. فإنّ الإنسان إنّما تتسع شخصيته بعدد أصدقائه، فعندما يكثر الارتباط الودّي مع الآخرين، فسوف يمثّل ذلك سعة في وجود الفرد؛ لأنّه يضيف بذلك قدرات الآخرين إلى مقدرته الخاصّة. ومن هنا يمكن عدّ سعة دائرة الارتباط ومساحة التواصل مع الآخرين من الخصائص والمعايير الأخرى للسلامة الاجتماعية.

٢. الارتباط علاقة ذات طرفين؛ ولذلك فإنّ الألفة والمودة بين الطرفين تشكّل

أفضل أنواع الارتباط العاطفي، ومعنى الارتباط المتبادل والعلاقة ذات الطرفين هو أن يكون كلّ واحد من الناس عبارة عن مرسل ومستقبل للألفة والمودة، فإن هناك من هو مثل الصندوق العاديّ، لا يمتلك القدرة على استقبال الإشارات الصوتيّة والتصويريّة، ولا هو قادر على إرسالها. وهناك من يمتلك القدرة على مجرّد استقبال الإشارات، من قبيل: المذيع والتلفاز. ومنهم من يمتلك القدرة على مجرّد الإرسال، من قبيل: الأقمار الاصطناعيّة، وثمة من يمتلك القدرة على الأمرين معاً؛ فلهذه القدرة على الاستقبال والقدرة على الإرسال أيضاً. ومن هذه الناحية هناك أربعة نماذج للارتباط:

النموذج الأوّل: هو الذي لا يُحِبّ ولا يُحَبّ، فإنّ مشاعر وعواطف هذا النموذج من الناس لا تُستثار لمظاهر محبة الآخرين، ولا يُمكن لهذا النموذج أن يدرك مشاعر الآخرين. وهؤلاء لا يمكنهم إشباع عواطفهم، ولا يقدرّون على إرضاء مشاعر الآخرين.

النموذج الثاني: الذي يُحِبّ ولا يُحَبّ، وهذا النموذج من الناس يدرك مشاعر الآخرين ويغتنب بها ويستفيد منها، ولكنّه لا يمتلك القدرة على الاستجابة العاطفيّة لها. فإنّ هؤلاء وإن كانوا يقدرّون على إشباع حاجتهم العاطفيّة، ولكنّهم لا يستطيعون إشباع حاجات الآخرين من هذه الناحية.

النموذج الثالث: الذي يُحِبّ ولا يُحَبّ، وهذا النموذج يمكنه لأيّ سبب من الأسباب أن يحبّ الآخرين، ولكنّه لا يستطيع إدراك الحبّ المتقابل الذي يُبديه الآخرون. فهؤلاء قد يتمكنون من إشباع وإرضاء حاجة الآخرين من الناحية

العاطفيّة، ولكنّهم لا يستطيع تلبية حاجة أنفسهم.
 النموذج الرابع والأخير: الذي يُحِبُّ ويُحَبُّ، وهذا النموذج يمتلك القدرة على حُبِّ الآخرين كما يمتلك القدرة على إدراك محبة الآخرين له. ومن هنا فإنّه يلبي حاجته العاطفيّة، كما يلبي الحاجة العاطفيّة للآخرين أيضًا.

نماذج الارتباط العاطفيّ			
لا يُحِبُّ ولا يُحِبُّ	يُحِبُّ ولا يُحِبُّ	يُحِبُّ ولا يُحِبُّ	يُحِبُّ ويُحِبُّ
عدم الارتباط العاطفيّ من الطرفين	الارتباط العاطفيّ من طرف واحد (الاستقبال)	الارتباط العاطفيّ من طرف واحد (الاستقبال)	الارتباط العاطفيّ المتبادل (الاستقبال/ الإرسال)

٣. من المفاهيم المهمّة الأخرى لهذا البحث الرحمة الاجتماعية، فالإنسان كائن محتاج، حيث يحتاج إلى مختلف الأمور، ويواجه طوال حياته مختلف النواقص. والأشخاص الذي يمتلكون قلوبًا رقيقة وعواطف مرهفة، سوف تستثار عواطفهم تجاه عجز أبناء جلدتهم وحاجتهم، ويبدون ردود فعل إيجابية تجاههم. والذين يمتلكون الرحمة يستطيعون إدراك حاجة الآخرين وما ينقصهم، كما يمتلكون القدرة على التعاطف معهم وبذل جانب اللين والرحمة تجاههم. وعلى هذا الأساس، فإنّ الرحمة الاجتماعية تُعدّ واحدة من المفاهيم المهمّة في السلامة الاجتماعية.

٤. ومن بين الأبحاث المهمة الأخرى في العواطف والمشاعر العلاقة بين أفراد المجتمع. والسؤال هو: ما هي العلاقة التي يشعر بها أفراد المجتمع فيما بينهم وبين الآخرين؟ فمن بين الخصائص السلبية في المجتمع شعور الأفراد بالاغتراب عن بعضهم، الأمر الذي يستوجب اتساع دائرة الغمور، ولهذا بدوره الكثير من التداعيات والتبعات السلبية. وأما في المصادر الإسلامية، فلم يتم التأكيد على التعارف فحسب، بل ثمة ذكر للأواصر الأسرية بالنسبة إلى العلاقة والارتباط الوثيق بين الأفراد. ومن المفاهيم المهمة في هذا الشأن مفهوم «الأخوة»؛ حيث إنّ الإسلام قد عمل على القضاء على العصبية القبلية والطائفية والحزبية من خلال تشريع قانون المواخاة في الدين، وعمل من ناحية أخرى على إيجاد أقوى وأفضل العلاقات والوشائج الاجتماعية في الأمة الإسلامية. والروايات الإسلامية لا تتحدّث عن مجرد الأخوة القائمة بين المسلمين فحسب، بل إنّها تؤكد على أنّهم إخوة أشقاء من أمّ واحدة وأب واحد. ومن المسائل المذكورة في المصادر الإسلامية بوصفها مفهوماً ثابتاً مسألة «الأسرة الاجتماعية». والمراد من الأسرة الاجتماعية هو أن يعتبر أعضاء المجتمع أنفسهم أعضاء في أسرة واحدة؛ حتّى يتعامل الكبار بوصفهم آباء لأفراد المجتمع، والصغار بأنّهم أبناء في المجتمع، ويرى الأقران أنفسهم أنّهم إخوة لبعضهم. فمن شأن هذا المنطق أن يقضي على الآفات والأمراض الاجتماعية، ويحول دون تفسّي الامتعاظ العام وعدم الرضى الاجتماعي. يُضاف إلى ذلك أنّه يخلق حالة من الشعور بالقرابة تجاه الآخرين أيضاً.

إنّ الحكمة من تشريع قانون التأخي الديني، هي العمل على تحقّق الانسجام

الاجتماعي؛ بحيث يشعر الناس أنهم أعضاء في جسد واحد، حتى إذا أحس عضو بالألم شعر سائر أعضاء الجسد بالمسؤولية والألم، وهبت من أجل العمل على معالجة موضع الألم، فقد ورد في الأثر عن رسول الله ﷺ أنه قال: «يَنْبَغِي لِلْمُؤْمِنِينَ أَنْ يَكُونُوا فِيمَا بَيْنَهُمْ كَمَنْزِلَةِ رَجُلٍ وَاحِدٍ، إِذَا اشْتَكَى عُضْوٌ مِنْ جَسَدِهِ تَدَاعَى سَائِرُ جَسَدِهِ». إن الوصول إلى هذه الغاية لا يتحقق إلا من طريق واحد، ألا وهو إخلاص الصداقة، وإضفاء الإخاء من أجل الله سبحانه وتعالى. إن سر تأكيد الروايات الإسلامية على «الأخوة في الله»، وعلى «المحبة في الله» هو تحقق الانسجام والتناغم الاجتماعي الذي لا يقبل التحقق إلا بهذه الطريقة. وقد عمل النبي الأكرم ﷺ من أجل تحقيق الانسجام بين الناس على الاستفادة من هذا الأسلوب مرتين، المرة الأولى كانت في مكة قبل الهجرة، والمرة الثانية في المدينة المنورة بعد الهجرة، وقد كان لهذا الأسلوب -ولا سيما بعد هجرة المسلمين إلى المدينة المنورة- دور محوري في تأسيس النواة الأولى للمجتمع الإسلامي؛ وذلك لأن المجتمع الإسلامي كان يواجه خطر مشرقي قريش وعموم المشركين، وكذلك خطر اليهود الذين كانوا يعيشون داخل المدينة وخارجها ولديهم الكثير من الأموال والإمكانات، كما أن القوات الفتية للمسلمين كانت عرضة للانهايار ويوشك أن ينفرط عقدها؛ إذ كانت قبائل الأوس والخزرج لا تزال تعاني من الأحقاد والعداوات القديمة، كما كان هناك اختلاف من الناحية الفكرية بين المهاجرين والأنصار أيضًا. وقد عمد النبي الأكرم ﷺ من خلال تحقيق مشروع التآخي بين المسلمين -ولا سيما بين المهاجرين والأنصار- إلى

إيجاد الاتحاد بينهم، وبذلك تمّ التغلّب على معضلة الاختلافات الداخلية، وأُسّس نواة الدولة الإسلامية من خلال إقرار الانسجام بين أتباعه في مواجهة أعداء الإسلام.

وقد ورد في بعض الروايات أنّ النبي الأكرم ﷺ قد تحدّث عن رجال سوف يخرجون في آخر الزمان لنصرة الإسلام، والنبي الأكرم ﷺ قد سّمّاهم -بسبب قوّة إيمانهم وعزمهم وشكيمتهم في الشعور بالمسؤوليّة- بأنهم إخوته. إنّ التأمّل في هذه الروايات وملاحظتها بالإضافة إلى الأحاديث الواردة على هامش تفسير الآيات -التي تنبأ بظهور أنصار الإسلام في مستقبل التاريخ-^١ تثبت أنّ مشروع التآخي الدينيّ في صدر الإسلام، الذي كان واحداً من المقدمات الأصليّة لانتصار المسلمين وتأسيس الدولة الإسلاميّة، سوف يتجدّد مرّة أخرى في آخر الزمان بقوّة أكبر، وسوف تتوفّر بإرادة الله الأفضليّة المناسبة لإقامة دولة الإسلام العالميّة بقيادة الإمام المهديّ المنتظر عجل الله تعالى فرجه الشريف ^٢.

والنقطة المهمّة في البين هي الآثار التي تترتب على قيام الأخوة بين المسلمين. ففي ضوء هذه العلاقة المتحقّقة تترتب الآثار الآتية:

- حرمة النفس والمال الذي يشكّل ركيزة للأمن الاجتماعيّ في دائرة الأرواح والاقتصاد.

١. من قبيل قوله تعالى: ﴿فَسَوْفَ يَأْتِي اللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ﴾ (المائدة: ٥٤). وقوله تعالى: ﴿وَإِنْ تَوَلَّوْا يَسْتَبْدِلْ قَوْمًا غَيْرَكُمْ﴾ (محمد: ٣٨).

٢. محمّدي ري شهري وآخرون، دانش نامه قرآن وحديث، ٢: ١٧٢.

- حبّ الخير (النصح)، والتنبيه إلى العيوب (إهداء العيوب)، والنهي عن المنكر، والهداية إلى الطريق الصحيح الذي يُشكّل مادّة لإصلاح الفرد ومساره، ويُبشر في نهاية المطاف بالإصلاح الاجتماعيّ.
 - النصرة والإعانة وقضاء الحوائج والمواساة والإيثار، الذي يستوجب تحقّق التعاون والتظاهر الاجتماعيّ، والتخفيف من أعباء الحياة النفسيّة والجسديّة.
 - الدعاء وتمنّي الخير للآخرين بظهر الغيب، وإبعاد الكربات عنهم في حضورهم، ممّا يستوجب الشعور بالطمأنينة في الحضور والغيبة.
 - الصفح عن الزلّات والعفو عنها؛ ممّا يستوجب دوام الصداقة واستمرارها^٥.
٥. يُضاف إلى ذلك أنّ مسألة الإصلاح الاجتماعيّ بدورها قابلة للذكر في هذا البحث أيضًا. فإن تعرّضت علاقة ما للضرر، يكون من مسؤوليّة الآخرين أن يعملوا على إصلاحها. وفي بعض الأحيان تتعرّض العلاقات بين الأشخاص إلى التضادّ والتنازع، الأمر الذي يستوجب الكدر والامتناع والعداوة وقطع العلاقات وسوء الفعال. وهذا الخلل يحتاج إلى إصلاح، وسوف تحتاج هذه العلاقة إلى ترميم. ومن العوامل التي تعمل على تحقيق هذه المهمّة تدخّل المصلحين من أجل العمل على إصلاح العلاقات المتضرّرة. وعلى المقرّبين أن لا يقفوا على الهامش، بل يتعيّن عليهم العمل على إصلاح هذا الوضع. وعلى الرغم من أنّ العلاقة المتضرّرة تعارض السلامة الاجتماعيّة، إلّا أنّ الإصلاح يُعدّ شاخصًا ومعياريًا مهمًّا في السلامة الاجتماعيّة، حيث يستطيع القضاء على هذه الآفة.

١. محمّدي ري شهري، وتقديري، دوستي در قرآن وحديث، ٢: ٩٢، (الفصل الرابع: حقوق الإخوة).

ب. القرارات والعقود

للحياة شرائط مختلفة؛ حيث يجب العمل في بعض الموارد على إبرام العقود والمواثيق. وكذلك تمس الحاجة أحياناً إلى إيداع شيء عند شخص على سبيل الأمانة والوديعة. والسلامة الاجتماعية في كل واحدة من هذه الحالات، لها شاخصها وملاكها الخاص، حيث سنعمل على بحثها تباعاً على النحو الآتي:

١. إن «الوفاء» من بين الخصائص والملاكات المهمة في السلامة الاجتماعية، وفي العهود والمواثيق والعقود، حيث إن الوفاء يعني التعهد والتمسك بالعقود والمواثيق، ولا سيما في حالات التضاد والتعارض بين المصالح والأهداف والإرادات. فالعهود والعقود تشمل طيفاً واسعاً من الأمور، من قبيل: العقد القائم بين الحكومة والشعب وبين الشعب والحكومة؛ حيث يتجلى ذلك في الدوائر والمؤسسات المختلفة التي تضطلع بوظائف ومهام متنوعة، وذلك على النحو الآتي:

- عقود المنتجين للبضائع مع المستهلكين؛ حيث يتجلى ذلك في كيفية الإنتاج والدعم وتقديم الخدمات بعد البيع وضمان جودتها.

- العقود المبرمة بين المواطنين فيما بينهم حول رعاية حقوق بعضهم.

- العقد المبرم بين سكان محلة أو مجمع سكني فيما بينهم في إطار حسن الجوار.

- العقد المبرم بين أصحاب الحرف والأصناف، من قبيل: الأطباء، وعلماء

الدين، والرياضيين، والفنانين ومختلف الخدمات وبين الناس فيما يتعلق برعاية حقوقهم وتقديم الخدمات إليهم بالشكل المناسب والمطلوب.

واليوم لا تنظم الحياة الاجتماعية إلا من خلال العمل بالعقود والمواثيق، فمن

دون الوفاء بالعهود والمواثيق سوف يختلّ عقد النظام الاجتماعيّ. ومن هنا نجد أنّ الله سبحانه وتعالى قد أمر صراحةً بوجوب الوفاء بالعهود والمواثيق. فالإسلام بعد إبرام العهد والميثاق يرى وجوب رعايته والتمسك به، سواء أكان لصالح الذي يعقد الميثاق أو كان في ضرره؛ وذلك لأنّ رعاية العدالة الاجتماعيّة أوجبّ من رعاية جميع أنواع المصالح الخاصّة أو الشخصيّة، إلّا إذا قام أحد طرفي العقد بنقضه، وعندها يمكن للطرف الآخر أن يقوم بالمعاملة بالمثل، ويتجاهل العقد كردّ فعل على عدوانه وتجاوزه؛ وذلك لأنّ هذا الأمر يصبح سبباً في تحرير الإنسان من قيود الاستغلال والاستعلاء المذموم الذي جاء الإسلام في الأساس من أجل القضاء عليه.

٢. الموضوع الآخر هو شاخص وملاك الصدق وحفظ الأمانة، فمن دون رعاية الأمانة تتقوّض أسس المجتمع ويتفرّق عقده وشمله. إنّ رعاية الأمانة تستوجب الانسجام الاجتماعيّ وتجعل الحياة الاجتماعيّة ممكنة. ويجب على الشخص المسلم من وجهة نظر الإسلام أن يؤدّي جميع أنواع الأمانات صغيرها وجليلها على كلّ حال، وبالنسبة إلى جميع الأشخاص بمن فيهم أسوأ الناس على وجه الأرض، ولا يحقّ للمسلم أن يخون حتّى الذي خانهُ أيضاً. فلا وجود في المصادر الدينيّة لأيّ حدّ لحفظ الأمانة، ولا يمكن لأيّ شيء من قبيل: اللون والعرق، والإيمان والكفر، والقلة والكثرة، والبرّ والفجور وما إلى ذلك أن يمنع دون الحفاظ على الأمانة أو يشكّل ذريعة لإباحة الخيانة.

ج. شكل الارتباط وقالب العلاقة

ومن الأمور المتحققة بين الأفراد شكل وقالب الارتباط والتواصل مع الآخرين، والذي يتم التعبير عنه بآداب التعامل والارتباط، فالحياة الاجتماعية تحتاج إلى ضوابط وأصول شرعية وعرفية للارتباط والتواصل مع الآخرين، وهي التي يُطلق عليها عنوان الآداب الاجتماعية. فالأدب يعني رعاية الموازين وعدم الاعتداء وعدم تجاوز الحدود، ومن هنا فإن الآداب الاجتماعية تعني الأصول والضوابط التي يتم وضعها في الأبعاد المتنوعة للارتباط مع الآخرين. والمهم في البين هو أن رعاية الآداب الاجتماعية تستوجب توثيق العلاقات وتعميقها وترسيخها وجعلها أكثر دفئًا وجمالًا وتأثيرًا بين أفراد المجتمع؛ ولذلك تعدّ رعاية الآداب في جميع أبعاد الحياة من جملة خصائص ومعايير السلامة الاجتماعية. وللآداب مساحة واسعة بحجم الحياة وسعتها. ولكل بُعد من أبعاد الحياة آدابه الخاصة التي تضيف عليه جمالًا ومتانة وكرامة. وقد تعرّضت المصادر الإسلامية إلى التعريف بآداب الأبعاد المتنوعة للحياة، حيث يجب بحثها في موضعها الخاص.

كما أن مفهوم حسن الخلق جدير بالبحث في هذا القسم أيضًا. إنَّ حسن الخلق يعمل على التعريف بأخلاق الارتباط مع الآخرين. وإن جانبًا مهمًا من الأمور التي يرد التعريف بها في حسن الخلق جدير بالبحث والنقاش في هذا الموضع أيضًا، من قبيل: التألف ولين الجانب، وحسن البشر والقول اللين، ودماثة الخلق والمزاج.

د. شغف الارتباط

ومن الموضوعات الخاصة بين طرفي العلاقة فضاء الارتباط الزاخر بالحماسة والشغف، حيث إنّ توفر أجواء الجذل والخبور والحيويّة والنشاط في العلاقات الاجتماعية يُعدّ واحدًا من خصائص السلامة الاجتماعيّة وملاكاتهما. إنّ المراد من النشاط الاجتماعيّ حصول الفرح والسرور بين طرفي العلاقة والارتباط والتواصل؛ بحيث تتبلور العلاقات والروابط بين الأفراد في أجزاء حافلة بالشغف والحماس الإيجابي، ويُعدّ حسن الهندام وبشر الوجه والتعطر والمزاج، من الأمور التي تستوجب إيجاد الفضاء الزاخر بالنشاط والفرح في العلاقات الاجتماعيّة. إنّ العلاقة السليمة هي التي تتحقّق من حيث الحماس والشغف في أجواء مفعمة بالفرح والنشاط، وتكون مقرونة بأنواع العناصر والمحرّكات السميّة والبصريّة والكلاميّة والشعوريّة الإيجابية.

ثانيًا: النموذج التراتبيّ في السلامة الاجتماعيّة

إنّ التحليل الآخر الذي تمّ حول مفاهيم السلامة الاجتماعيّة، هو التحليل التراتبيّ. فإنّ دراسة المصادر الإسلاميّة ومقارنة المفاهيم ببعضها، قد أثبت أنّ هذه المفاهيم ليست على مرتبة واحدة، ولها مراتب مختلفة؛ ولذلك فإنّ من بين نتائج هذه الدراسة مراتب السلامة الاجتماعيّة. إنّ تحليل المراتب سوف يثبت الخطوة الأولى والأخيرة في السلامة الاجتماعيّة. ولتحديد سقف السلامة الاجتماعيّة وقاعدتها تأثير ملحوظ في التخطيط للسلامة الاجتماعيّة. وعلى المخطّطين أن يعلموا أين

تقع قاعدة السلامة الاجتماعية ليبدأوا منها، وأن يعلموا حدودها لكي يخطّطوا للمسافة الواقعة بينهما.

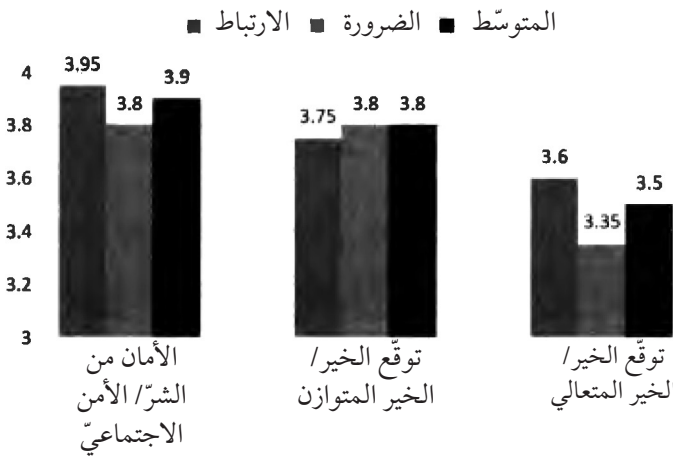
اتّضح في هذا التحليل أنّ المستوى الأدنى في السلامة الاجتماعية هو الأمان من شروخ الآخرين، وهو الذي يُسمّى بـ«الأمان الاجتماعي»، والمرتبة الثانية هي الأمل بالحصول على خير الآخرين وإحسانهم، وهو المُسمّى بـ«الخير الاجتماعي». وعند البحث بشكل أكبر يتبيّن أن الخير الاجتماعيّ يشتمل بدوره على مرتبتين، وهما أوّلاً: التعامل المتكافئ أو المتوازن، وثانياً: التعامل المترفع أو الكريم. وعليه فإنّ السلامة الاجتماعية تحتوي في المجموع على ثلاث مراتب. وأكثر مفاهيم السلامة الاجتماعية تقع في مرتبة الخير الاجتماعيّ، وبذلك يمكن بيان بعضها ضمن مرتبة الخير المتوازن، وبعضها في مرتبة الخير المتعالي، كما يمكن بيان الكثير منها ضمن كلتا المرتبتين؛ والأمر في ذلك رهن بما إذا كانت من الأفعال أو من ردود الأفعال، وفي مثل هذه الحالة سوف يتقرّر أمرها بين وضعها ضمن الخير المتوازن أو الخير المتعالي، بيد أنّ المفاهيم الأربعة والعشرين للسلامة الاجتماعية تنقسم بالنسبة إلى هذه المراتب إلى قسمين، وهما أوّلاً: المفاهيم الخاصّة بكلّ مرتبة، وثانياً: المفاهيم المشتركة التي يمكن وضعها -طبقاً للشرائط- في كلتا المرتبتين. كما تمّ بيان هذا المُعطى في جدول الخبراء أيضاً. ويمكن بيان نتيجة جدولي الخبراء ضمن (الجدول رقم: ٧) على النحو الآتي:

الجدول رقم (٧): مراتب السلامة الاجتماعية، في جدولي الخبراء

مقدار الضرورة		حجم الارتباط		المفاهيم الدرجة (من 4) النسبة المئوية	المراتب
النسبة المئوية	الدرجة (من 4)	النسبة المئوية	الدرجة (من 4)		
95%	3 / 8	% 98 / 75	3 / 95	الحريم الاجتماعي: الأمن المالي، الأمن النفسي، الأمن في العرض، الأمن الديني	الأمن الاجتماعي (الأمان من الشور)
% 95	3 / 8	% 93 / 75	3 / 75	المفاهيم المشتركة	الخير المتوازن (التعامل المتكافئ)
				التعاون الاجتماعي، المواساة الاجتماعية، والحلم الاجتماعي، التواضع الاجتماعي، حب الخير الاجتماعي والإصلاح الاجتماعي،	
83 / 75 %	3 / 35	% 90	3 / 6	والدفع والردع الاجتماعي، ورعاية الأمانة، والصدق الاجتماعي، والوفاء الاجتماعي، والرفق والمداواة الاجتماعية، وحسن الخلق والإحسان	الخير المتعالي والكريم (التعامل المتعالي)
				الإيثار الاجتماعي، الإحسان الاجتماعي، الفعلي، الصفح الاجتماعي، الشكر الاجتماعي، المقابلة بالأحسن في مواجهة الإحسان	

بعد أخذ متوسط الدرجات، تبين أنّ درجة المراتب في امتياز الخبراء كانت على هذه الشاكلة أيضًا؛ بمعنى أنّ الامتياز الأكبر كان من نصيب الأمن الاجتماعيّ، والامتياز الأقلّ كان من نصيب الخير المتعالّي (النموذج ادناه)

النموذج رقم (٢) مراتب السلامة الاجتماعية



لقد تمّ إنجاز التحليل المراتبيّ في ضوء الاستلهام من كلام رسول الله ﷺ حيث روي عنه أنّه قال: «مَا تَمَّ عَقْلُ إِمْرِي حَتَّى يَكُونَ ... الْخَيْرُ مِنْهُ مَأْمُولٌ»^١؛ الأمر الذي يستوجب محبّته بين الناس. كما روي هذا الكلام عن أمير المؤمنين عليّ عليه السلام أيضًا^٢. ومن الناحية النظرية يمكن اعتبار توقّع الخير أساسًا للارتباط مع الآخرين. ويُعدّ

١. ابن بابويه، محمد بن عليّ، علل الشرائع، جلد: ١، صفحہ: ١١٦، مكتبة الداوري، قم.

٢. نهج البلاغة، الخطبة رقم: ١٩٣؛ الصدوق، الخصال، ٩٦، ح ٣٥.

هذا العنصر واحدًا من العناصر العامة والأساسية في السلامة الاجتماعية^١، وعلى هذا الأساس، فإنّ من بين الأمور التي يجب العمل على تقويمها في دراسات السلامة الاجتماعية هو «معيّار توقّع الخير». في معرض البحث عن معيار الأمان من الشرّ، يرد بيان مسألة «الأمن الاجتماعي»، ويكون «الخير الاجتماعي» منظورًا في هذا الشأن أيضًا، ويكون كلّ واحد من هذين الموردين مكملًا للآخر، وفيما يلي سوف نعرّض إلى بحث هاتين المرتبتين في السلامة الاجتماعية:

١. الأمن الاجتماعي

المرتبة الأدنى من السلامة الاجتماعية هي الأمان من شرور الآخرين، فالأمن من آفات وشرور الآخرين يؤدّي في الحدّ الأدنى إلى عدم تعريض السلامة الفردية للخطر، وبذلك لا يتبلور التعامل غير السليم في المجتمع. إنّ رعاية حقوق الآخرين وتجنّب إلحاق الضرر بهم من أبرز علامات المسلم. والعنوان الدقيق لهذه الصفة هي الأمان من الشرّ، وقد تمّ بيانه في الحديث بقوله ﷺ: «وَأَلْشَرُّ مِنْهُ مَأْمُونٌ»^٢. يُعدّ هذا العنصر من الخصائص والمعايير المهمة، وهو يقع -بطبيعة الحال- في المستوى الأدنى من السلامة الاجتماعية. ومن الأمور التي يجب العمل على بحثها وتقويمها في مناقشة وضع السلامة الاجتماعية، هو «معيّار الأمان من الشرّ». وبطبيعة الحال، فإنّ هذا المعيار يشتمل على أقسام سوف نأتي على بيانها وتوضيحها في الأبحاث

١. الأمدّي التميمي، غرر الحكم ودرر الكلم، ح ٥٧٣٢.

٢. الصدوق، الخصال، ٩٦، ح ٣٥.

القادمة إن شاء الله تعالى.

إنّ الامتناع عن ارتكاب الشر يُعدّ واحداً من الخصائص والصفات الأساسية للإنسان المسلم. وهذا الأمر يستوجب الوقاية من النفور والعداوة. وأهميّة هذه الصفة تبلغ حدّاً بحيث لا يمكن للفرد أن يتّصف بكونه مسلماً، فقد ورد في الأثر عن النبي الأكرم ﷺ أنّه قال: «الْمُؤْمِنُ مَنْ أَمِنَهُ الْمُسْلِمُونَ عَلَى أَمْوَالِهِمْ وَدِمَائِهِمْ وَالْمُسْلِمُ مَنْ سَلِمَ الْمُسْلِمُونَ مِنْ يَدِهِ وَلِسَانِهِ»، وعنه ﷺ أنّه قال أيضاً: «أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّ الْعَبْدَ لَا يُكْتَبُ مِنَ الْمُسْلِمِينَ حَتَّى يَسْلَمَ النَّاسُ مِنْ يَدِهِ وَلِسَانِهِ وَلَا يَنَالَ دَرَجَةَ الْمُؤْمِنِينَ حَتَّى يَأْمَنَ أَخُوهُ بِوَأَيْقِهِ وَجَارُهُ بِوَادِرِهِ وَلَا يُعَدُّ مِنَ الْمُتَّقِينَ حَتَّى يَدَعَ مَا لَا بَأْسَ بِهِ حَذَارَ مَا بِهِ الْبَأْسُ». وقد ورد عن الإمام عليّ عليه السلام أنّه قال: «كَيْفَ تَكُونُ مُسْلِمًا وَلَا يَسْلَمُ النَّاسُ مِنْكَ وَكَيْفَ تَكُونُ مُؤْمِنًا وَلَا تَأْمَنُكَ النَّاسُ وَكَيْفَ تَكُونُ تَقِيًّا وَالنَّاسُ يَتَّقُونَ مِنْ شَرِّكَ وَأَذَلِكَ؟!».١ إنّ إيذاء الآخرين يُعد من زاوية الأحاديث الإسلامية من صفات الأراذل من الناس وشرارهم، فقد روي عن النبي الأكرم ﷺ أنّه قال: «شَرُّ النَّاسِ مَنْ تَأَذَّى بِهِ النَّاسُ»٢. والمسلم هو الذي لا يصل أذاه حتّى إلى نملة، فقد روي عن رسول الله ﷺ أنّه قال لحفص بن غياث: «فَارَ وَاللَّهِ الْأَبْرَارُ أَتَدْرِي مَنْ هُمْ هُمُ الَّذِينَ لَا يُؤْذُونَ الذَّرَّ»٣. إنّ النقطة المهمة التي يمكن استنباطها من الأحاديث هي أنّ الذين

١. الصدوق، من لا يحضره الفقيه، ٤: ٣٦٢، ح ١٢؛ الكليني، الكافي، ٢: ٢٣٤، ح ٢؛ ورام بن أبي فراس، تنبيه الخواطر ونزهة الناظر المعروف بـ (مجموعة ورام)، ٢: ٢٢٧؛ الديلمي، إرشاد القلوب إلى الصواب، ٧٠.

٢. المفيد، الأمالي، ٢٤٣ (أ).

٣. ابن الرازي القمي، جامع الأحاديث، ٢: ١٤٦.

يَدْعُونَ الإسلام، إنَّما يكونون من المسلمين بمقدار مراعاتهم لحقوق الآخرين، وكلّ من يؤذي الآخرين بأيّ مقدار من الأذى، يكون بعيداً عن الإسلام بالمقدار نفسه. والنقطة الأخرى هي أنّ المجتمع الإسلاميّ يتمّ تشجيعه وحثّه في المصادر الإسلامية - من خلال الإشارة إلى جانب من أسباب وعوامل الاهتمام الشديد من قبل الإسلام بتجنّب إيذاء الناس - إلى التحلّي بالخصال والصفات المدوَّحة، ومن أهمّها الوقاية من العداوة.

فقد ورد في الأثر عن الإمام عليّ عليه السلام أنّه قال: «مَنْ كَفَّ أَذَاهُ لَمْ يُعَادِهِ أَحَدٌ»^١، وعن الإمام الصادق عليه السلام أنّه قال: «مَنْ كَفَّ يَدَهُ عَنِ النَّاسِ، فَإِنَّمَا يَكْفُ عَنْهُمْ يَدًا وَاحِدَةً، وَيَكْفُونَ عَنْهُ أَيْدِيًا كَثِيرَةً»^٢.

وكذلك فإنَّها تحوّل العداوات إلى صداقات، فقد ورد في الحديث المأثور عن الإمام عليّ عليه السلام أنّه قال: «مَنْعُ أَذَاكَ يُصْلِحُ لَكَ قُلُوبَ عِدَاكَ»^٣.

وهي طريق إلى الحصول على العزّة والشرف والعظمة والرفعة بين الناس، والوصول في نهاية المطاف إلى السكينة والرخاء في حياة الدنيا العابرة، والسعادة في الحياة الآخرة الدائمة.

فقد ورد في الأثر عن النبيّ الأكرم ﷺ أنّه قال: «طُوبَى لِمَنْ صَلَحَتْ سِرِيرَتُهُ

١. الأمدّي التميمي، غرر الحكم ودرر الكلم، ح ٨٠٠١.

٢. الكليني، الكافي، ٢: ٦٤٣، ح ٦٤، وص ١١٨، ح ٦؛ الصدوق، الخصال، ١٧، ح ٦٠.

٣. الأمدّي التميمي، غرر الحكم ودرر الكلم، ٦: ١٢٩، ح ٩٧٨٤.

وَحَسُنَتْ عَلَانِيَتُهُ وَعَزَلَ عَنِ النَّاسِ شَرُّهُ^١، وعن الإمام الصادق عليه السلام أنه قال: «جاء جبرئيل عليه السلام إلى النبي صلى الله عليه وآله فقال: يا مُحَمَّد... شَرَفُ الْمُؤْمِنِ صَلَاتُهُ بِاللَّيْلِ وَعِزُّ الْمُؤْمِنِ كَفُّهُ عَنِ أَعْرَاضِ النَّاسِ»^٢.

وعن الإمام زين العابدين عليه السلام أنه قال: «كَفُّ الْأَذَى مِنْ كَمَالِ الْعَقْلِ، وَفِيهِ رَاحَةُ الْبَدَنِ عَاجِلًا وَآجِلًا»^٣.

ومن هنا فإن الإمام علي عليه السلام يعتبر تجنب إيذاء الآخرين دليلاً على راحة العقل وبعده النظر؛ فقد ورد في الحديث عنه عليه السلام أنه قال: «الْحَاظِمُ مَنْ كَفَّ أَذَاهُ»^٤.

يعدّ مطلق الإيذاء مذموماً من وجهة نظر الإسلام؛ وذلك لأنه يُعدّ عدواناً وتجاوزاً على حقوق الآخرين.

والروايات الإسلامية تدلّ بوضوح على ذمّ ومنع كلّ ما يستوجب إيذاء الآخرين؛ الأعمّ من: إخافة الآخرين وترويعهم^٥، أو النظر إليهم شراً^٦، أو

١. الطوسي، الأمالي، ٥٣٩، ح ١١٦٢؛ نهج البلاغة، الحكمة رقم: ١٢٣، والخطبة رقم: ١٩٥.

٢. الكوفي الأهوازي، المؤمن، ١٥٠، ح ٢١٨؛ الكليني، الكافي، ٣: ٤٨٨، ح ٩.

٣. الكليني، الكافي، ١: ٢٠، ح ١٢؛ ابن شعبة الحرّاني، تحف العقول، ٢٨٣.

٤. الأمدّي التميمي، غرر الحكم ودرر الكلم، ١: ٣٣١، ح ١٢٦٣.

٥. قال رسول الله صلى الله عليه وآله: «حَسْبُ امْرِئٍ مُسْلِمٍ مِنَ الشَّرِّ أَنْ يُخِيفَ أَخَاهُ الْمُسْلِمَ» (ورام بن أبي فراس، تنبيه

الخواطر ونزهة الناظر المعروف بـ (مجموعة ورام)، ١: ٣٩).

٦. قال رسول الله صلى الله عليه وآله: «مَنْ نَظَرَ إِلَى مُؤْمِنٍ نَظْرَةً يُخِيفُهُ بِهَا، أَخَافَهُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ يَوْمَ لَا ظِلَّ إِلَّا ظِلُّهُ»

(الكليني، الكافي، ٢: ٣٦٨، ح ١).

ممازحتهم بما يؤذيهم^١، أو التلفظ بكلمات تؤذيهم أو تجرح مشاعرهم^٢، أو اعتماد سلوك عبثي و طائش^٣، بل كل ما يفوح منه رائحة الأذى^٤، بما في ذلك حتى العبادة

١. جاء في مسند أحمد بن حنبل، عن عبد الرحمن بن أبي ليس، قال: حَدَّثَنَا أَصْحَابُ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ أَنَّهُمْ كَانُوا يَسِيرُونَ مَعَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فِي مَسِيرٍ، فَنَامَ رَجُلٌ مِنْهُمْ، فَانْطَلَقَ بَعْضُهُمْ إِلَى نَبَلٍ مَعَهُ فَأَخَذَهَا، فَلَمَّا اسْتَيْقَظَ الرَّجُلُ فِرْعَ، فَضَجَّكَ الْقَوْمُ، فَقَالَ: مَا يُضْجِكُمْ؟، فَقَالُوا: لَا، إِلَّا أَنَا أَخَذْنَا نَبَلَ هَذَا فَفِرْعَ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «لَا يَجِلُّ لِمُسْلِمٍ أَنْ يُرَوِّعَ مُسْلِمًا». (ابن حنبل، مسند أحمد بن حنبل، ٩: ٣٥، ح ٢٣١٢٦).

٢. عن الإمام الصادق عليه السلام، قال: «إِنَّ رَجُلًا لَقِيَ رَجُلًا عَلَى عَهْدِ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ عليه السلام فَقَالَ لَهُ إِنِّي احْتَلَمْتُ بِأَمْتِكَ فَرَفَعْتُ إِلَى أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ عليه السلام فَقَالَ إِنَّ هَذَا افْتَرَى عَلَيَّ فَقَالَ وَمَا قَالَ لَكَ قَالَ زَعَمَ أَنَّهُ احْتَلَمَ بِأُمِّي فَقَالَ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ عليه السلام: فِي الْعَدْلِ إِنْ شِئْتَ أَقَمْتُهُ لَكَ فِي الشَّمْسِ وَجَلَدْتَ ظِلَّهُ فَإِنَّ الْحُلْمَ مِثْلُ الظِّلِّ وَلَكِنَّا سَنَضْرِبُهُ إِذَا آذَاكَ حَتَّى لَا يَعُودَ يُؤْذِي الْمُسْلِمِينَ» (الصدوق، علل الشرائع، ٥٤٤، ح ١، ١٣٨٤هـ؛ الكليني، الكافي، ٢: ٣٦٨، ح ١).

وقد ورد في الحديث المأثور عن رسول الله ﷺ أنه قال: «لَا يَتَنَاجَى اثْنَانِ دُونَ وَاحِدٍ؛ فَإِنَّ ذَلِكَ يُؤْذِي الْمُؤْمِنَ، وَاللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ يَكْرَهُ أَذَى الْمُؤْمِنِ» (الترمذي، سنن الترمذي، ٥: ١٢٨، ح ٢٨٢٥).

٣. عن الإمام الباقر عليه السلام، أنه قال: «كَفَى بِالْمَرْءِ عَنِيًّا أَنْ يَتَعَرَّفَ مِنْ غُيُوبِ النَّاسِ مَا يَعْمَلُ عَلَيْهِ مِنْ أَمْرِ نَفْسِهِ، أَوْ يَعِيبَ عَلَى النَّاسِ أَمْرًا هُوَ فِيهِ لَا يَسْتَطِيعُ التَّحَوُّلُ عَنْهُ إِلَى غَيْرِهِ، أَوْ يُؤْذِي جَلِيسَهُ بِمَا لَا يَغِيْبُهُ» (الكليني، الكافي، ٢: ٤٦٠، ح ٣؛ الكوفي الأهوازي، المؤمن، ٣، ح ١).

٤. جاء في مسند أحمد بن حنبل، عن عائشة: إِنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ كَانَ يَكْرَهُ أَنْ يَوْجَدَ مِنْهُ رِيحٌ يُتَأَذَى مِنْهَا» (ابن حنبل، مسند أحمد بن حنبل، ١٠: ٩٩، ح ٢٦١٧٩).

وفي علل الشرائع عن محمد بن سنان، قال: «سَأَلْتُ أَبَا عَبْدِ اللَّهِ عليه السلام عَنْ أَكْلِ الْبَصْلِ وَالْكَرَاتِ فَقَالَ لَا بَأْسَ بِأَكْلِهِ مَطْبُوحًا وَغَيْرَ مَطْبُوحٍ وَلَكِنْ إِنْ أَكَلَ مِنْهُ مَا لَهُ أَذَى فَلَا يَخْرُجُ إِلَى الْمَسْجِدِ كَرَاهِيَةً أَذَاهُ عَلَى مَنْ يُجَالِسُ» (الصدوق، علل الشرائع، ٥٤٤، ح ١؛ البرقي، المحاسن، ٢: ٣١٧، ح ٧٠٢).

المؤذية أيضًا^١. وعلى الرغم من قبح وحظر مطلق ما يوجب إيذاء الناس في الإسلام، وما يترتب على ذلك من العقاب الشديد الذي سيطل الذي يؤذي الآخرين، إلا أن إيذاء الذين لهم حقوق أكبر على الفرد والمجتمع، سوف يكون أكثر قبحًا، والمؤذي في مثل هذه الحالة سوف ينتظره مصير وعقاب أخطر. فقد ورد في الروايات الإسلامية أن:

- إيذاء أهل بيت النبي ﷺ،

١. قال رسول الله ﷺ: «لَا يَجْهَرُ بَعْضُكُمْ عَلَى بَعْضٍ، فَإِنَّ ذَلِكَ يُؤْذِي الْمُصَلِّي» (الطبراني، المعجم الأوسط، ٣: ٢٧، ح ٢٣٦٢). وفي سنن أبي داود، عن أبي سعيد: اعتكف رسول الله ﷺ في المسجد، فسمعهم يجهرون بالقراءة، فكشف الستر وقال: «أَلَا إِنَّ كُلَّكُمْ مُنَاجٍ رَبِّهِ، فَلَا يُؤْذِينَ بَعْضُكُمْ بَعْضًا، وَلَا يَرْفَعُ بَعْضُكُمْ عَلَى بَعْضٍ فِي الْقِرَاءَةِ» أَوْ قَالَ: «فِي الصَّلَاةِ» (أبو داود السجستاني الأزدي، سنن أبي داود، ٢: ٣٨، ابن حنبل، مسند أحمد بن حنبل، ٤: ١٨٧، ح ١١٨٩٦). وفي الكافي عن حماد بن عثمان قال: كَانَ بِمَكَّةَ رَجُلٌ مَوْلَى لِبَنِي أُمَيَّةَ يُقَالُ لَهُ ابْنُ أَبِي عَوَانَةَ لَهُ عِنَادَةٌ وَكَانَ إِذَا دَخَلَ إِلَى مَكَّةَ أَبُو عَبْدِ اللَّهِ ﷺ أَوْ أَحَدٌ مِنْ أَشْيَاحِ آلِ مُحَمَّدٍ ﷺ يَعْثُبُ بِهِ وَإِنَّهُ أَتَى أَبَا عَبْدِ اللَّهِ ﷺ وَهُوَ فِي الطَّوَافِ فَقَالَ يَا أَبَا عَبْدِ اللَّهِ مَا تَقُولُ فِي اسْتِئْذَانِ الْحَجَرِ فَقَالَ اسْتَلَمْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ. فَقَالَ لَهُ مَا أَرَاكَ اسْتَلَمْتَهُ قَالَ «أَكْرَهُ أَنْ أُوْذِيَ ضَعِيفًا أَوْ أَتَأَذَّى». قَالَ فَقَالَ قَدْ زَعَمْتَ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ اسْتَلَمْتَهُ قَالَ نَعَمْ وَلَكِنْ كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ إِذَا رَأَوْهُ عَرَفُوا لَهُ حَقَّهُ وَأَنَا فَلَا يَعْرِفُونَ لِي حَقِّي. (الكليني، الكافي، ٤: ٤٠٩، ح ١٧).

وعن الإمام الصادق ﷺ، قال: «لَا بُأْسَ بِالنَّفْعِ فِي الصَّلَاةِ فِي مَوْضِعِ السُّجُودِ مَا لَمْ يُؤْذِ أَحَدًا» (الطوسي، تهذيب الأحكام، ٢: ٣٢٩، ح ١٣٥١).

٢. قال رسول الله ﷺ: «مَنْ آذَانِي فِي أَهْلِي فَقَدْ آذَى اللَّهَ» (المتقي الهندي، كنز العمال، ١٢: ١٠٣، ح ٣٤١٩٧).

- والمجاهدين في سبيل الله^١،

- والمسلمين^٢،

- والأبوين^٣،

- والزوج^٤،

- والجار^٥،

بوصفه أشدّ قبحاً وخطراً؛ وذلك لأنّ لهم حقوقاً أكبر على الإنسان^٦.

١. قال رسول الله ﷺ: «مَنْ اغْتَابَ مُؤْمِنًا غَايِبًا، أَوْ آذَاهُ، أَوْ خَلَفَهُ فِي أَهْلِهِ بِسُوءٍ، نُصِبَ لَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، فَيَسْتَعْرِقُ حَسَنَاتِهِ، ثُمَّ يُرَكَّسُ فِي النَّارِ إِذَا كَانَ الْغَايِ فِي طَاعَةِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ» (النوري، مستدرک الوسائل، ١١: ٢٣ والكليني، الكافي، ٥: ح ١٠).

٢. قال رسول الله ﷺ: قال الله تبارك وتعالى: «لِيَأْذَنَ بِحَرْبٍ مِنِّي مَنْ آذَى عَبْدِي الْمُؤْمِنَ وَلِيَأْمَنَ غَضَبِي مَنْ أَكْرَمَ عَبْدِي الْمُؤْمِنَ» (الكليني، الكافي، ٢: ٣٥٠، ح ١).

٣. قال رسول الله ﷺ: «مَنْ آذَى وَالِدَيْهِ فَقَدْ آذَانِي وَمَنْ آذَانِي فَقَدْ آذَى اللَّهَ وَمَنْ آذَى اللَّهَ فَهُوَ مُلْعُونٌ» (النوري، مستدرک الوسائل، ١٥: ١٩٣، ح ١٧٩٧٨).

٤. قال رسول الله ﷺ: «أَيُّمَا امْرَأَةٍ آذَتْ زَوْجَهَا بِلِسَانِهَا لَمْ يَقْبَلِ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ مِنْهَا صَرْفًا وَلَا عَدْلًا وَلَا حَسَنَةً مِنْ عَمَلِهَا حَتَّى تَرْضِيَهُ وَإِنْ صَامَتْ نَهَارَهَا وَقَامَتْ لَيْلَهَا وَأَعْتَقَتْ الرُّقَابَ وَحَمَلَتْ عَلَى جَنَادِ الْخَيْلِ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَكَانَتْ فِي أَوَّلِ مَنْ يَرُدُّ النَّارَ وَكَذَلِكَ الرَّجُلُ إِذَا كَانَ لَهَا ظَالِمًا» (الصدوق، من لا يحضره الفقيه، ٤: ١٤، ح ٩٦٨). وقال رسول الله ﷺ: «أَلَا وَإِنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ وَرَسُولَهُ بَرِيئَانِ مِمَّنْ أَضَرَّ بِامْرَأَةٍ حَتَّى تَخْتَلِعَ مِنْهُ» (الصدوق، ثواب الأعمال وعقاب الأعمال، ١: ٣٣٨، ح ١).

٥. قال رسول الله ﷺ: «مَنْ آذَى جَارَهُ، حَرَّمَ اللَّهُ عَلَيْهِ رِيحَ الْجَنَّةِ، وَمَأْوَاهُ جَهَنَّمَ وَبَنَسَ الْمَصِيرُ» (الصدوق، من لا يحضره الفقيه، ٤: ١٣، ح ٩٦٨).

٦. محمّدي ري شهري وآخرون، دانش نامه قرآن وحديث، ٢: ٤٩١ فبا بعد.

٢. توقع الخير (الخير الاجتماعي)

بعد الأمن من الآفات والشُرور تصل النوبة إلى الارتباط والتواصل ومراتبه. في الأمن من الضرر لا يُشترط تحقق ارتباط خاص؛ فبمجرد أن يتحقق «الأمن من الشر» يكون ذلك كافياً. بيد أن المسألة الأهم والتي تأتي في المرتبة اللاحقة هي «توقع الخير»؛ حيث تشكّل قرينة على الأمان من الشر. وكما سبق أن ذكرنا فإن من بين الأمور التي يجب العمل على تقويمها في دراسات السلامة الاجتماعية، هو «معيّار توقع الخير وملاكه». في معيار الأمان من الشر، يتمّ ذكر مسألة «الأمن الاجتماعي»، وفي هذا المعيار يتمّ التركيز على «الخير الاجتماعي»، وهذين الأمران يكمل أحدهما الآخر^١. وتندرج ضمن هذه المرتبة عناصر من غير الأمن الاجتماعي. وعلى الرغم من الارتباط الأساسي بالخير بالغ الأهميّة، ولكن ليس الجميع على وتيرة واحدة، وهو من ناحية على مرتبتين^٢، المرتبة الأولى: التعامل المتكافئ والمتوازن، والمرتبة الثانية: التعامل المترفع والكريم. إنّ توقع الخير يحدث تارة ضمن ارتباط متوازن، كما يحدث تارة أخرى ضمن ارتباط غير متوازن ولكنه مترفع ومتعال، وكلّ واحدة من هاتين المرتبتين، يعمل على بلورة نموذج خاص من الارتباط، حيث سنعمل فيما يلي على بحث كلّ واحدة منهما:

١. إنّ الخير مفهوم جامع وشامل يحتوي على جميع الخيرات والقيم. وفي الحقيقة فإنّ التعامل بالخير يُعدّ أصلاً عامّاً تندرج ضمنه مجموعة كبيرة من الأفعال والأحاسيس. والخير في كلّ موقع خاصّ ينطوي على معنى ومصداق خاصّ، بيد أن بيان ذلك لا يتّسع له المجال في هذه المقالة. ويمكن لذلك أن يُشكّل موضوعاً لتحقيق مستقلّ، ونُستخرج منه الكثير من المعايير الجزئية.

٢. إنّ هاتين المرتبتين مع المرتبة السابقة تشكّل في المجموع ثلاث مراتب في السلامة الاجتماعية.

أ. نموذج التعامل المتكافئ/ المتوازن (المرتبة المتوسطة)

إنَّ التعامل المتوازن يعني الفعل وردّة الفعل المتبادل في إطار «خير» الطرفين. في هذه العلاقة يقوم كلّ واحد من الطرفين بعمل حسن ومناسب بحقّ الطرف الآخر، رجاء أن يحصل منه في المقابل على خير وإحسان مماثل أيضًا. إنّ هذا النوع من التعامل والتعاطي يقوم على أساس «تبادل الخير». فلو لم يكن ثمة تبادل في البين، ولم يكن في البين احتمال للحصول على الخير في المقابل، لا يتحقّق الدافع المحرّك نحو فعل الخير ابتداءً. إنّ عامّة الناس ينتهجون هذا النموذج من السلوك، والمصادر الدينيّة بدورها تقرّ هذا النموذج أيضًا، وإن كان الدين قد لا يعتبره متعالياً. والروايات الإسلاميّة تعتبر الأصدقاء والأصحاب الحقيقيّين مادّة وسبباً للمنافع والمصالح الدنيويّة والأخرويّة؛ فقد ورد في المأثور عن الإمام عليّ عليه السلام أنّه قال: «عَلَيْكُمْ بِالْإِخْوَانِ فَإِنَّهُمْ عُدَّةٌ لِلدُّنْيَا وَعُدَّةٌ لِلْآخِرَةِ أَلَا تَسْمَعُ إِلَى قَوْلِ أَهْلِ النَّارِ: ﴿فَمَا لَنَا مِنْ شَافِعِينَ وَلَا صَدِيقٍ حَمِيمٍ﴾ (الشعراء: ١٠٠-١٠١)». وعن الإمام الصادق عليه السلام أنّه قال: «أَكْثَرُوا مِنَ الْأَصْدِقَاءِ فِي الدُّنْيَا فَإِنَّهُمْ يَنْفَعُونَ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ أَمَّا الدُّنْيَا فَحَوَائِجُ يَقُومُونَ بِهَا وَأَمَّا الْآخِرَةُ فَإِنَّ أَهْلَ جَهَنَّمَ قَالُوا: ﴿فَمَا لَنَا مِنْ شَافِعِينَ وَلَا صَدِيقٍ حَمِيمٍ﴾ (الشعراء: ١٠٠-١٠١)». حيث يمكن العيش في كنفهم؛ إذ روي في الحديث عن النبي الأكرم ﷺ أنّه قال: «عَلَيْكَ بِإِخْوَانِ الصَّدَقِ تَعِشْ فِي أَكْنَافِهِمْ؛

١. الطبرسي، مشكاة الأنوار في غرر الأخبار، ٣٢٩.

٢. الصدوق، مصادقة الإخوان، ١٤٩، ح ١.

فَإِنَّهُمْ زِينَةٌ فِي الرِّخَاءِ، وَعُدَّةٌ فِي الْبَلَاءِ»^١. وعن الإمام عليّ عليه السلام أنه قال: «عَلَيْكَ يَا خَوَانِ الصَّدِيقِ فَأَكْثَرُ مِنْ اِكْتِسَابِهِمْ؛ فَإِنَّهُمْ عُدَّةٌ عِنْدَ الرِّخَاءِ، وَجُنَّةٌ عِنْدَ الْبَلَاءِ»^٢. وقد ورد في بعض الروايات الإسلامية التأكيد على الرغبة في اكتساب الأصدقاء؛ إذ وإن كان الصديق قد لا ينفعك في العاجل واللحظة الراهنة، ولكنه قد ينفعك في المستقبل، كما ورد التأكيد على عدم معاداة أحد؛ إذ قد لا يستطيع أن يضرَّك في العاجل، ولكنه قد يضرَّك في الآجل؛ كما نجد هذا المعنى في الحديث المأثور عن الإمام زين العابدين عليه السلام، إذ يقول: «لَا تُعَادِيَنَّ أَحَدًا وَإِنْ ظَنَنْتَ أَنَّهُ لَا يَضُرُّكَ، وَلَا تَزْهَدَنَّ فِي صَدَاقَةِ أَحَدٍ وَإِنْ ظَنَنْتَ أَنَّهُ لَا يَنْفَعُكَ؛ فَإِنَّكَ لَا تَدْرِي مَتَى تَرْجُو صَدِيقَكَ، وَلَا تَدْرِي مَتَى تَخَافُ عَدُوَّكَ»^٣. وعلى هذا الأساس يمكن حتّى لتصور المنافع أن يشكّل مبنى للعلاقة والارتباط بالآخرين.

إنّ مفهوم «الإنصاف» بدوره يُشير إلى هذا النموذج ذاته. فالإنصاف يعني أن يرى الإنسان نفسه متساوياً مع الآخرين، وأن يحبّ لهم ما يحبّ لنفسه، وأن يكره لهم ما يكره لنفسه أيضاً. إنّ الإنصاف يستوجب زوال الاختلافات، وإحلال الألفة بين القلوب، ويزيد من حجم الأصدقاء والأصحاب، ويكون سبباً في الاعتبار والاطمئنان الاجتماعي للفرد، ومن شأنه أن يدعو إلى تحقيق الإنصاف المتبادل. وإنّ الحاجة تمسّ إلى الإنصاف حتّى في التعامل مع العدو.

١. المتقي الهندي، كنز العمال، ٩: ٣٨، ح ٢٤٨٢٣.

٢. الصدوق، عيون أخبار الرضا عليه السلام، ٣٨٠، ح ٤٨٣.

٣. الشهيد الأول، الدرّة الباهرة من الأصداف الطاهرة، ٢٦.

كما يمكن بيان المواجهة المتكافئة عند الحصول على الإحسان من قبل الآخرين أيضًا. إنّ المقابلة المتساوية بالمثل عند الحصول على الإحسان من الآخرين تعني المكافأة أو ردّة الفعل المتساوية. كما تجري المقابلة بالمثل في المواجهة مع الإساءة والسلوك الخاطئ أيضًا. إنّ الذي يتعرّض إلى الظلم يمكنه أن لا يتنازل عن حقّه، وأن يعمل على إحقاق حقّه بشكل قانونيّ وشرعيّ، أو أن يرجئ ذلك إلى يوم الحساب في الآخرة. وهذا الأمر وإن لم يكن متعالياً وكرهياً، ولكنه يبقى في حدود المواجهة الصحيحة.

كما أنّ المقابلة المتساوية في مواجهة الإساءة والسلوك الخاطئ من الآخرين جارية أيضًا. ولا شكّ في أنّ كلّ واحد من الأشخاص سوف يواجه الخطأ والزلل من قبل الطرف المقابل. ولا ينبغي توقّع «السلوك المجرّد من الأخطاء» و«التعامل الذي يخلو من الخطأ»، والمهمّ في البين هو ردّة فعلنا تجاه هذا السلوك القبيح. والسلامة الاجتماعية في مثل هذه الحالة تكون رهنًا بقدرتنا ومهارتنا في مواجهة هذه المسألة. فعلى الرغم من تعرّضنا للظلم، ولكن لا يمكن أن يعدّ كلّ نوع من أنواع ردّة الفعل ردًّا مناسباً وإيجابياً. فإنّ ردّة الفعل غير المناسبة وغير المدروسة، سوف تجعل الأمر أسوأ ممّا هو عليه. ولردود الأفعال تداعيات ونتائج خاصّة. وقد ذكرت الآيات القرآنيّة والروايات الإسلاميّة عدّة نماذج وأمثلة لردود الأفعال. ومن بينها «ردّة الفعل المساوية»، والتي يمكن للفرد في ضوئها أن يستردّ حقّه أو يطالب بالتعويض. وحيث إنّ الإساءة والإيذاء يُعدّ مصداقاً للظلم، فيمكن للشخص الذي يتعرّض

إلى الأذى أن ينتقم لنفسه من خلال ردّة الفعل المطالبة بالحقّ ومن باب إحقاق الحقّ، وهذا هو الذي نسمّيه بالمقابلة بالمثل. إنّ النموذج الأوّل (المقابلة المساوية) يمكن تقويمه واعتباره صحيحاً من الناحية الشرعيّة والعقليّة. وقد أذن الله سبحانه وتعالى -من خلال التأكيد على أصل «المساواة» بين الردّ السلبيّ والسلوك السلبيّ- بـ«المواجهة بالمثل»^١. وعلى هذا الأساس يمكن للشخص الذي يتعرّض إلى الظلم أن لا يتجاوز عن حقّه، وأن يعمل على إحقاق حقّه بشكل قانونيّ وشرعيّ، أو أن يترك استيفاءه إلى يوم القيامة. وهذا الأمر وإن لم يكن متعالياً وكرامياً، ولكنه يبقى في حدود المواجهة الصحيحة.

ب. نموذج التعامل المتعالي/ الكريم (المرتبة المتعالية)

إنّ التعامل والارتباط المتعالي يعني التعامل الأسمى من التعامل المتساوي، وهو الذي نسمّيه بالتعامل الكريم. ومفردة «الكرم» تدلّ على كلّ أمر شريف ونفيس. والناطقون باللغة العربيّة يعبرون بهذه الكلمة عن كلّ شيء نفيس وقيم. من ذلك -على سبيل المثال- أنهم يطلقون على المجوهرات والأحجار الثمينة مصطلح «الأحجار الكريمة». كما يرد في الروايات الإسلاميّة التعبير عن العينين -وهما من الأعضاء القيّمة والثمينة في جسم الإنسان- عنوان «الكريمتين»، وحتى بنت الرجل تسمّى كريمته لهذا السبب، وعلى هذا الأساس يتمّ التعبير في اللغة العربيّة عن الأمور الشريفة والنفيسة والدقيقة والقيّمة بمفردة «الكرم»؛ بيد أن الاستعمال

١. البقرة: ١٩٤، الشورى: ٤٠.

الأهمّ لهذه المفردة يجري في توصيف خصال الإنسان وشخصيّته، حيث يُطلق على الخصائص المتعالية والقيّمة التي تستوجب شرف الإنسان وعظمته عنوان الكرامة، والشخص الكريم هو الشخص الذي يتّصف بهذه الخصائص.

ولتحليل التعامل الكريم يجب العمل على بحث النماذج المختلفة التي يتّبعها الأشخاص في تصرّفاتهم وسلوكيّاتهم. والنقطة الأولى هي أنّ الأفراد إنّما يتصرّفون على أساس شخصيّاتهم أو على حدّ تعبير القرآن الكريم: على «شاكلتهم»؛ إذ يقول تعالى: ﴿قُلْ كُلٌّ يَعْمَلُ عَلَىٰ شَاكِلَتِهِ﴾ (الإسراء: ٨٤). والنقطة الثانية هي أنّ الإنسان يتّخذ على الدوام مواقف وردود أفعال تجاه الأمور والأفراد والمواقع المختلفة؛ بيد أنّ ردود الأفعال ليست على وتيرة واحدة دائماً، بل هي مختلفة، والأهمّ من ذلك أنّها تؤدّي إلى آثار متفاوتة، وقد تكون مصيريّة أحياناً. ومن هنا تكتسب مسألة «الفعل» و«ردّة الفعل» أهمّيّتها. ولأفعال وردود أفعال الإنسان نماذج مختلفة، وعلى أساس النصوص الدينيّة تنقسم أفعال الإنسان في التعاطي والتعامل مع الآخرين إلى أفعال متبادلة ومتقابلة وإلى أفعال ابتدائيّة. والسلوك الإيجابي المتبادل يُعدّ جزءاً من نماذج وأمثلة التعامل المتساوي والمتكافئ، حيث يقوم فيه الشخص بسلوك إيجابي في قبال الحصول على أمر إيجابي. وقد تمّ بحث هذا الجانب بشكل أكبر؛ ولكن قد يبادر الشخص في بعض الموارد إلى القيام بالإحسان ابتداءً، وهذا النوع من الأفعال يندرج ضمن التعامل الكريم، حيث ستعرّض إلى بحثه في هذا القسم. إنّ سلوك الإنسان في ردّة الفعل تجاه مختلف الأمور والأفراد تابع لثلاثة نماذج، وهي

بطبيعة الحال تعود بجذورها إلى شخصيته أو شاكلته، ويمكن بيانها على النحو الآتي:

النموذج الأول: «ردّة الفعل / الردّ المتكافئ»، ويقوم في هذا النموذج الفرد برّدّة الفعل بما يتناسب مع الموقع، بمعنى أنّه يقابل بالمثل، فيردّ على الإحسان بإحسان مماثل، وعلى الإساءة بإساءة ماثلة، دون أن يخرج عن حدود العدالة.

النموذج الثاني: يُسمّى بـ«ردّة الفعل / الردّ بالأسوأ»، في هذه الصورة يقوم الشخص بما هو أسوأ من الفعل، وهذا يؤدي إلى الظلم والجور.

وأما النموذج الثالث؛ فيُسمى «ردّة الفعل / الردّ الأفضل»؛ حيث يقوم الشخص في المواقع بالردّ على الأفعال بشكل أفضل وأنسب. إنّ النموذج الأول من الردّ من خصائص الناس العاديين، والنموذج الثاني من الردّ يُعدّ من خصائص الأشخاص «اللئام»، والنموذج الثالث من خصائص الأشخاص «الكرام». إنّ ردّة الفعل الأفضل هي الأكثر قيمة من بين الأفعال الإنسانية، ومن هذه الناحية يتمّ التعبير عنها بلفظ «الكرم». والنموذج الكريم في المواقع المختلفة، يعمل على بلورة أنواع السلوكيات الكريمة في مختلف الحالات.

في «نية ودافع» التعامل

تارة يقوم بعض الأشخاص بالارتباط وإيقاع التعامل (المتكافئ) بدافع الحصول على الأجر والنتيجة الإيجابية وتحصيل المنفعة، وتارة أخرى يقومون بعمل ما لما ينطوي عليه من القيمة الذاتية، أو من أجل الحصول على مرضاة الله سبحانه وتعالى. إنّ الدافع الإلهي في العلاقات الإنسانية يُعدّ من بين الأمور التي ورد التأكيد عليها

في المصادر الإسلامية بكثرة، وقد تحدّث القرآن الكريم عن جماعة تنفق طعامها الخاص، رغم الحاجة إليه، على المسكين واليتيم والأسير، قال تعالى: ﴿وَيُطْعَمُونَ الطَّعَامَ عَلَى حُبِّهِ مِسْكِينًا وَيَتِيمًا وَأَسِيرًا إِنَّمَا نُطْعِمُكُمْ لَوَجْهِ اللَّهِ لَا نُرِيدُ مِنْكُمْ جَزَاءً وَلَا شُكُورًا﴾ (الإنسان: ٨-٩). يتضح من هذه الآية أنّ العمل إذا كان لوجه الله، فإنه يغني الإنسان عن توقع الشكر والجزاء من البشر. وعندما يزول توقع الأجر والشكر، فلن يحدث إشكال إذا لم يتحقّق الشكر والأجر على أرض الواقع، ولن يترك أثراً سلبياً على الإنسان.

في «حاجة» الآخرين

هناك في منعطفات الحياة أشخاص يحتاجون إلى مساعدتنا لأيّ سبب من الأسباب. وفي التعامل مع هذه المنعطفات والحالات هناك ثلاثة نماذج من التعامل، وهي كالآتي:

١. عدم المبالاة: هناك من الأشخاص من لا يبالي بمشاكل الآخرين ولا يشعر بمعاناتهم، وهذا الأمر يؤدّي إلى ابتعاد الأشخاص عن بعضهم وضمور الحميميّة بينهم، ولا سيما الشخص المتضرّر، حيث إنّّه يشعر بالوحدة وانعدام الدعامة والسند. والمعارف الإسلامية لا تعدّ هؤلاء الأشخاص من المسلمين الحقيقيين، فقد ورد في الحديث المأثور عن النبي الأكرم ﷺ أنّه قال: «مَنْ أَصْبَحَ لَا يَهْتَمُّ بِأُمُورِ الْمُسْلِمِينَ فَلَيْسَ بِمُسْلِمٍ»^١.

٢. الإحسان المتبادل: إنّ هذا النموذج يندرج ضمن التعامل المتوازن والمتكافئ.

١. الكليني، الكافي، ٢: ١٦٣.

٣. الإحسان الابتدائي: النموذج الأول هو نموذج الأشخاص الذين تنطوي نفوسهم على اللؤم، والنموذج الثاني هو نموذج الأشخاص الاعتياديّين، وأمّا النموذج الثالث فهو نموذج الأشخاص الذين يتحلّون بالطباع الكريمة والنبيلة. إنّ الإحسان يعني فعل الخير والحسن الابتدائيّ، دون أن يكون هناك فعل خير في قبالة. والإحسان يستجلب المحبة؛ فقد ورد في الأثر عن النبي الأكرم ﷺ أنّه قال: «جِيلَتْ الْقُلُوبُ عَلَى حُبِّ مَنْ أَحْسَنَ إِلَيْهَا»^١، كما أنّه يؤدّي إلى تحقيق الصفاء والمودة. وكذلك فإنّه يستدعي القضاء على مشاكل الآخرين، وبذلك فإنّه يوفرّ بهذه الطريقة الحبور والنشاط لنفسه وللشخص المحتاج. وهناك الكثير من التوصيات في هذا الشأن في النصوص الدينيّة^٢. فقد ورد عن الإمام عليّ عليه السلام أنّه قال: «لَذَّةُ الْكِرَامِ فِي الْإِطْعَامِ وَلَذَّةُ اللَّئَامِ فِي الطَّعَامِ»^٣. وعنه عليه السلام أنّه قال أيضاً: «مَسْرَةُ الْكِرَامِ فِي بَذْلِ الْعَطَاءِ وَمَسْرَةُ اللَّئَامِ فِي سُوءِ الْجَزَاءِ»^٤.

النقطة الأخرى هي أنّ للنوع الثاني بدوره نموذجين، وهما أولاً: «المساعدة اللاحقة» التي تتحقّق بعد المطالبة، وثانياً: «المساعدة الابتدائية» التي تتحقّق بمجرد الاطلاع على حاجة الفرد وقبل مبادرته إلى الطلب. إنّ النوع الثاني: هو نموذج

١. ابن شعبة الحزّانيّ، تخف العقول، ٣٧.

٢. محمّدي ري شهري، والموسوي، الكوي شادي، ٣٥٦ (الفصل السادس)؛ محمدي ري شهري، ميزان الحكمة، ٣: ١١٩ (الإحسان).

٣. الأمدّي التميمي، غرر الحكم ودرر الكلم، ح ٧٦٣٨.

٤. م. ن، ح ٩٨٠٧.

الأشخاص الذين يتّصفون بالكرم، والذين لا يسمحون لأنفسهم حتى برؤية الذلّ على الشخص المحتاج. وعلى الرغم من أنّ المساعدة اللاحقة تعدّ بدورها فضيلة، ولكنها لا ترقى إلى المساعدة الابتدائية. وقد عرّف الإمام الحسن عليه السلام الكرم بأنّه عبارة عن العطاء قبل المسألة^١، وأكد على أنّ الكرم هو الإحسان التطوّعيّ والبذل قبل السؤال^٢، يقول الإمام عليّ عليه السلام في هذا الشأن: «الكَرِيمُ مَنْ سَبَقَ نَوَالُهُ سُؤْلَهُ... التَّكْرُمُ مَعَ الْإِمْتِنَانِ لَوْمْ»^٣.

والنقطة الأخرى هي الموازنة بين المطالب والعطاء. فإنّ لكلّ إنسان في حياته عطاء وطلبًا. وفي الموازنة بين هذين الأمرين هناك عدّة نماذج؛ ومن بينها أولاً: زيادة الطلب على العطاء، وثانيًا: التساوي بين الطلب والعطاء، وثالثًا: زيادة العطاء على الطلب. ومن هنا فإنّ الأشخاص الذين يتّصفون بالكرم يكون عطاؤهم غالبًا على مطالبهم. فقد رُوِيَ عن أمير المؤمنين عليه السلام أنّه قال في هذا الشأن: «لَا يَسْتَحِقُّ إِسْمَ الْكَرَمِ إِلَّا مَنْ بَدَأَ بِنَوَالِهِ قَبْلَ سُؤَالِهِ»^٤.

النقطة الأخرى: تقويم الفرد للمساعدة والدعم الذي يقدّمه إلى الآخرين. إنّ الكريم واللئيم يختلفان حتّى في التأسّي والافتداء في تقديم العون والمساعدة. وهناك في هذا الموضوع نوعان من الافتداء والتأسّي، وهما أولاً: «الطلب»، وثانيًا:

١. ابن شعبة الحَرَانيّ، تحف العقول عن آل الرسول، ١٦٢.

٢. المجلسيّ، بحار الأنوار الجامعة لدرر أخبار الأئمة الأطهار، ٤٤: ٨٩، ح ٢.

٣. الأمدّي التميميّ، غرر الحكم ودرر الكلم، ح ١٢٦٠ و ١٢٦١.

٤. م. ن، ح ١٣٨٩.

«الدين». إنَّ اللّٰثِمَ من خلال التّأسيّ بالنموذج الأوّل يجعل من نفسه طالباً، ويعمل على تقويم ما يبذله بوصفه ديناً يطوّق به عنق المبدول له؛ وأمّا الكريم فهو يلتزم بالنموذج الثاني؛ ولذلك فإنّه ينظر إلى المساعدة التي يقدّمها إليهم بوصفها ديناً كان لهم في عنقه، ويعدّ ما يقوم به تسديداً لدين، وليس حقّاً له ويجب عليه المطالبة به لاحقاً. قال الإمام عليّ عليه السلام في هذا الشأن: «الْكِرِيمُ يَرَى مَكَارِمَ أَعْمَالِهِ دِيناً عَلَيْهِ يَقْضِيهِ... اللَّثِيمُ يَرَى سَوَالِفَ إِحْسَانِهِ دِيناً لَهُ يَقْتَضِيهِ»^١.

وعلى هذا الأساس، فإنّ النقطة الأخرى في مورد تقديم المساعدة مسألة «المكافأة»، وفي هذا المورد توجد حالتان؛ الأولى: «توقع المكافأة»، والأخرى: «عدم توقع المكافأة». وعلى الرغم من أنّ المكافأة وردّ الجميل ليس بالعمل القبيح في حدّ ذاته، بيد أنّ توقّعه ليس جميلاً، ولا ينسجم مع نموذج الكرم. ومن هنا فقد روي في الأثر عن الإمام عليّ عليه السلام أنّه قال: «خَيْرُ الْكَرَمِ جُودٌ بِلَا طَلَبٍ مُّكَافَأَةٍ»^٢. و«الْكِرِيمُ يَرْفَعُ نَفْسَهُ فِي كُلِّ مَا أَسَدَاهُ عَنْ حُسْنِ الْمُجَازَاةِ»^٣.

في «الرخاء والشدة»

ومن بين مظاهر الحياة ظاهرة الصداقة وإقامة العلاقات مع الآخرين، وقد تواجه هذه الصداقة مختلف الظروف والموقعيّات. وعليه يمكن اختبار الصداقة الحقيقيّة

١. الأمدّي التميمي، غرر الحكم ودرر الكلم، ح ٢٠٣١ و ٢٠٣٢.

٢. م. ن، ح ٤٩٨٤.

٣. م. ن، ح ٢٠٣٣.

والأصيلة والصادقة في مختلف الأوضاع، ومن الأوضاع التي تطرأ على الصداقة حالتا «الغنى / الفقر» حيث يمكن لهما أن يمثلّا اختباراً للكرم. فإنّ بعض الأصدقاء لا يتواجدون إلّا عند الرخاء، وأمّا في الشدّة فيعزّ وجودهم. في حين أنّ أهل الشيم والكرم يشبّون على صداقاتهم ويتمسّكون بعهودهم، فقد روي عن الإمام عليّ عليه السلام، أنّه قال: «أَظْهَرَ الْكَرَمِ صِدْقُ الْإِخَاءِ فِي الشَّدَّةِ وَالرَّخَاءِ»^١.

في الردّ على «إساءة الآخرين»

ومن الحالات والمواقف التي يواجهها الإنسان في الحياة وتستدعي منه ردّاً للإساءة التي يتعرّض لها من قبل الآخرين، وعلى أساس نموذج الردّ المتقابل، يمكن له أن يردّ على الإساءة بمثلها؛ بيد أنّ الذين يتّصفون بالكرم من خلال التبعية لنموذج الردّ بالأحسن، فإنهم يردّون على الإساءة بالإحسان. ومن هنا فإنّ الإمام عليّ عليه السلام يقول إنّ أفضل أنواع الكرم هو الإحسان إلى الأشخاص الذين يسيئون بحقّ الإنسان^٢. قد يتعرّض الشخص إلى الظلم من قبل الآخرين، وقد يقوم شخص بقطع علاقته وارتباطه معه، وقد يواجه الإنسان شخصاً جاهلاً لا يفهم الكلام ويتعرّض بسبب ذلك إلى الأذى، وقد يقوم شخص بإساءة التعامل معه. وفي جميع هذه الموارد يكون الردّ المتكافئ ردّاً بالمثل. بيد أنّ النموذج الكريم في التعامل يقتضي الردّ بالتّي هي أحسن. وقد اعتبر النبيّ الأكرم ﷺ أنّ أفضل وأسمى أنواع الأخلاق في الدنيا

١. المفيد، الإرشاد في معرفة حجج الله على العباد، ١٥٨ (ج).

٢. الأمدّي التميمي، غرر الحكم ودرر الكلم، ح ٩٢٩١.

والآخرة هو العفو عن الظالم، والتواصل مع الذي يقطع العلاقة، والردّ على الإساءة بالإحسان، ومساعدة من بخل عليك بالمعونة، والحلم أمام الجاهل، فقد ورد في الأثر عن أبي عبد الله عليه السلام، قال: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فِي خُطْبَتِهِ: «أَلَا أُخْبِرُكُمْ بِخَيْرِ خَلَائِقِ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ؟: الْعَفْوُ عَمَّنْ ظَلَمَكَ، وَتَصِلُ مَنْ قَطَعَكَ، وَالْإِحْسَانُ إِلَى مَنْ أَسَاءَ إِلَيْكَ، وَإِعْطَاءُ مَنْ حَرَمَكَ». وعن عدّة من أصحابنا، عن سهل بن زياد، عن محمّد بن عبد الحميد، عن يونس بن يعقوب، عن غرّة بن دينار الرقي، عن أبي إسحاق السبيعي، رفعه قال: قال رسول الله ﷺ: «أَلَا أُدْلِكُكُمْ عَلَى خَيْرِ أَخْلَاقِ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ؟: تَصِلُ مَنْ قَطَعَكَ، وَتُعْطِي مَنْ حَرَمَكَ، وَتَعْفُو عَمَّنْ ظَلَمَكَ»^١. وفي إسناد آخر عن رسول الله ﷺ في بيان التعامل الكريم، قال: «يَا عَلِيُّ ثَلَاثُ خِصَالٍ مِنْ مَكَارِمِ الْأَخْلَاقِ تُعْطِي مَنْ حَرَمَكَ وَتَصِلُ مَنْ قَطَعَكَ وَتَعْفُو عَمَّنْ ظَلَمَكَ»^٢. وعلى هذا الأساس فإنّه في هذا النموذج يجدر بالشخص الذي وقعت عليه الإساءة أن يردّ عليها بالإحسان^٣. وقد عدّ ذلك من كمال الإيمان؛ فعن الإمام علي عليه السلام قال: «مَنْ كَمَالَ الْإِيمَانَ مُكَافَأَةُ الْمُسِيءِ بِالْإِحْسَانِ»^٤. وعدّ ذلك من الكرم أيضاً، فقد ورد في الأثر عن الإمام علي عليه السلام أنّه قال: «مَنْ لَمْ يُجَازِ الْإِسَاءَةَ بِالْإِحْسَانِ فَلَيْسَ مِنَ الْكِرَامِ»^٥.

١. الكليني، الكافي، ٣: ٢٧٧.

٢. الصدوق، الخصال، ١٢٤، ح ١٢١.

٣. محمّدي ري شهري، ميزان الحكمة، ١٠: ١٦٥.

٤. الأمدّي التميمي، غرر الحكم ودرر الكلم، ح ٩٤١٣.

٥. م. ن، ح ٨٩٥٨.

وهذا الأمر من جملة ما أَرَادَهُ الإمام زين العابدين عليه السلام لنفسه من الله سبحانه وتعالى، فقد ورد عنه أَنَّهُ قَالَ فِي دَعَائِهِ: «وَسَدَّدْنِي لِأَنَّ أَعَارِضَ مَنْ عَشَّنِي بِالنُّصْحِ، وَأَجْرِي مَنْ هَجَرَنِي بِالْبُرِّ، وَأُتِيبَ مَنْ حَرَمَنِي بِالْبَذْلِ، وَأُكَافِيَ مَنْ قَطَعَنِي بِالصَّلَةِ، وَأُخَالِفَ مَنْ اغْتَابَنِي إِلَى حُسْنِ الذِّكْرِ»^١. كما أَنَّ هَذَا السُّلُوكَ يَسْتَوْجِبُ التَّغَافُلَ عَنِ الْإِسَاءَةِ^٢، وَقَبُولَ الْعُذْرِ وَالْعَفْوِ وَالصَّفْحِ عَنِ الْمَسِيءِ، قَالَ اللَّهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى فِي مُحْكَمِ كِتَابِهِ الْكَرِيمِ: ﴿وَالَّذِينَ إِذَا أَصَابَهُمُ الْبَغْيُ هُمْ يَنْتَصِرُونَ وَجِزَاءُ سَيِّئَةٍ سَيِّئَةٌ مِثْلُهَا فَمَنْ عَفَا وَأَصْلَحَ فَأَجْرُهُ عَلَى اللَّهِ إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الظَّالِمِينَ﴾ (الشورى: ٣٩-٤٠). وَقَدْ عَدَّ النَّبِيُّ الْأَكْرَمَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الَّذِينَ يَبْغُضُونَ النَّاسَ وَلَا يُحِبُّهُمْ الْآخَرُونَ، مِنْ أَسْوَأِ النَّاسِ، وَيُرَى أَنَّ الْأَسْوَأَ مِنْ هَؤُلَاءِ هُمْ الَّذِينَ لَا يَصْفَحُونَ عَنْ زَلَّاتِ الْآخَرِينَ وَلَا يَقْبَلُونَ لَهُمْ عُذْرًا، وَلَا يَعْفُونَ عَنْ أَيِّ خَطَا، فَعَنِ الْإِمَامِ الصَّادِقِ عليه السلام، عَنْ آبَائِهِ الْأَطْهَارِ عليهم السلام، عَنْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنَّهُ قَالَ: «أَلَا أُنبِئُكُمْ بِشَرِّ النَّاسِ» قَالُوا بَلَى يَا رَسُولَ اللَّهِ قَالَ «مَنْ أَبْغَضَ النَّاسَ وَأَبْغَضَهُ النَّاسُ» ثُمَّ قَالَ «أَلَا أُنبِئُكُمْ بِشَرِّ مِنْ هَذَا» قَالُوا بَلَى يَا رَسُولَ اللَّهِ قَالَ «الَّذِي لَا يُقِيلُ عَثْرَةَ وَلَا يَقْبَلُ مَعْذِرَةً وَلَا يَغْفِرُ ذَنْبًا»^٣. كَمَا وَرَدَ فِي الرِّوَايَاتِ الْإِسْلَامِيَّةِ ذَمُّ الْإِنْتِقَامِ^٤.

١. علي بن الحسين الإمام زين العابدين عليه السلام، الصحيفة السجادية الكاملة.

٢. محمدي ري شهري، ميزان الحكمة، ٧: ٤٩١.

٣. الصدوق، من لا يحضره الفقيه، ٤: ٤٠٠، ح ٥٨٥٨.

٤. محمدي ري شهري، ميزان الحكمة، ١٠: ١٦٤.

في الردّ على إحسان الآخرين

أمّا الموضوع الآخر الذي يعمل على إيجاد شاخص ومعيّار جديد، فهو مسألة الحصول على الإحسان من الآخرين. وفي «المقابلة بالأحسن» لو رأى الشخص خيراً وإحساناً من أحد، فمن الأفضل له أن يردّ عليه بما هو أحسن^١. إنّ هذا المسألة تعدّ واحدة من التعاليم الإسلاميّة التي ورد التأكيد عليها في القرآن الكريم وفي الروايات أيضاً؛ قال الله سبحانه وتعالى في محكم كتابه الكريم: ﴿وَإِذَا حُيِّتُمْ بِتَحِيَّةٍ فَحَيُّوا بِأَحْسَنَ مِنْهَا أَوْ رُدُّوهَا إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ حَسِيبًا﴾ (النساء: ٨٦)، كما ورد في المأثور عن الإمام عليّ عليه السلام أنّه قال: «إِذَا حُيِّتَ بِتَحِيَّةٍ فَحَيِّ بِأَحْسَنَ مِنْهَا وَإِذَا أُسْدِيَتْ إِلَيْكَ يَدٌ فَكَافِئْهَا بِمَا يُرْبِي عَلَيْهَا وَالْفُضْلُ مَعَ ذَلِكَ لِلْبَادِي»^٢. وهذا هو الذي يُسمى -طبقاً لبعض المصادر- بـ«الشكر». فقد ورد في الأثر عن رسول الله ﷺ أنّه قال: «مَنْ أَتَى إِلَهَهُ مَعْرُوفٌ فَوَجَدَ فَلْيُكَافِ، وَمَنْ لَمْ يَجِدْ فَلْيُثْنِ عَلَيْهِ، فَإِنَّ مَنْ أَثْنَى عَلَيْهِ فَقَدْ شَكَرَهُ، وَمَنْ كَتَمَهُ فَقَدْ كَفَرَهُ»^٣. وقد ورد عن الإمام عليّ عليه السلام أنّه قال: «مَنْ صَنَعَ مِثْلَ مَا صُنِعَ إِلَيْهِ فَقَدْ كَافَأَ وَمَنْ أَضْعَفَ كَانَ شَكُورًا»^٤. الشكر أكثر قيمة من الإحسان؛ وذلك لأنّ الشكر يبقى، والإحسان يزول؛ فقد روي عن الإمام عليّ عليه السلام

١. م. ن، ١٠: ١٦٠.

٢. نهج البلاغة، الحكمة رقم: ٦٢.

٣. المتقي الهندي، كنز العمال، ٦: ٤٦٤، ح ١٦٥٦٧.

٤. المجلسي، بحار الأنوار، ٧٥: ٤٢، ح ٤٠٤، ٧٨، ٨٢، ح ٨٠.

أنّه قال: «الشُّكْرُ أَكْبَرُ قَدْرًا مِنَ الْمَعْرُوفِ لِأَنَّ الشُّكْرَ يَبْقَى وَالْمَعْرُوفُ يَفْنَى»^١. وللشكر مهمّة «ارتقائيّة»؛ بمعنى أنّه لو كانت الأجواء بين الأشخاص عامرة بالمودّة وحافلة بالعلاقات الحسنة، فإنّ الشكر سوف يزيد من رضى الأشخاص وإخلاصهم ووفائهم لبعضهم. كما أنّ للشكر وظيفة «علاجيّة وإصلاحية أيضًا»؛ فإذا كانت هناك شحنة وكدر في البين، سوف يعمل الشكر على إصلاح الأمور واستشارة العواطف الإيجابية وإعادة مياه المحبّة والمودّة إلى مجاريها، فقد ورد في الأثر عن الإمام عليّ عليه السلام أنّه قال: «شُكْرُكَ لِلرَّاضِي عَنْكَ يَزِيدُهُ رِضًا وَوَفَاءً... شُكْرُكَ لِلسَّاخِطِ عَلَيْكَ يُوجِبُ لَكَ مِنْهُ صَلاَحًا وَتَعَطُّفًا»^٢.

في الردّ على «الغلظة» و«اللين»

من المواطن الأخرى التي تشير إلى الاختلاف والتفاوت بين الكريم والليّيم كيفية الردّ على الأسلوب اللين والغليظ الصادر عن الآخرين. فلو أراد شخص أن يضغط على الكريم بأسلوب غليظ، فإنّه يقابله بالشدّة ويغلظ عليه، وإن تلطّف به سوف يلين له^٣؛ وأمّا اللّينم فإنّه يُسيء استغلال العطف واللفظ الصادر عن الآخرين. وقد أكّد الإمام عليّ عليه السلام على أنّ الشخص الكريم إذا وقع موردًا للتكريم، فإنّه

١. الأمدّي التميمي، غرر الحكم ودرر الكلم، ح ٢١٧٦.

٢. م. ن، ح ٥٦٦٨.

٣. م. ن، ح ١٨٢٣.

سوف يلين، وأمّا اللّثيم فإنّه سوف يصبح فظاً وغلِيظ القلب^١. وعلى هذا الأساس لا يمكن التعامل مع الكريم بعنف وغلظة؛ لأنّه لن يلين بذلك، بل وقد يتصلّب، كما لا يمكن التعامل مع اللّثيم بلين؛ لأن ذلك سوف يؤدّي إلى طغيانه وتصلّبه.

في الردّ على «خداع الآخرين»

قد يحدث في بعض الأحيان أن يسعى الشخص إلى الحصول على الامتيازات في الدنيا من خلال اتّباع أساليب الغشّ والاحتيايل على الآخرين، وفي هذه الحالات والموارد يوجد نوعان من ردود الأفعال، وهما؛ أولاً: العمل على «بثّ الوعي وإفشاء موارد الخداع»، وثانياً: «التظاهر بعدم العلم» و«الانخداع». في النموذج الأوّل يفتضح الشخص المخادع وتنكشف حقيقة أهدافه وغاياته، وبذلك تتضرّر سمعته ويهتك عرضه، فينكسر ويتجلّل بالحياء والخجل ولا يبقى له شيء من السمعة والاعتبار في المجتمع، ولكنّه في الوقت نفسه يحتفظ بحقّه. وأمّا في النموذج الثاني، فيبقى عمل الشخص خافياً، ولا تتعرّض سمعته للضرر. والأشخاص الذين يتّصفون بالكرم يتّهبجون النموذج الثاني، وعلى الرغم من نباهتهم وعلمهم وراستهم يتظاهرون بالغفلة وعدم العلم (التغافل / التظاهر بالجهل) ويعملون على طبق رغبة وغاية المخادع (الانخداع). فقد ورد عن الإمام عليّ عليه السلام أنّه قال ما معناه: «الكَرِيمُ يَتَغَافَلُ وَيَخْدَعُ»^٢، وفي هذا النموذج يعمل الشخص على تقديم وترجيح سمعة الشخص على حقّه.

١. ابن شعبة الحرّانيّ، تحف العقول، ١٤٤.

٢. الأمدّي التميمي، غرر الحكم ودرر الكلم، ح ٤٤٦.

في «القوة» و«الثروة» و«الطلب»

يعاني الإنسان من الضعف والعجز في بعض الموارد، فيتعرّض إلى الظلم من قبل الآخرين، فإذا تغيّرت الأمور وصار هو في موضع القوة والاعتدار، فما هو الموقف المناسب الذي يجدر به أن يتّخذه؟ فمن أنواع النماذج في هذا الموقف «الانتقام» أو إحقاق الحقّ، فإذا لم يتمّ الخروج في ذلك عن حدود الاعتدال، لم يكن فيه إشكال في نفسه. بيد أن النموذج الآخر هو «الصفح». والكريم بتجاوزه عن حقّه، يصفح عن أخطاء الآخرين.

والمورد الآخر هو الثروة والممتلكات، ففيما يتعلّق بالثروة يوجد نموذجان؛ الأوّل: «الاحتكار»، والآخر: «المشاركة». هناك من الأشخاص من لا يفكر إلّا في نفسه ومنفعته الشخصية، ويجوز الأموال لضمان رفاهيته وتلبية رغباته؛ وأمّا الأشخاص الذين يتّصفون بكرم النفس، فإنّهم من خلال توظيف النموذج الثاني لا يقتصرون على التفكير في أنفسهم فقط، وإنّما يشركون الآخرين في ممتلكاتهم ويبدلون أموالهم للآخرين، وبذلك يعملون على تلبية احتياجاتهم أيضًا.

وفي هذا الإطار يقع الشخص الثريّ والموسر موردًا للسؤال والطلب من قبل الآخرين؛ وبطبيعة الحال، فإنّ الشخص الثريّ إذا كان كريماً يكون هو المبادر إلى قضاء حوائج الآخرين على ما سبق ذكره قبل أن يتعرّض إلى السؤال، ولكنّه في بعض الأحيان قد لا يطّلع على حاجة الآخر؛ ولذلك فإنّه يقع موردًا للطلب. وفي هذه الموارد يمكن للشخص أن يسلك واحدًا من نموذجين، النموذج الأوّل:

«الحرمان»، حيث يصدّ الشخص الطالب ولا يلبي له مسأله، وأما النموذج الثاني -الذي هو النموذج والمثال السلوكي لأصحاب الكرم- فهو «التلبية». في هذا النموذج لا يرفض الكريم تلبية طلب المحتاج ولا يخيّب ظنه. ويعمل الإمام عليّ عليه السلام على بيان الخصائص السلوكية للأفراد في هذه المواضع الثلاثة على النحو الآتي: «الكَرِيمُ إِذَا قَدَرَ صَفَحَ وَإِذَا مَلَكَ سَمَحَ وَإِذَا سُئِلَ أَنْجَحَ»^١.

في «الاحتياج المتبادل»

إنّ من بين الموارد التي تعرض للأشخاص في علاقاتهم مورد «الاحتياج المتبادل»، والمراد به هو حاجة الأشخاص إلى بعضهم، وليس مجرد احتياج أحدهما إلى الآخرين دون العكس. فقد يحدث في بعض الأحيان أن يحتاج شخص إلى الآخر، وفي المقابل يكون هذا الآخر محتاجاً إليه أيضاً. يجب العمل على تحليل هذين الموردين (حاجة الشخص إلى الغير واحتياج الغير إليه) في وقت واحد وبشكل متزامن، وليس العمل على تقسيمهما إلى موردين منفصلين، والعمل على دراسة نموذجي الكريم والليثيم في مورد كلّ واحد منهما. وبطبيعة الحال يمكن بحث كلّ واحد من هذين الموردين بشكل مستقلّ، ولكننا في هذا البحث نعدّ كلا الموردين مورداً واحداً، ونبحث فيه النموذج السلوكي للشخص الكريم والليثيم. والمهمّ في البين هو «مقارنة الاختلاف السلوكي» لكلّ واحد من هاتين الشخصيتين في

موقفين مختلفين؛ ولذلك يجب اعتبار كلا هذين الموردين بوصفه موردًا واحدًا، ومقارنة النموذج السلوكي لكل واحد منهما في كلا الموقفين معًا.

إنَّ سلوك الشخص الكريم في هذا المورد هو عبارة عن التبعية لنموذج «الجفاء/العناء». ونعني بالجفاء هنا هو الضغط على الطرف المقابل من أجل حمله على تلبية حاجته، والعناء هنا يعني إيذاء الشخص المقابل في تلبية حاجته. يضغط اللئيم من أجل تلبية حاجة نفسه على الطرف المقابل ويبرمه ويلج عليه في قضاء حاجته إلى الحد الذي يقصّ مضجعه ولا يتركه حتّى يلبي له حاجته بشكل سريع وعلى نحو تام؛ ولكن في الوقت نفسه عندما يحتاج إلى هذا الشخص، فإنه يُبدي من التسويف والمماطلة بحيث يجعل الشخص يندم على طلب المساعدة. وفي المقابل فإنَّ النموذج السلوكي الذي يتبعه الشخص الكريم هو نموذج «الإعفاء/الكفاية».

وفي هذا النموذج عندما يحتاج الكريم إلى الآخر، فإنّه يعفيه ولا يتوقّع منه تلبية طلبه، ولكن عندما يحتاج إليه هذا الآخر، فإنّه يكفيه ويلبّي له حاجته بشكل كامل. فقد روي عن الإمام عليّ عليه السلام أنّه قال في هذا الشأن: «الْكِرِيمُ إِذَا احْتَجَّ إِلَيْكَ أَغْفَاكَ وَإِذَا احْتَجَّتْ إِلَيْهِ كَفَاكَ»^١. وقال أيضًا: «اللَّئِيمُ إِذَا احْتَجَّ إِلَيْكَ أَجْفَاكَ [أَعْيَاكَ] إِذَا احْتَجَّتْ إِلَيْهِ عَنَّاكَ [أَغْنَاكَ]»^٢.

١. الأمدّي التيميّ، غرر الحكم ودرر الكلم، ح ٢٠٦٨.

٢. م. ن، ح ٢٠٦٩.

في تقابل «المال» و«العرض»

قد تتعرض أموال الإنسان وعرضه إلى الخطر أحياناً؛ بحيث يتعيّن عليه أن يضحّي بأحدهما فداء للآخر. وفي معرض الردّ على هذه الحالة هناك نموذجان سلوكيّان، أحدهما «صيانة المال»، والآخر «صيانة العرض». والمهمّ بالنسبة إلى اللّثيم في هذا المورد هو المال؛ ولذلك فإنّه يلجأ إلى النموذج الأوّل، ويفتدي ماله بعرضه. وأمّا الكريم فإنّ المهمّ بالنسبة إليه إنّما هو العرض والكرامة؛ ولذلك فإنّه يلجأ إلى النموذج الثاني ويفتدي عرضه بماله. فقد ورد في المأثور عن الإمام عليّ عليه السلام أنّه قال: «الْكِرِيمُ مَنْ صَانَ عَرَضَهُ بِمَالِهِ وَاللَّيْمُ مَنْ صَانَ مَالَهُ بِعَرَضِهِ»^١.

في «الوعد» و«الوعيد»

قد يحدث للإنسان أن يعد شخصاً بأجر أو يتوعّده ويهدّده بعقاب لسبب من الأسباب. والنموذج السلوكيّ في هذه الحالة بدوره مهمّ أيضاً، ويبدو أنّ هذين الموردين يجب عدّهما حالة واحدة وقراءة سلوك الأشخاص في ضوءها/ وفي هذه الحالة يمكن العمل على نحوين أو سلوك نموذجين، أحدهما: «نموذج التحقق التام»، والآخر: «نموذج التحقق الناقص». وبطبيعة الحال، يمكن افتراض نموذج ثالث، وهو «عدم التحقق التام» حيث يبدو أنّ هذا النموذج في غاية الندرة. إنّ نموذج التحقق التام يعدّ من خصائص الأشخاص العاديين، وأمّا المسألة في النموذج الناقص فأمرها يختلف قليلاً. والنموذج الناقص بدوره، يمكن أن يكون على نوعين:

١. «الوفاء / العفو»: إنَّ هذا النموذج من خصائص الأشخاص الذين يتّصفون بالكرم، فالشخص في ضوء هذا النموذج يفني بوعده القاضي بإعطاء الأجر (الوفاء)، بيد أنَّ الطرف المقابل إذا كان مستحقاً للعقاب، فإنَّه يصفح عنه (العفو)، والكرم إنَّما يكون بأن يصفح الإنسان ويقوم بكلِّ ما يؤدِّي إلى مصلحة الطرف المقابل ويتجاوز عن حقِّه. وفي هذا الموضع يكون نفع الطرف المقابل في إعطاء الأجر والتجاوز عن العقوبة. ومن هنا فإنَّ الإمام عليّ عليه السلام يقول في هذا الشأن: «الْكَرِيمُ إِذَا وَعَدَ وَفَى وَإِذَا تَوَعَّدَ عَفَى»^١.

٢. «التقاعس / التعجيل»: في هذا النموذج يتقاعس الفرد عند إعطاء الأجر والثواب، ويسارع إلى إنزال العقاب. وعلى الرغم من أن كاتب السطور لم يجد حتَّى الآن رواية في هذا الشأن، ولكن يمكن القول إنَّ الشخص اللئيم يتبع هذا النموذج لا محالة.

في «تعارض المصالح»

التعارض بين الناس يعدُّ من مواقف الحياة التي لا بدَّ منها، وتارة يقع التعارض بين مصالح الشخص ومصالح الآخرين، وينبغي عليه أن يختار بين المصلحة الشخصية وبين مصلحة الآخر.

وفي نموذج التعامل الكريم، يعمل الشخص على ترجيح مصالح الآخرين على مصلحته، وهو ما يُسمَّى بالإيثار، والإيثار يعني تقديم الآخرين على النفس، حيث يكون الشخص بدوره محتاجاً أيضاً.

وقد أشاد القرآن الكريم بقوم ترفعوا عن صفة البخل وآثروا الآخرين على أنفسهم رغم حاجتهم، بقوله: ﴿وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰ أَنْفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ وَمَنْ يُوقِ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ (الحشر: ٩). والإيثار واحد من أبرز الفضائل والقيم الإنسانية، حيث تم تقويمه في الكلمات المأثورة عن الأئمة الأطهار عليهم السلام بوصفه من أفضل المكارم الأخلاقية^١، ومن أسمى مراتب الإحسان^٢.

١. فقد ورد في الأثر عن الإمام علي عليه السلام أنه قال: «الإيثارُ أعلى المكارم»، و«خيرُ المكارم الإيثارُ»، و«غايةُ المكارم الإيثارُ»، و«لا تكملُ المكارمُ إلا بالعفافِ والإيثارِ».

٢. فقد ورد في الأثر عن الإمام علي عليه السلام أنه قال: «الإيثارُ أعلى الإحسانِ»، و«الإيثارُ أشرفُ الإحسانِ»، و«الإيثارُ غايةُ الإحسانِ»، و«من أحسنَ الإحسانِ الإيثارُ». محمّدي ري شهري وآخرون، دانش نامه قرآن وحديث، ١: ١٠٦.

ثالثاً: النموذج الأبعادي للسلامة الاجتماعية

تثبت دراسة المفاهيم أن بعضها قابل للدمج والإدغام في عناوين أكثر كلفة؛ ومن هنا فقد تم التخطيط للحركة من المفاهيم الجزئية إلى المفاهيم الكلية. وقد تم التوصل في هذه الدراسة -على أساس تشابه منطق المفاهيم- إلى تقسيمات كلية أشمل. بعد استخراج مفاهيم السلامة الاجتماعية في تحليل المستوى الثاني، تم بحث أربعة وعشرين مفهوماً، ومن خلال تحليل المنطق الداخلي لكل واحد وكشف مواطن الاختلاف والتشابه، تم الحصول على مفاهيم أوسع وأكثر محدودية للسلامة الاجتماعية.

وترتبط هذه المفاهيم بمختلف أبعاد السلامة الاجتماعية، وكل واحد منها يشمل على عدد من المفاهيم الجزئية.

والبعد الأول هو البعد الأمني للارتباط، والبعد الثاني هو الشأن والشخصية الارتباطية للأفراد، والبعد الثالث هو بُعد احتياجات الأشخاص في العلاقات الاجتماعية، والبعد الرابع هو نقطة الارتكاز في العلاقات الاجتماعية، والبعد الخامس يكمن في بُعد الارتباط بين الأشخاص، والبعد السادس يكمن في بُعد الحماس الارتباطي، والبعد السابع يرتبط بشكل وقالب الارتباط والتصوير الذي يتم تقديمه عنه.

لقد تم تجميع هذا التبويب في كلا جدولي خبراء عرض آراء الأساتذة. وكانت نتيجة آراء كلا جدولي الخبراء على النحو الآتي (الجدول رقم ٨):

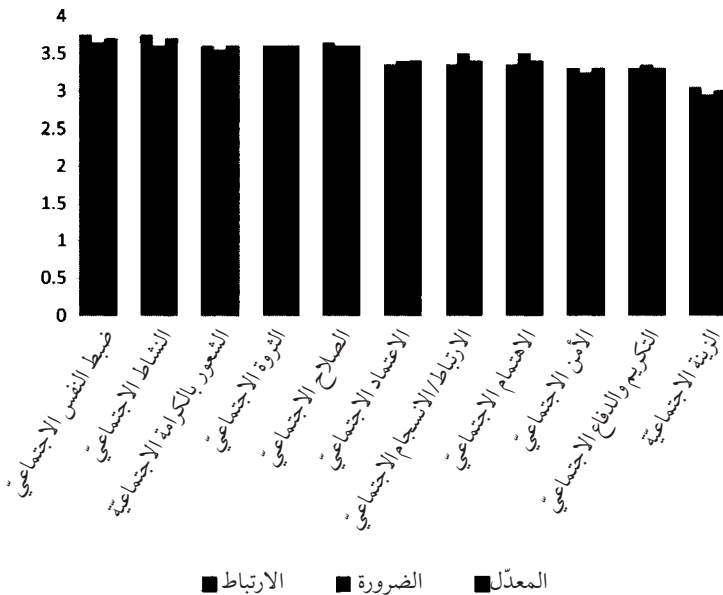
الفصل الثالث: النموذج الإسلامي للسلامة الاجتماعية ❖ ٢٩١

الجدول رقم ٨: جدول خبراء المجموعة

مفاهيم السلامة الاجتماعية		مقدار الارتباط		مقدار الضرورة	
المفاهيم الجزئية	المفاهيم الكلية	الدرجة (من 4)	بالمئة	الدرجة (من 4)	بالمئة
العزة والمنزلة الاجتماعية، التواضع الاجتماعي، العفو الاجتماعي، التقويم الاجتماعي، الإيثار الاجتماعي، الصبر الاجتماعي، الآداب الاجتماعية	التكريم الاجتماعي (من قبل الآخرين) الدفاع والحماية الاجتماعية (من قبل الآخرين)	3 / 35	% 83 / 75	3 / 4	% 85
الكرامة الاجتماعية (إحساس الفرد بتكريم ودفاع الآخرين)		3 / 35	% 83 / 75	3 / 5	% 87 / 5
الحرمة / الحرم الاجتماعي، رعاية الأمانة الاجتماعية	ضبط النفس / الكف الاجتماعي (من قبل الآخرين)	3 / 3	% 82 / 5	3 / 25	% 81 / 25
	الأمن الاجتماعي (إحساس الفرد بضبط النفس من قبل الآخرين)	3 / 35	% 83 / 75	3 / 5	% 87 / 5
التعاون الاجتماعي، المواساة الاجتماعية، الإيثار الاجتماعي، التراحم الاجتماعي، الإنصاف الاجتماعي، الخير الاجتماعي، الإصلاح الاجتماعي، الدفع والردع الاجتماعي	الاهتمام الاجتماعي (من قبل الآخرين)	3 / 6	% 90	3 / 55	% 88 / 75
	الثروة الاجتماعية (إحساس الفرد باهتمام الآخرين)	3 / 6	% 90	3 / 6	% 90
رعاية الأمانة الاجتماعية، الصدق الاجتماعي، الوفاء الاجتماعي	الصلاح الاجتماعي (من قبل الآخرين)	3 / 65		3 / 6	% 90
	العدالة الاجتماعية (إحساس الفرد بسلوك الآخرين)	3 / 75	% 93 / 75	3 / 65	% 91 / 25
الألفة / المودة الاجتماعية، الأسرة الاجتماعية	الارتباط / الانسجام الاجتماعي (الشعور المتبادل)	3 / 75	% 93 / 75	3 / 6	% 90
السرور الاجتماعي	النشاط الاجتماعي (الشعور المتبادل)	3 / 3	% 82 / 5	3 / 35	% 83 / 75
حسن الخلق، الآداب الاجتماعية	الزينة الاجتماعية (أمر متبادل)	3 / 05	% 25 / 76	2 / 95	% 73 / 75

لقد أثبت الحصول على معدّل الدرجات بدوره أنّ الامتيازات تتراوح ما بين ٣/٧ وكانت أكثر الامتيازات من نصيب ضبط النفس الاجتماعيّ، وأقلّها من نصيب الزينة الاجتماعيّة. ومن هنا فقد حصلت المفاهيم العامّة للسلامة الاجتماعيّة على تأييد الخبراء أيضًا (النموذج رقم: ٤).

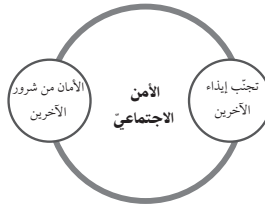
النموذج رقم ٧: العناصر العامّة



وفيما يلي نعمل على التعريف بهذه المفاهيم العامة:

١. الأمن الاجتماعي

إنّ الأمن الاجتماعيّ يعني أنّ ثمة أماناً من الضرر والأذى فيما يتعلّق بإقامة العلاقات والتعامل مع الآخرين. ولا يمكن الحديث عن السلامة الاجتماعية إلا إذا أحسّ الآخرون بأنّ ما يمتلكونه من الأمور المادّيّة والمعنويّة في حرز من الأمان، وكان الشخص يشعر بالأمن في التعاطي والتعامل مع الآخرين. وهذا بدوره يُشبه العملة ذات الوجهين؛ الوجه الأوّل: امتناع الآخرين من الدخول في حريم الأشخاص في مختلف الحقول، وهو ما نسمّيه بـ«الورع الاجتماعيّ» أو «ضبط النفس الاجتماعيّ». إنّ الأمن الاجتماعيّ في هذا القسم تابع للسلوك الآمن من قبل الآخرين بالنسبة إلى حريم الفرد الخاصّ. والوجه الثاني: الأمن الذي يتمّ إدراكه من قبل الفرد، وهو ما نطلق عليه عنوان «الأمان من الشر». يجب أن تتوفّر ظروف يشعر الشخص معها بالأمن من جانب الآخرين. إنّ مجموع هذه الأمور هو الذي يحقّق الأمن الاجتماعيّ. والعناصر العامة للأمن الاجتماعيّ في هذا البحث، يشمل مفهوم الحريم الاجتماعيّ (والذي يشتمل بدوره على أمور، من قبيل: حرمة النفس والمال والعرض والإيمان)، ومفهوم رعاية الأمانة الاجتماعية أيضاً. فلو حافظ الأفراد على حرمة الدين والنفس والمال والعرض، وتعاهدوا صادقين على أداء الأمانة، فسوف يُكتب التحقّق للأمن الاجتماعيّ.

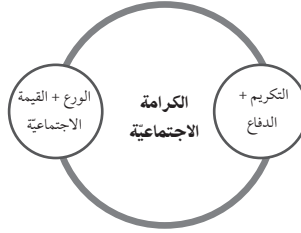


٢. الكرامة الاجتماعية

إنَّ الكرامة الاجتماعية تعني قيمة الأشخاص في العلاقات القائمة فيما بينهم؛ بحيث لا يشعرون معها بالمهانة والاحتقار، وإنَّما يشعرون بالقيمة والمنزلة عند الآخرين. إنَّ هذا المفهوم يعود إلى الشخصية الفردية بين الأفراد فيما يتعلَّق بالارتباط والتعامل الاجتماعي، لا يمكن اعتبار السلامة الاجتماعية على نحو تام، إلا إذا حظيت شخصية الأفراد في العلاقات القائمة فيما بينهم بالاحترام والتوقير وأحسَّوا معها بالعزَّة والكرامة. ولهذا المفهوم العام وجهان، أحدهما يرتبط بالآخرين، والآخر يرتبط بالفرد. وفي القسم الخاص بالآخرين يوجد مفهومان جزئيان مهمَّان، وهما أولاً: التكريم الاجتماعي من قبل الآخرين، وثانياً: الدفاع عن الآخرين في مواجهة التوهين والاحتقار الذي يتعرَّضون إليه من قبل شخص ثالث. ويجب على الآخرين أن يعملوا بما يقتضيه احترام وتعظيم الطرف المقابل، كما يتعيَّن عليهم إذا تعرَّض شخص إلى الإهانة والاحتقار أن يهبوا للدفاع عنه ونجدته. وإذا اقترن هذان الأمران فسوف يعملان على تكميل الكرامة الاجتماعية من قبل الآخرين، ولكن في الطرف الآخر من هذه العلاقة يكون هناك الشخص ذاته؛ حيث يجب عليه رعاية حرمة نفسه، وأن يتجنَّب القيام بالأفعال التي تدعو إلى احتقاره والاستهانة به. كما يجب أن يحصل الشخص على إدراك للتكريم ويشعر بالقيمة (الكرامة المدركة)، كي يتمَّ التمكن في المجموع من تحقيق الكرامة الاجتماعية.

إنَّ المفهوم العام للكرامة الاجتماعية يشمل العزَّة والتواضع والصفح والقدرة والإيثار والصبر الاجتماعي ورعاية الآداب الاجتماعية. والعزَّة تستوجب رعاية

المنزلة والاعتبار الاجتماعي للشخص؛ والتقدير يعمل على إظهار أفعاله وخصاله الحسنة؛ والإيثار يعني ترجيح الطرف المقابل على النفس؛ والتواضع يستوجب ارتفاع الشخص على ذاته؛ والصفح يعمل على تغطية وحجب أخطاء الشخص وزلاته التي يمكن أن تؤدي إلى سقوطه عن الاعتبار؛ والصبر يكبح جماحه بشكل عقلائي عند مواجهة جهالة الآخرين ويصون عرضه، بل ويزيده شرفاً.

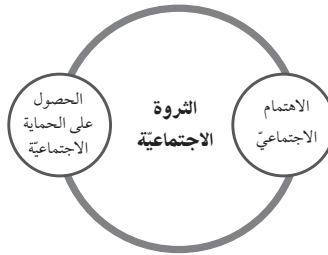


٣. الثروة الاجتماعية

إنَّ الثروة الاجتماعية تعني وجود المصادر الضرورية لتلبية مختلف حاجات الفرد المادية والمعنوية، وجبران موارد الضعف والنقصان لديه، فكل شخص يعاني من مختلف الاحتياجات ومواضع النقص ونقاط الضعف، والعمل على رفعها يحتاج إلى مصادر ضرورية نطلق عليها عنوان «الثروة الاجتماعية». ونعني بالثروة الاجتماعية هنا أنَّ في المجتمع ومجموع الأشخاص الذين يرتبط بهم الشخص ويتعامل معهم ظرفية العمل على رفع حاجة ونقص الفرد. ولهذا الأمر بدوره وجهان، وهما أولاً: وضع الآخرين، وثانياً: وضع الفرد نفسه. وأمّا فيما يتعلق بالآخرين، فتمسّ الحاجة إلى الروح التي تحمل هواجس وهموم الآخرين الذين لا يقفون موقف المتفرّج

واللامبالي تجاه مشاكل الآخر، ويسعى إلى توفير كل ما هو ضروري من أجل تلبيتها وحلّها، وهذا هو الذي نسمّيه بـ«الاهتمام الاجتماعي». والوجه الآخر هو الإدراك الإيجابي لدى الفرد عن وضع الآخرين (الاهتمام المدرك) والذي بواسطته يشعر بالدعم والتشجيع، ولا يحسّ في مشاكله واحتياجاته بالغبّة وانعدام الناصر. ومجموع هذين الأمرين هو الذي يكوّن الثروة الاجتماعية.

إن الذي يؤلّف ثروة الفرد في الحياة الاجتماعية، عبارة عن: التعاون والمواطنة والتعاطف الاجتماعي الذي يعمل على تلبية احتياجات الفرد ونواقصه على يد الآخرين، وهو إمّا أن يكون في إطار التكافؤ والمساواة (الإنصاف)، أو في إطار ترجيح الآخر على النفس (الإيثار). وكذلك فيما يتعلّق بموضوع المصير، حيث لا يخلو دور الآخرين من تأثير فيريدون خير الفرد ويعملون على توفير الأمان لمصيره من خلال حمله على فعل الخير، وردعه عن مقاربة الشر.

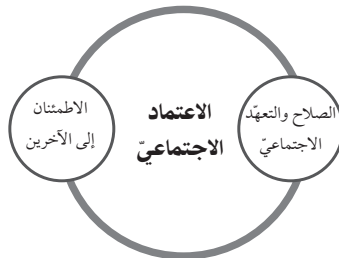


٤. الاعتماد الاجتماعي

إنّ الاعتماد الاجتماعي يعني إمكان الاعتماد على الآخرين والتعويل عليهم في أمور الحياة. وتوجد علاقات كثيرة بين الأفراد في الحياة الاجتماعية، وبذلك يكون الناس

على صلة وثيقة ودائمة فيما بينهم، ولا يمكن لهم تحقيق الحياة الناجحة من دون الآخرين. ومن هنا فإن الفرد فيما يتعلّق ببعض الأمور الشخصية التي يعتمد فيها على الآخرين، يحتاج إلى الاعتماد والتعويل عليه ويطمئن إليهم ويثق بهم، وهو ما نسميه بـ«الاعتماد الاجتماعي». ولهذا المفهوم العام بدوره وجهان، وهما أولاً: تعهّد الآخرين بالعمل التام والكامل بوظائفهم الموكلة إليهم والذي نسمّيه بـ«الصالح الاجتماعي». فيما يتعلّق بظاهرة الاعتماد يجب على الآخرين أن يضطلعوا بما يجب عليهم بشكل جيّد كي يتبلور هذا الاطمئنان الذي يمكن الشخص من القيام بالأمور التي نكلّفه القيام بها من أجلنا. والوجه الآخر عبارة عن إدراك الفرد لوضع الآخرين، بحيث يصبح إمكان الاطمئنان بهم وتحويل الأمور إليهم والاعتماد عليهم أمراً ممكناً. فلو لم يمتلك الفرد إدراكاً عن صلاح الآخرين، لا يكون بمقدوره الاعتماد عليهم. إن مجموع هذين الأمرين -أي: صلاح الآخرين وإدراك الصلاح- هو الذي يؤسّس لتحقيق الاعتماد الاجتماعي.

إنّ المفهوم العام للاعتماد الاجتماعي يتكوّن من المفاهيم الجزئية التي هي عبارة عن: رعاية الأمانة، والصدق، والوفاء الاجتماعي. عندما يتعامل الناس فيما بينهم بصدق ويراعون الأمانة فيما يتعلّق بثرواتهم وأموالهم، ويعملون بعهودهم ومواثيقهم، سوف يتبلور بينهم مفهوم الاعتماد الاجتماعي.

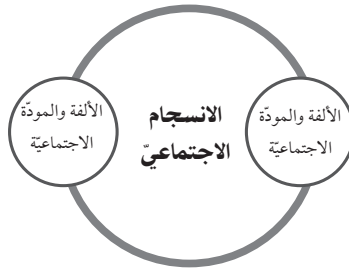


٥. الانسجام الاجتماعي

الانسجام الاجتماعي يعني الارتباط الوثيق بين الأفراد والتلاحم العميق بينهم؛ بحيث لا يكون هناك أي انفصال أو تضاد أو تفرق وعدم اهتمام فيما بينهم. والانسجام الاجتماعي مفهوم متبادل بين طرفين، ولكل واحد من طرفي العلاقة وظيفة ومهمة مماثلة. إن الانسجام الاجتماعي هو من جهة معلول للألفة والمحبة المتبادلة التي تربط فيها عواطف الأشخاص ومشاعرهم ببعضها وتعمل على إيجاد علاقة وثيقة ومتناغمة فيما بينهم؛ كما هو معلول الخروج عن المجهولية، وتعريف العلاقات بين الأفراد بواسطة نموذج العلاقات الأخوية (الإخاء) والأسرية. عندما يتم تعريف العلاقات بين الأفراد بواسطة العلاقات الأسرية، وتمتزج كذلك بالعواطف والمشاعر بين الأفراد، يتبلور المجتمع المتلاحم والمتناغم الذي يشعر فيه جميع الأفراد بالقرابة فيما بينهم، ويعتبرون بعضهم بمنزلة الأعضاء في الجسد الواحد. إن المفهوم العام للانسجام الاجتماعي يتألف من مفاهيم جزئية، وهي عبارة عن: الألفة والمحبة والإخاء والأسرة الاجتماعية، الأمر الذي يشير إلى الارتباط العاطفي العميق/ الأسري بين الأفراد.

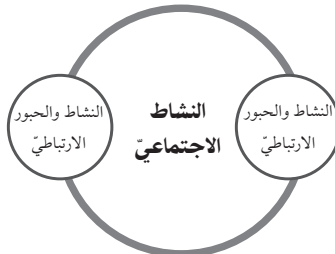
ولكنه من جهة أخرى معلول لمحاذاة العناصر المخربة. سبق أن ذكرنا أن منطق الإسلام في هذا الشأن هو الحب/ البغض، وعلى الرغم من أن دائرة البغض محدودة جداً، ولكن مع ذلك لا يمكن تجاهلها. إن البغض الاجتماعي يكون جاريًا في الأشخاص والحالات المخربة وغير القابلة للإصلاح. إن وضع الحدود مع هؤلاء الأشخاص بمنزلة

المنظومة الوقائيّة والأمان الاجتماعيّ الذي يطرد الفايروسات الضارّة من الدائرة الاجتماعيّة. وأمّا تعيين الذين يكونون مشمولين لهذه الفاصلة العاطفيّة، فهو موضوع آخر يجب بحثه في موضعه المناسب. والذي يحظى بالأهميّة في البين هو أنّ السلامة الاجتماعيّة لا تكتمل في البُعد العاطفيّ إلا بوجود البغض الاجتماعيّ.



٦. النشاط الاجتماعيّ

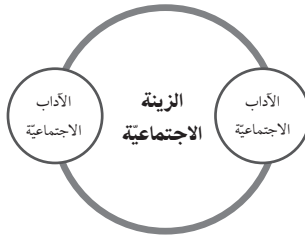
المراد من النشاط الاجتماعيّ هو وجود حالة من الحيويّة والحبور والسرور بين الأفراد في العلاقات والروابط المتبادلة فيما بينهم. إنّ العلاقة مع الآخرين يمكن أن تكون مريرة ومعقّدة ومقرونة بالشحناء والبغضاء، وهذه تعدّ حالة مرضيّة في العلاقات الاجتماعيّة. ومن مفاهيم السلامة الاجتماعيّة، وجود النشاط والحيوية والحبور في الروابط والعلاقات.



في إطار هذا المفهوم عندما يلتقي الأشخاص ببعضهم، فلا تفارقهم البسمة وطلاقة الوجه وانسراح الصدر والرضى والمزاح، بحيث يشعرون فيما بينهم بالألفة والقرابة المقرونة بالحماس الإيجابي بين جميع الأطراف، وتزول حالة التجهم والعبوس من أنديتهم. إن هذا المفهوم أمر متبادل بين الطرفين، ويتساوى فيها كلا طرفي العلاقة.

٧. الزينة الاجتماعية

الزينة الاجتماعية في هذا البحث تعني جمال نموذج العلاقة والارتباط مع الآخرين، فإنَّ كَيْفِيَّةَ الارتباط والتعامل الاجتماعيَّ قابلة للبحث من الناحية الجماليَّة أيضًا. إنَّ نوع الارتباط والتعامل يكون قبيحًا ومذمومًا تارة، ويكون جميلًا وممدوحًا تارة أخرى؛ بحيث إنَّ كلَّ من يراه يشني عليه ويشيد به. إنَّ الأفراد في إطار هذا المفهوم يعملون -من خلال رعاية الآداب الاجتماعية- على تجسيد أفضل وأجمل أشكال الارتباط. إنَّ فلسفة جزء مهم من الآداب الاجتماعية عبارة عن تجميل الارتباط والتعامل مع الآخرين، والزينة الاجتماعية بوصفها مفهومًا عامًّا للسلامة الاجتماعية تتعلَّق رعاية حُسن الخلق والآداب الاجتماعية.



الفصل الرابع: التبويب والنموذج العام

لقد كان موضوع هذه الدراسة عبارة عن مفاهيم السلامة الاجتماعية في دائرة العلاقات بين الأفراد. وبعد الكشف عن العناوين والكلمات المفتاحية للسلامة الاجتماعية (من أجل الدخول إلى المصادر الإسلامية)، تم استخراج المفاهيم الأربعة والعشرين للسلامة الاجتماعية في تحليل المستوى الأول. وبعد ذلك في تحليل المستوى الثاني تم تحويل المفاهيم الأربعة والعشرين إلى أحد عشر مفهوماً، وهي عبارة عن: التكريم والدفاع الاجتماعي، والكرامة الاجتماعية، وضبط النفس الاجتماعي، والأمن/ الأمان الاجتماعي، والاهتمام الاجتماعي، والثروة الاجتماعية، والصالح الاجتماعي، والاعتماد الاجتماعي، والارتباط الاجتماعي، والنشاط الاجتماعي، والزينة الاجتماعية.

وفي تحليل المستوى الثالث، تم الحصول على خمسة أبعاد من المفاهيم الأحد عشر، وهذه الأبعاد الخمسة عبارة عن:

البعد العاطفي الذي هو مزيج من الارتباط الاجتماعي والتمايز الاجتماعي.

البُعد الحماسيّ الشامل للنشاط الاجتماعيّ بالإضافة إلى الزينة الاجتماعيّة. البُعد الشخصيّ؛ بمعنى منزلة الأفراد الشاملة للكرامة الاجتماعيّة. وللكرامة الاجتماعيّة طرفان، وهما: طرف التكريم من قبل الآخرين، وطرف الرقابة من قبل الفرد (الرعاية الذاتية لحرمة الشخص لنفسه).

بُعد احتياجات الأفراد، وهو يشمل أمرين؛ وهما أوّلاً: الثروة الاجتماعيّة، وهي بدورها مزيج من الاهتمام الاجتماعيّ من قبل أحد طرفي العلاقة، والإحساس بالدعامة الاجتماعيّة من جهة أخرى، والأمر الثاني: الاعتماد الاجتماعيّ الذي هو مزيج من الصلاح (التعهد) الاجتماعيّ من إحدى جهتي التعامل، والاطمئنان من قبل الجهة الأخرى من العلاقة.

البُعد الأمنيّ للارتباط والذي يُسمّى بالأمن الاجتماعيّ، وهو مزيج من تحبّب الإضرار بالآخرين، والإحساس بالأمن من جهة الآخرين.

إنّ الموضوع الآخر الذي كان جديرًا بالملاحظة هو موضوع مراتب السلامة الاجتماعيّة. وكان السؤال هو: هل جميع مفاهيم السلامة الاجتماعيّة على مستوى واحد وفي عرض بعضها؟ لقد أثبتت دراسة المصادر الإسلاميّة أنّ مفاهيم وعناصر السلامة الاجتماعيّة ليست بأجمعها على وتيرة واحدة، بل لها نماذج تراتبيّة. والمرتبة الأولى هي مرتبة الأمن الاجتماعيّ، وفي الخطوة الأولى من السلامة الاجتماعيّة يجب أن تبقى جميع الممتلكات والامتيازات المادّيّة والمعنويّة للأفراد بمأمن من عبث الآخرين. في الأمن الاجتماعيّ يتمّ احترام ممتلكات الأفراد وامتيازاتهم من قبل الآخرين، ولا يتمّ التعرّض لها. المرتبة الثانية هي الخير الاجتماعيّ، وفي

الخير الاجتماعيّ يكون أفراد المجتمع مشمولين لخير الآخرين ويتنفعون بذلك، فجميع المفاهيم الإيجابية في التعامل والعلاقات الاجتماعية تندرج ضمن هذه المرتبة. وبطبيعة الحال، فإنّ لهذه المرتبة بدورها مرتبتان؛ إحداهما: الخير المتوازن، والأخرى: الخير المتعالي والكريم. والمراد من الخير المتوازن هو تبادل الخير بين الأفراد وتعاطي الخيرات فيما بينهم، وأمّا المراد من الخير المتعالي والكريم، فهو نوع من إيصال الخير إلى الآخرين دون الحصول على خير في المقابل. وعلى هذا الأساس، فإنّ الأشخاص في الخطوة الثانية يقبلون على تبادل الخير، وفي الخطوة الثالثة فإنّهم يبادرون إلى تقديم الخير إلى الآخرين حتّى من دون حصولهم على الخير في المقابل. ويمكن لهذه المراتب الثلاثة أن تنسجم مع مراتب تكامل الإنسان أيضًا.

والأشخاص في الخطوة الأولى من النمو الاجتماعيّ يجمعون عن الإضرار بالآخرين، وفي الخطوة الثانية يمارسون التجارة بالخير ويوصلون الخير إلى الآخرين في قبال ما يحصلون عليه من الخير. وأمّا في الخطوة الثالثة، فإنّهم يعملون على إيصال الخير إلى الآخرين حتّى دون أن يتوقّعوا الحصول على الخير. وعليه فإنّ للسلامة الاجتماعية في المجموع ثلاث مراتب. وأكثر مفاهيم السلامة الاجتماعية تندرج ضمن مرتبة الخير الاجتماعيّ؛ بمعنى أنّ بعضها يندرج ضمن الخير المتوازن، وبعضها ضمن الخير المتعالي، ويوجد عدد كبير منها يمكن ذكره في كلا الموردين، والأمر في ذلك رهن فيما إذا كانت من الأفعال أو من ردود الأفعال، وعندها سوف تقع ضمن الخير المتوازن أو ضمن الخير المتعالي.

بيان النماذج العامة

يمكن لهذه المجموعة أن تعمل حالياً على بيان مختلف أبعاد السلامة الاجتماعية. والسلامة الاجتماعية في ضوء هذا البحث مفهوم له أربعة أبعاد وستة أضلاع، حيث يتم تصنيفها وتبويبها في المجموع ضمن «الخير الاجتماعي». كما أن للخير الاجتماعي بدوره أبعاداً مختلفة، وأحد أبعاده هو شأن وشخصية الأفراد في الارتباط الذي يتكفل به مفهوم الكرامة الاجتماعية. والبعد الآخر هو البعد العاطفي من الارتباط والذي يتم ضمانه بالألفة والمحبة من قبل الطرفين، ويعمل مفهوم الانسجام الاجتماعي على بيانه. والبعد الثالث هو الحاجات وتنظيم شؤون الحياة، والذي لا يكتب له التحقق من دون التعاون مع الآخرين. وفي هذا البعد يتم بحث مفهومين عامين، وهما الثروة الاجتماعية والاعتماد الاجتماعي، وبواسطة هذين الأمرين يمكن للأفراد أن يعتمدوا على الآخرين، وسوف تكون لديهم ثروة لتلبية احتياجاتهم وحل مشاكلهم. والبعد الرابع هو بُعد الحماسة والمعرفة الجمالية من الارتباط، حيث يقوم مفهومان مهمان، وهما مفهوم الزينة الاجتماعية والنشاط الاجتماعي بتغطيته. وفي ضوء هذين المفهومين تصبح العلاقات الاجتماعية جميلة ومزدانة، كما تصبح حافلة بالنشاط والحبور المطلوب أيضاً.

تحتاج السلامة الاجتماعية إلى الأمن الاجتماعي الذي يمثل المرتبة الأولى منها. والأمن الاجتماعي بمنزلة الشريط الأحمر الذي يحيط بالفرد وممتلكاته الخاصة؛ كي تبقى في مأمن من جميع الأخطار الخارجية، ومن دون الأمن الاجتماعي سوف يكون تحقق الأبعاد الأربعة والأضلاع الستة بعيد المنال.

نتائج التحقيق

إنّ الدراسات الإسلامية في أمور من قبيل السلامة الاجتماعية، تعدّ ضرورة لا محيص عنها؛ وذلك لأنّ مجتمعنا مجتمع إسلاميٍّ من جهة، وكلّ برنامج فيه يجب أن يكون متناسبًا ومنسجمًا مع ثقافة الدين وعقيدتهم. ومن ناحية أخرى فإنّ الآيات والروايات الإسلامية قد جاءت من مصدر موثوق ومورث للاطمئنان، وهي تشتمل على تعاليم ومفاهيم تمثّل حلولًا ناجعة للمشاكل التي تعترض حياة الإنسان. ومن هنا فإنّ تجاهلها لن يكون في صالح المجتمع، وإن كان القرآن الكريم والأحاديث الشريفة في غنى عن ذلك.

يمكن لنتائج ومعطيات هذه الدراسة أن تقع موردًا للاستفادة والتوظيف في رصد السلامة الاجتماعية. فبيان وضع السلامة الاجتماعية في مستوى العلاقة بين الأفراد يتوقّف على امتلاك الأساس النظريّ المحكم والمتقن من وجهة نظر المصادر الإسلامية. عندما يتمّ تحديد مفاهيم ومراتب السلامة الاجتماعية من وجهة نظر الدين، فسوف يمكن تقويم الوضع بشكل صحيح والحصول على الحالة الراهنة. كما يمكن لمعطيات هذه الدراسة أن تقع مؤثّرة في التخطيط للسلامة الاجتماعية. وما يجب فعله من أجل إصلاح الوضع القائم والتقليل من الآفات الاجتماعية ورفع مستوى السلامة الاجتماعية يتوقّف على معرفة الرأي النظريّ للدين في هذا الشأن. وفي ضوء هذا التحقيق يمكن التوصل إلى وجود عشرة مواقع لتنظيم السلامة الاجتماعية، ويتعيّن على المخطّطين أن يضعوها نصب أعينهم، وأن يعملوا على

تحقيق المفاهيم بما يتناسب مع هذه المواقع. كما اتضح أن للسلامة الاجتماعية عددًا من المراتب؛ ولذلك يجب الالتفات إلى هذه المراتب في عملية التخطيط، والمضي قدمًا ضمن استراتيجية محدّدة.

وبالإضافة إلى ذلك يمكن لنتائج هذه الدراسة أن تقع موردًا للاستفادة في الأبحاث النظرية أيضًا. إن التناظر بين الآراء الدينية والتجريبية يمكنه أن يؤدي إلى تكامل العلم، الأمر الذي يساعد على ازدهار المجتمع وتكامله في نهاية المطاف.



المصادر

١. القرآن الكريم.
٢. الشريف الرضي، محمد بن الحسين، نهج البلاغة، قم، نشر هجرت، ١٤١٤هـ.
٣. علي بن الحسين الإمام زين العابدين عليه السلام، الصحيفة السجادية الكاملة، دمشق، تصحيح: علي أنصاريان، رايزن فرهنكي جمهوري اسلامي ايران، ١٤٠٥هـ.
٤. علي بن موسى الرضا عليه السلام، صحيفة الإمام الرضا عليه السلام، مشهد المقدسة، المؤتمر العالمي للإمام الرضا عليه السلام، ١٤٠٦هـ.
٥. ابن أبي جمهور الأحسائي، محمد بن علي بن إبراهيم، عوالي اللآلي العزيزية في الأحاديث الدينية، قم، مطبعة سيد الشهداء، ١٤٠٣هـ.
٦. ابن الرازي القمي، أبو محمد جعفر بن أحمد، جامع الأحاديث، تحقيق: السيد محمد الحسيني النيسابوري، مشهد المقدسة، مؤسسة الطباعة والنشر التابعة للحضرة الرضوية، ١٤١٣هـ.
٧. ابن حنبل، أحمد، مسند أحمد بن حنبل، بيروت، دار صادر، د.ت.
٨. ابن دريد، محمد بن حسين، جهرة اللغة، بيروت، دار العلم للملايين، ١٩٨٨م.
٩. ابن سعد، محمد بن سعد الزهري، الطبقات الكبرى، بيروت، دار إحياء التراث العربي، ١٤١٧هـ.
١٠. ابن شعبة الحراني، الحسن بن علي، تحف العقول عن آل الرسول، قم، جامعة المدرسين، ١٣٦٣هـ.ش.

١١. ابن طاووس، أبو القاسم علي بن موسى الحلبي، الإقبال بالأعمال الحسنة فيما يعمل مرة في السنة، قم، مكتب الإعلام الإسلامي، ١٤١٤هـ.
١٢. _____، فلاح السائل، قم، مكتب الإعلام الإسلامي، ط ١، ١٤١٩هـ.
١٣. ابن عساكر، هبة الله الدمشقي علي بن الحسن، تاريخ مدينة دمشق، بيروت، دار الفكر، ١٤١٥هـ.
١٤. ابن فارس، احمد، معجم مقاييس اللغة، قم، مكتب الإعلام الإسلامي، ١٤٠٤هـ.
١٥. ابن قيم الجوزية، الإمام شمس الدين محمد بن أبي بكر، مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين، القاهرة، دار الحديث، د.ت.
١٦. أبو داود السجستاني الأردني، سليمان بن الأشعث، سنن أبي داود، بيروت، دار إحياء السنة النبوية، د.ت.
١٧. أبو نعيم الإصبهاني، أحمد بن عبد الله، حلية الأولياء وطبقات الأصفياء، بيروت، دار إحياء التراث العربي، ١٤٢١هـ.
١٨. أبو يعلى الموصلي التميمي، أحمد بن علي بن المثنى، مسند أبي يعلى، جدة، دار القبله، ١٤٠٨هـ.
١٩. الأزهري، محمد بن أحمد، معجم تهذيب اللغة، بيروت، دار المعرفة، ١٤٢٢هـ.
٢٠. الآمدي، عبد الواحد بن محمد، غرر الحكم ودرر الكلم، قم، دار الكتاب الإسلامي، ١٤١٠هـ.
٢١. البخاري، أبو عبد الله محمد بن إسماعيل، صحيح البخاري، دار الفكر، ١٤٠١هـ.
٢٢. البرقي، أحمد بن محمد بن خالد، المحاسن، قم، دار الكتب الإسلامية، ١٣٧١هـ.
٢٣. البكري، محمد علي بن محمد بن علان بن إبراهيم، دليل الفالخين لطرق رياض الصالحين، بيروت/ لبنان، دار المعرفة للطباعة والنشر والتوزيع، ١٤٢٥هـ.
٢٤. البيهقي، أحمد بن حسين، السنن الكبرى، بيروت، دار الفكر، د.ت.
٢٥. پسندیده، عباس، چيستی «حسن خلق» وچگونگی تأثیر آن بر روابط اجتماعی، العدد ٦٦، علوم حديث، ١٣٩١هـ.ش.

٢٦. ———، رضایت از زندگی، قم، دار الحديث، ١٣٨٤هـ.ش.
٢٧. ———، فقه الحديث ٢، قم، دار الحديث، ١٣٩٨هـ.ش.
٢٨. ———، فقه الحديث ٣، قم، دار الحديث، ١٣٩٨هـ.ش.
٢٩. ———، روش دینی روان‌شناختی فهم متون، مشهد، بنیاد پژوهش‌های آستان قدس رضوی، ١٣٩٨هـ.ش.
٣٠. ———، روش فهم متون دینی با رویکرد روان‌شناختی، مشهد، بنیاد پژوهش‌های آستان قدس رضوی، ١٣٩٩هـ.ش.
٣١. پورافکاری، ناصر، معنای سلامت اجتماعی ومفاهیم اسلامی آن، طهران، نشر روان، ١٣٩١هـ.ش.
٣٢. الترمذی، أبو عیسی محمد بن عیسی بن سورة، سنن الترمذی، بیروت، دار الفکر، ١٤٠٣هـ.
٣٣. الجرجانی، علی بن محمد، التعریفات، القاهرة/ بیروت، دار الكتاب المصری/ دار الكتاب اللبناني، ١٣٨٤هـ.
٣٤. الجوهری، إسماعیل بن حمّاد، الصحاح، بیروت، دار العلم للملایین، ١٤٠٧هـ.
٣٥. الحاکم النیسابوری، محمد بن عبد الله، المستدرک علی الصحیحین، بیروت، دار الكتب العلمیة، ١٤١١هـ.
٣٦. الحرّ العاملی، محمد بن الحسن، وسائل الشیعة (تفصیل وسائل الشیعة إلى تحصیل مسائل الشریعة)، قم، مؤسسه آل البيت علیه السلام، ١٤٠٩هـ، د.ت.
٣٧. الحلواتی، حسین بن محمد، نزهة الناظر وتنبیه الخواطر، قم، مؤسسه الإمام المهدی علیه السلام، ١٤٠٨هـ.
٣٨. الخطیب البغدادی، أبو بکر أحمد بن علی، تاریخ بغداد أو مدینة السلام، بغداد/ المدینة المنورة، المكتبة السلفیة، د.ت.

۳۹. الدارقطني، أبو الحسن عليّ بن عمر البغداديّ، سنن الدارقطني، بيروت، عالم الكتب، ۱۴۰۶هـ.

۴۰. دهخدا، علي أكبر، لغت نامه دهخدا، طهران، دانشگاه تهران، ۱۳۷۲هـ.ش.

۴۱. الديلمي، حسن بن محمد، إرشاد القلوب إلى الصواب، قم، انتشارات الشريف الرضي، ۱۴۰۸هـ.

۴۲. _____، أعلام الدين في صفات المؤمنين، قم، مؤسّسة آل البيت، ۱۴۰۸هـ.

۴۳. الراغب الإصفهاني، حسين بن محمد، مفردات ألفاظ القرآن، بيروت/ دمشق، دار القلم/ دار الشامية، ۱۴۱۲هـ.

۴۴. الراونديّ الكاشاني، فضل الله بن عليّ، النوادر، قم، دار الكتاب، د.ت.

۴۵. الراونديّ قطب الدين، سعيد بن هبة الله، قصص الأنبياء، مشهد، مركز پژوهش هاي اسلامي آستان قدس رضوي، ۱۴۰۹هـ.

۴۶. رباني، جمال، «ضرورت آداب اجتماعي از منظر اسلام»، كيهان، ۱۲/ ۸/ ۲۰۲۵.

۴۷. رشاد، علي أكبر، مهدي عباس زاده، مباني سلامت معنوي، الدورة الثالثة، نشره فرهنگ وارتقاء سلامت، ۲، ۱۳۹۸هـ.ش.

۴۸. رياحي، محمد اسماعيل، وآخرون، «بررسی رابطه بين حمايت اجتماعي و سلامت روان»، رفاه اجتماعي، ۱۰، (۳۹)، ۱۳۸۹: صص ۸۵-۱۲۱.

۴۹. الزخصري، أبو القاسم محمود بن عمر، ربيع الأبرار ونصوص الأخبار، مؤسّسة الأعلمي للمطبوعات، ۱۴۱۲هـ.

۵۰. السمرقندي، أبو ليث نصر بن محمد، تنبيه الغافلين، بيروت، دار ابن كثير، ۱۴۱۳هـ.

۵۱. سيفزاده، حسين، سلامت اجتماعي ومفاهيم فرهنگي آن. طهران: نشر دانشگاهي، ۱۳۹۴هـ.ش.

٥٢. السيوطي، جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر، الجامع الصغير، بيروت، دار الكتب العلميّة، ١٤١٠هـ.
٥٣. ———، تفسير الدر المنثور في التفسير بالمأثور، بيروت، دار الفكر، ١٤١٤هـ.
٥٤. الشعيري، محمد بن محمد، جامع الأخبار، النجف الأشرف، المطبعة الحيدريّة، د.ت.
٥٥. الشهيد الأوّل، محمد بن مكّي، الدرّة الباهرة من الأصداف الطاهرة، قم، انتشارات زائر، ١٣٧٩هـ.ش.
٥٦. الصاحب، إسماعيل بن عباد، المحيط في اللغة، بيروت، عالم الكتب، ١٤١٤هـ.
٥٧. الصدوق، محمد بن عليّ بن بابويه القميّ، ثواب الأعمال وعقاب الأعمال، قم، منشورات الشريف الرضيّ، ١٤٠٦هـ.
٥٨. ———، علل الشرائع، النجف الأشرف، المكتبة الحيدريّة، ١٣٨٦هـ.
٥٩. ———، الأمالي، طهران، انتشارات كتابچي، ١٣٧٦هـ.ش.
٦٠. ———، الخصال، تصحيح: علي أكبر غفاري، قم، جامعة المدرّسين، ١٣٦٢هـ.ش.
٦١. ———، صفات الشيعة، طهران، انتشارات أعلمي، ١٣٦٢هـ.ش.
٦٢. ———، عيون أخبار الرضا عليه السلام، تصحيح: مهدي لا جوري، طهران، نشر جهان، ١٣٧٨هـ.ش.
٦٣. ———، مصادقة الإخوان، تصحيح: السيّد عليّ الكاظميّ الخراسانيّ، الكاظميّة، مكتبة الإمام صاحب الزمان العامّة ١٤٠٢هـ.
٦٤. ———، معاني الأخبار، تصحيح: علي أكبر الغفاري، قم، جامعة المدرّسين، ١٤٠٣هـ.
٦٥. ———، من لا يحضره الفقيه، تصحيح: علي أكبر الغفاري، قم، جامعة المدرّسين، ١٤١٣هـ.
٦٦. الطباطبائيّ، السيّد محمد حسين، الميزان في تفسير القرآن، ترجمه إلى اللغة الفارسيّة: محمد باقر الموسويّ، قم، انتشارات جامعة المدرّسين، ١٣٧٤هـ.ش.

٦٧. الطبراني، أبو القاسم سليمان بن أحمد، المعجم الكبير، بيروت، دار إحياء التراث العربي، ١٤٠٤هـ.

٦٨. الطبراني، الحافظ، المعجم الأوسط، دار الحرمين للطباعة والنشر والتوزيع، ١٤١٥هـ.

٦٩. الطبراني، سليمان بن أحمد اللخمي، المعجم الصغير، بيروت، دار الفكر، ١٤٠١هـ.

٧٠. الطبرسي، أحمد بن علي، الاحتجاج على أهل اللجاج، مشهد المقدسة، نشر مرتضى، ١٤٠٣هـ.

٧١. الطبرسي، الفضل بن الحسن، مكارم الأخلاق، قم، الشريف الرضي، ١٤١٢هـ.

٧٢. الطبرسي، أمين الدين أبو الفضل بن الحسن، مجمع البيان في تفسير القرآن، بيروت، دار المعرفة، ١٤٠٦هـ.

٧٣. الطبرسي، علي بن حسن، مشكاة الأنوار في غرر الأخبار، تحقيق: عبد الله محمدي، مهدي هوشمندي، قم، دار الحديث، ١٤١٨هـ.

٧٤. الطبري الأملي، عماد الدين أبو جعفر محمد بن أبي القاسم، بشارة المصطفى لشيعته المرتضى، النجف الأشرف، المكتبة الحيدرية، ١٣٨٣هـ.

٧٥. الطبري، محمد بن جرير، جامع البيان في تفسير القرآن، بيروت، دار المعرفة، ١٤١٢هـ.

٧٦. الطوسي، أبو جعفر محمد بن الحسن، تهذيب الأحكام، طهران، دار الكتب الإسلامية، ١٣٦٤هـ.ش.

٧٧. ———، مصباح المتهجد، بيروت، مؤسسة فقه الشيعة، ١٤١١هـ.

٧٨. ———، الأمالي، قم، دار الثقافة، مؤسسة البعثة، ١٤١٤هـ.

٧٩. عباس زاده، مهدي، علي أكبر رشاد، «نكاهي به مباني دين شناختي وانسان شناختي وبرخي شاخص هاي سلامت معنوي»، الدورة ٤، نشر فرهنگ وارتقاء سلامت، العدد ٣، ١٣٩٩هـ.ش.

٨٠. عبيدي، حمزة، وپسنديده، عباس، تحليل وبرسي روايات مكارم الأخلاق، قم، دار الحديث، ١٣٩٤هـ.ش.

٨١. عميد، حسن، فرهنگ لغت عميد، طهران، انتشارات أمير كبير، ١٣٧٤ هـ.ش.
٨٢. القتال النيسابوري، محمد بن أحمد، روضة الواعظين وبصرة المتعطين، قم، انتشارات الرضي، ١٣٧٥ هـ.ش.
٨٣. الفراهيدي، الخليل بن أحمد، كتاب العين، قم، نشر هجرت، ١٤٠٩ هـ.
٨٤. الفيروزآبادي، أبو طاهر مجد الدين محمد بن يعقوب، القاموس المحيط، بيروت، دار الفكر، ١٤٠٣ هـ.
٨٥. الفيض الكاشاني، محمد بن مرتضى، المحجة البيضاء في تهذيب الإحياء، تحقيق: علي أكبر غفاري، قم، مؤسسة انتشارات اسلامي، ١٤١٥ هـ.
٨٦. القضايعي، أبو عبد الله محمد بن سلامة، شهاب الأخبار، قم، دار الحديث، ١٣٩٢ هـ.ش.
٨٧. _____، مسند الشهاب، تحقيق: حمدي عبد المجيد السلفي، بيروت، مؤسسة الرسالة، ط ١، ١٤٠٥ هـ.
٨٨. القمي، علي بن إبراهيم، تفسير القمي، تصحيح: الموسوي الجزائري، قم، دار الكتاب، ١٤٠٤ هـ.
٨٩. الكراجكي، محمد بن علي، كنز الفوائد، تصحيح: عبد الله نعمة، قم، دار الذخائر، ١٤١٠ هـ.
٩٠. كربليوند سمانه، گلزارپور مجيد، رفيعي حسن. «ساخت ورواسازی ابزار ترکیبی آسایش روانی - اجتماعی». مجله دانشگاه علوم پزشکی خراسان شمالی، ٩، (٢): ١٣٩٦، صص ٢٣١-٢٤١.
٩١. الكليني، محمد بن يعقوب، الكافي، طهران، دار نشر الإسلامية، ١٤٠٧ هـ.
٩٢. _____، الكافي، قم، انتشارات دار الحديث، ١٤٢٩ هـ.
٩٣. الكوفي الأهوازي، أبو محمد حسين بن سعيد، الزهد، قم، انتشارات علمي، ١٤٠٢ هـ.
٩٤. _____، المؤمن، قم، منشورات مدرسة الإمام المهدي، ١٤٠٤ هـ.

٩٥. الماورديّ البصريّ، أبو الحسن عليّ بن محمّد، أدب الدنيا والدين، تحقيق: ياسين محمّد السّوّاس، بيروت، دار ابن كثير، ١٤١٣هـ.
٩٦. المتقيّ الهنديّ، كنز العمال، تحقيق وضبط وتفسير: الشيخ بكري حيّاتي، تصحيح وفهرسة الشيخ صفوة السقا، بيروت، انتشارات الرسالة، ١٤٠٩هـ.
٩٧. المجلسيّ، محمّد باقر بن محمّد تقّي، بحار الأنوار الجامعة لدرر أخبار الأئمّة الأطهار، بيروت، دار إحياء التراث العربيّ، ١٤٠٣هـ.
٩٨. محدّثي، جواد، أخلاق معاشرت، قم، نشر بوستان كتاب، ١٣٩٥هـ.ش.
٩٩. محمّدي ري شهري، محمّد، منتخب ميزان الحكمة، ترجمه إلى اللغة الفارسيّة: حميد رضا شبيخي، قم، دار الحديث، ١٣٨٨هـ.ش.
١٠٠. _____، ميزان الحكمة، ترجمه إلى اللغة الفارسيّة: حميد رضا شبيخي، قم، دار الحديث، ١٣٨٩هـ.ش.
١٠١. محمّدي ري شهري، محمّد، وعبد الهادي مسعودي، فوهنگ نامه ادب، قم، دار الحديث، ١٣٨٤هـ.ش.
١٠٢. محمّدي ري شهري، محمّد، وآخرون، دانش نامه قرآن وحديث، ترجمه: حميد رضا شبيخي، قم، دار الحديث، ١٣٩٠هـ.ش.
١٠٣. محمّدي ري شهري، محمّد، ورسول موسويّ، الكوي شادي، ترجمه إلى اللغة الفارسيّة: مرتضى خوش نصيب، قم، انتشارات دار الحديث، ١٣٩١هـ.ش.
١٠٤. محمّدي ري شهري، محمّد، ومحمّد تقديري، دوستي در قرآن وحديث، ترجمه إلى اللغة الفارسيّة: حسن اسلامي، قم، دار الحديث، ١٣٨٧هـ.ش.
١٠٥. مرادي، محمّد، «نگاهي به حديث المجالس بالأمانة»، مجلّة: علوم حديث، ٦٧، ١٣٩٢هـ.ش.

١٠٦. مسعودي، عبد الهادي، روابط اجتماعي از نگاه قرآن، قم، انتشارات دار الحديث، ١٣٩٣هـ.ش.
١٠٧. المفيد، محمد بن محمد، الاختصاص، تحقيق وتصحيح: حسين أستاذ ولي، وعلي أكبر غفاري، قم، مؤتمر الشيخ المفيد، ١٤١٣هـ.
١٠٨. ———، الإرشاد في معرفة حجج الله على العباد، تحقيق وتصحيح: مؤسسة آل البيت عليه السلام، قم، مؤتمر الشيخ المفيد، ١٤١٣هـ.
١٠٩. ———، الأمل، تحقيق وتصحيح: حسين أستاذ ولي، وعلي أكبر غفاري، قم، مؤتمر الشيخ المفيد، ١٤١٣هـ.
١١٠. المنذري الشامي، عبد العظيم بن عبد القوي، الترغيب والترهيب من الحديث الشريف، بيروت، دار إحياء التراث، ١٣٨٨هـ.
١١١. النسفي، عمر بن محمد، وصية النبي ﷺ لـعلي بن أبي طالب، قم، موسسه فرهنگي دارالحديث، ١٣٧٨هـ.ش.
١١٢. نصرقي نژاد، فرهاد، چيستي سلامت اجتماعي، فرهنگستان علوم پزشکی، ١٣٩٨هـ.ش. (غير مطبوع).
١١٣. نصيبي، محمد بن طلحه، مطالب السؤول في مناقب آل الرسول، بيروت، مؤسسة ام القرى للتحقيق والنشر، ١٤٢٠هـ.
١١٤. النوري، الميرزا حسين، مستدرک الوسائل، بيروت، مؤسسة آل البيت لإحياء التراث، ١٤٠٨هـ.
١١٥. وجداني فخر، قدرت الله، راهنماي انس ومودت يا آداب معاشرت، قم، چاپخانه حکمت، ١٣٨١هـ.ش.
١١٦. ورام بن أبي فراس، مسعود بن عيسى، تنبيه الخواطر ونزهة الناظر المعروف بـ(مجموعة ورام)، قم، المكتبة الفقهية، ١٤١٠هـ.

١١٧. الهيثمي، نور الدين علي بن أبي بكر، مجمع الزوائد والفوائد، بيروت، دار الكتب العلميّة، ١٤٠٨هـ.

١١٨. يد الله پور، م، وآخرون، «بررسی آیه‌های قرآن کریم در زمینه سه بُعد اصلی سلامتی (جسمی، روانی و اجتماعی)»، اسلام و سلامت، عدد ٢٣، ١٣٩٤ هـ.ش.

119. Eisen SV, Dickey B, "Mental health outcome assessment: The new Agenda", *Psychotherapy: Theory, Research, Practice, Training* 1996;33(2):181.

120. Meyer IH, Prejudice, "Social Stress and Mental Health in Lesbian, Gay, and Bisexual populations": Conceptual Issues and Research Evidence, *Psychological bulletin*, 2003;129(5): 674.



من إصدارات المركز

سلسلة نمط الحياة

١. النموذج الإسلامي للسلامة الاجتماعية

د. عباس پسندیده، ترجمة: السيّد حسن علي مطر الهاشمي، ط الأولى ٢٠٢٦ م، ٣٢٠ ص

٢. نمط الحياة الإسلامية وأدواتها المعرفية

د. محمد كاوياني، ترجمة: السيّد حسن علي مطر الهاشمي، ط الأولى ٢٠٢٦ م، ٣٣٨ ص

٣. الفرح والحزن، التعامل الإيجابي مع الفرح والحزن

د. عباس پسندیده، ترجمة: لجنة الترجمة والتعريب في المركز، ط الأولى ٢٠٢٥ م، ٢٣٢ ص

٤. مهارات الحياة

السيد مهدي الخطيب، ترجمة: المركز الاسلامي للدراسات الاستراتيجية، ط الأولى ٢٠٢٥ م، ٣٨٤ ص

٥. المساجد بيوت الله

عبد الله عمار الحموي، ط الأولى ٢٠٢٥ م، ١٢٠ ص

٦. الصلاة عبادة وتربية

عبد الله عمار الحموي، ط الأولى ٢٠٢٥ م، ١٤٤ ص

٧. سر الرضا (الإطار النظري للرضا والطمأنينة في الاسلام)

د. عباس پسندیده، ترجمة: المركز الاسلامي للدراسات الاستراتيجية، ط الأولى ٢٠٢٥ م، ٢٦٠ ص

٨. التدبير في المعيشة

عبد الله عمار الحموي، ط الأولى ٢٠٢٥ م، ١٦٨ ص

سلسلة دراسات كلامية

١. تبين البراهين على إثبات وجود الله (تعالى شأنه)

الشيخ عبد الله الجوادى الآملي، ترجمة: محمد حسن زراقط، ط الأولى ٢٠٢٤ م، ٢٤٢ ص

٢. الوحي والنبوة في القرآن

الشيخ عبد الله الجوادى الآملي، ترجمة: السيد هاشم الميلاني، ط الأولى ٢٠٢٣ م، ٢٩٤ ص

٣. المعاد في القرآن

الشيخ عبد الله الجوادى الآملي، مجلدان، ترجمة: د. علي الحاج حسن (الجزء الاول) ود. محمد

ترمس (الجزء الثاني)، ط الأولى ٢٠٢٣ م، ٦٥٩ ص

٤. التوحيد في القرآن

الشيخ عبد الله الجوادى الآملي، ترجمة: الشيخ محمد حسين خليق، ط الأولى ٢٠٢٣ م، ٦٨٣ ص

٥. موسوعة التراث الامامي في علم الكلام ورّد الشبهات والمسائل الخلافية

د. السيد هاشم الميلاني، ١٦ مجلدات، ط الأولى ٢٠٢٢ م

٦. موسوعة النبوة في التراث الكلامي عند الإمامية

د. السيد هاشم الميلاني، ط الأولى ٢٠٢٠ م، ٦٠٤ ص

٧. الكلام الإسلامي المعاصر

د. الشيخ عبد الحسين خسروبناه، ترجمة: محمد حسين الواسطي وأسعد مندي الكعبي، ٣ مجلدات، ط الأولى

٢٠١٩ م، ٨٩٩ ص

٨. أدوار علم الكلام عند الامامية (١) مباحث تمهيدية

د. السيد هاشم الميلاني، ٣ مجلدات، ط الأولى ٢٠١٩ م، ١٩٤ ص

٩. موسوعة الإمامة في التراث الكلامي عند الإمامية

د. السيد هاشم الميلاني، ٥ مجلدات، ط الأولى ٢٠١٩ م، ٢٦١٦ ص

١٠. أجوبة الشبهات الكلامية (١) التوحيد

د. محمد حسن قدردان قراملكي، ترجمة: أسعد مندي الكعبي، ط الأولى ٢٠١٩ م، ٤٦٥ ص

١١. أجوبة الشبهات الكلامية (٢) العدل

د. محمد حسن قدردان قراملكي، ترجمة: السيد علي مطر الهاشمي، ط الأولى ٢٠١٩ م، ٣٢٢ ص

١٢. أجوبة الشبهات الكلامية (٣) النبي الأعظم (صلى الله عليه وآله وسلم)

د. محمد حسن قدردان قراملكي، ترجمة: السيد علي مطر الهاشمي، ط الأولى ٢٠١٩ م، ٤١٨ ص

١٣. أجوبة الشبهات الكلامية (٤) الإمامة

د. محمد حسن قدردان قراملكي، ترجمة: السيد علي مطر الهاشمي، ط الأولى ٢٠١٩ م، ٥٦١ ص

١٤. أجوبة الشبهات الكلامية (٥) المعاد

د. محمد حسن قدردان قراملكي، ترجمة: السموسي أحمد قصير، ط الأولى ٢٠١٩ م، ٣٨٥ ص

١٥. مناهج المتكلمين في فهم النص القرآني

د. ستار جبر حمود الاعرجي، ط الأولى ٢٠١٧ م، ٥٥١ ص

١٦. حديث الغدير بين أدلة المشتين وأوهام المبطلين

د. السيد هاشم الميلاني، ط الأولى ٢٠١٧ م، ٤١٠ ص

١٧. حديث الرزية

السيد محمد مهدي السيد حسن الموسوي الخرسان، ط الأولى ٢٠١٥ م، ٢٨٦ ص

١٨. موسوعة تراث السيد المرتضى في علم الكلام ورد الشبهات

د. السيد هاشم الميلاني، ٣ مجلدات، ٢٠١٤ م / ١٤٣٦ هـ، ١٧١٠ ص

١٩. معراج اليقين في شرح نهج المسترشدين في أصول الدين

الشيخ محمد بن الحسن بن يوسف بن المطهر الحلي - الملقب بـ (فخر المحققين)، المحقق: طاهر

السلامي، ط الأولى، ٢٠١٤م / ١٤٣٦ هـ، ٤٠٧ ص

٢٠. دور الأحداث التاريخية في بيان معتقدات اهل البيت (عليهم السلام)

د. السيد مصطفى مطهري، ترجمة: أسعد مندي الكعبي، ط الأولى ٢٠١٤م، ٢٩٧ ص

٢١. زواج أم كلثوم، الزواج اللغز،

قراءة في نصوص زواج عمر من أم كلثوم بنت علي (ع)

السيد علي الشهرستاني، ط الأولى ٢٠١٤م، ٣٨٥ ص

٢٢. جمع القرآن، نقد الوثائق وعرض الحقائق

السيد علي الشهرستاني، مجلدان، ط الأولى، ٩٤٧ ص

٢٣. الدلائل المكية في عقائد الإمامية

السيد محمد علي بن أحمد بن علي العاملي المكي، تحقيق: الشيخ عبد الحليم عوض الحلي، ط الأولى

٢٠١٤م، ٢٩٠ ص

٢٤. تسمية أولاد الأئمة بأسماء الخلفاء، الشبهة الواهية

السيد علي الشهرستاني، تلخيص: سمير الكرمان، ط الأولى ٢٠١٤م، ٣٣٧ ص

٢٥. تذكرة الواصلين في شرح نهج المسترشدين

السيد نظام الدين عبد الحميد بن مجد الدين أبي الفوارس محمد بن علي الأعرج الحسيني (ابن اخت

العلامة الحلي)، تحقيق: طاهر السلامي، ط الأولى ٢٠١٤م / ١٤٣٦ هـ، ٤٤١ ص

26. 'Alī b. Abī Ṭālib Rereading Historical Sources,

Mohammadreza al-Khaghani, 2026, 644 p.

27. Muhammad; Rereading Historical Sources,

Mohammadreza al-Khaghani, 2023, 365 p.

هذا الكتاب

"يستعرض هذا الكتاب النموذج الإسلامي للسلامة الاجتماعية، مستنداً إلى القرآن الكريم، والسنة النبوية، وما أثر عن الأئمة المعصومين، لتحقيق تربية متكاملة ومتوازنة للمجتمع. يبين الكتاب كيفية حماية المجتمع من الآفات والسلوكيات الضارة، ويقدم حلولاً عملية لتعزيز السلامة الاجتماعية، مع الاستفادة من فهم الواقع والنظريات المعاصرة، بما يحقق تناغماً بين القيم الإسلامية والتطبيق العملي".



المركز العراقي للدراسات الاستراتيجية

<http://www.iicss.iq>

info@iicss.iq